



PADiR

مجلة بادر – مجلة كلية علم النفس الإسلامي

مجلة فصلية محكمة تصدر بإشراف الجمعية الإنسانية للأبحاث والدعم والإرشاد النفسي – بادر

PSIKOLOJİK ARAŞTIRMA DESTEK İNSANİ VE REHBERLİK DERNEĞİ-PADİR



هـ 13 / 05 / 1445

م 24 / 11 / 2023

العدد 1

قاعدة لا مشاحة في الاصطلاح واعتمادها في مجال علم النفس الإسلامي

العوامل المؤدية للسكينة دراسة نفسية تحليلية في ضوء القرآن الكريم

الحارث ابن أسد المحاسبي مؤسس علم الوسوس والخطرات

الاستراتيجيات النفسية الإسلامية لتعامل مع الغضب

المشكلات التربوية الناجمة عن التحرش بالأطفال من الأقارب

العواقب وطريقة التعامل

تقرير عن الملتقى الأول لكلية علم النفس الإسلامي

مجلة بادر، مجلة فصلية محكمة ربع سنوية، لأغراض البحث العلمي في مجال
علم النفس الإسلامي
وبقصد الترقيات العلمية للسادة أعضاء الهيئات التدريسية في الجامعات والأكاديميات ذات
الصلة بموضوع المجلة

مجلة بادر

info@journal.padir-der.org

journal.padir-der.org

00905522880846

الهيئة الاستشارية

- بروف داتود. أنصاري أحمد – رئيس جامعة آسيا - ماليزيا
بروف د. علي سعيد مبارك بن سنكر- مدير الجامعة الإسلامية – كينيا
بروف د. سليمان ديرين- جامعة مرمرة- كلية الإلهيات – تركيا
د. حميد أكتشاي – جامعة بندرما 17 أيلول- تركيا
د. خالد مختار الزمزمي- جامعة هويكتز – أمريكا
د. حمدي عبيد – جامعة الأزهر – مصر
د. السر أحمد سليمان – جامعة حائل- السعودية
د. محمد محمود مصطفى – كلية علم النفس الإسلامي - مصر
أ. معتصم الزين – زد للاستشارات القانونية والإدارية- تركيا

هيئة التحرير

رئيس التحرير: د. محمد محمود مصطفى/عميد كلية علم النفس الإسلامي – مصر

مدير التحرير: أ. يوسف عكراش/ وزارة التربية الوطنية-المملكة المغربية

نائب مدير التحرير: د. ماجدة المولا/ كلية علم النفس الإسلامي – تركيا

د. علي الصهيل/ كلية علم النفس الإسلامي – السعودية

د. إبراهيم بوزيداني / كلية الإلهيات-جامعة اسطنبول - الجزائر

د. شيماء حسنين/ كلية علم النفس الإسلامي - مصر

د. أحمد عبد العال/ كلية علم النفس الإسلامي – مصر

التدقيق اللغوي: أ. ناجية بشير

السكرتيرة التنفيذية: أ.نورترجمان اوغلو

الإخراج الفني: أ.خليل اللداوي

شروط النشر

- أن تندرج المادة المرسلة للتحكيم ضمن تخصص المجلة.
- أن يكون البحث مبتكرًا أصيلاً، وليس مبنياً على أفكار مطروقة ومبحوثة سابقاً.
- أن يلتزم الباحث بمواصفات البحث الأكاديمي، وأن يحترم قواعد وضوابط البحث العلمي.
- أن يبرز الباحث في مقدمة البحث الإشكالية التي يروم الإجابة عنها مع توضيح وجهة نظره في دراستها.
- أن تكون لغة المادة المرسلة للتحكيم لغة علمية رصينة لا خطأ فيها.
- أن تُعتمد الدقة والأمانة في الاقتباس والأخذ بالتزامه في توجيه معاني النصوص ودلالاتها.
- يشترط في المادة ألا تكون قد نُشرت إلكترونياً أو ورقياً أو مقبولة للنشر أو قدمت إلى أي جهة أخرى.
- يتراوح عدد كلمات البحث بين 4000 و8000.
- تقبل المشاركات الفردية والثنائية والجماعية.
- يصدر البحث بملخص لا يتعدى 100 كلمة، مرفق بالكلمات المفتاحية بالعربية والإنجليزية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفهرس

9 كلمة معالي الدكتور محمد محمود مصطفى
14 بيان العدد الأول
16 قاعدة لا مشاحة في الاصطلاح
48 العوامل المؤدية للسكينة
88 الحارث بن أسد المحاسبي مؤسس علم الوسوس والخطرات «علم النفس»
108 الاستراتيجيات النفس إسلامية للتعامل مع الغضب
133 المشكلات التربوية الناجمة عن التحرش بالأطفال
159 تقرير الملتقى الأول لكلية علم النفس الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة معالي الدكتور محمد محمود مصطفى رئيس التحرير

الحمد لله الذي فتح أبواب الخير بما فتح على العالمين من أبواب السنة، وهدى الناس إلى الصراط المستقيم بكلام نبيه محمد سيد الأولين والآخرين، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله، وعلى من سار على هديه، وأخذ نفسه بسنته، والتزم طريقته، وعلى أصحابه الأجلة، ومن تبعهم بإحسان، أما بعد؛

فالحمد لله رب العالمين، الذي جعل لكل شيء قدرا، وجعل لكل قدر أجلا، وجعل لكل أجل كتابا،

والحمد لله رب العالمين، حمداً لشُكْرِهِ أداءً، ولحَقِّهِ قضاءً، ولجُبِّهِ رجاءً، ولفضله نماءً، ولثوابه عطاءً،

اللهم لك الحمد كله، وإليك يرجع الأمر كله، علانيته وسره. فحق أنت أن تعبد، وحق أنت أن تحمد، وأنت على كل شيء قدير.

اللهم لك الحمد أكمله، ولك الثناء أجمله، ولك القول أبلغه، ولك العلم أحكمه، ولك السلطان أقومه، ولك الجلال أعظمه، ثم أما بعد؛

فإن علم النفس من أكثر العلوم التصاقاً بالأديان، فمن جملة أهداف كل منهما أن يعيش الإنسان متزناً سويًا محققًا لأعلى مستويات الطاقة والبذل وتحقيق الإنجاز، مع التخلص اللازم من كل منغصات الحياة ومكدرات العيش التي يمكن للإنسان أن يتخلص منها، وليس أدلّ على هذا من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن.

وقد اهتم علماء الإسلام قديمًا وحديثًا بفكرة إيمانية وروحانية عميقة ومهمة للغاية، وهي أثر التوحيد والعقيدة والعبادات والأخلاق على نفس المؤمن وتركيتها وشعورها بالأمان والاطمئنان

والسكينة من جزاء تحقيق هذه الشعائر الإسلامية اعتقادًا وسلوكًا، إلا أن الأبحاث العلمية والمؤلفات المتتابة في تاريخ الإسلام لم تُشبع حتى الآن نهم الباحث في علم النفس، لا سيما وفق المفهوم الإسلامي للنفس، والنظرية المعرفية الإسلامية.

إن الإسلام ينظر للإنسان إبان تشريعه للأحكام نظرة كلية متكاملة، من غير فصل بين العقل والجسد والروح، لأن الإنسان كلُّ متكامل، لا يمكن النظر إليه إلا باعتبار وحدة واحدة، لذلك جاء الالتفات حال تشريع الأحكام إلى ما يلي ويشعب ويستجيب لاحتياجات الجسد والعقل والروح؛ ليتمكن الإنسان من القيام بمهمة الاستخلاف في الأرض، وعبادة الله تعالى حق القيام، وبهذا تتجلى روعة التشريع وحكمته، المتمثلة في نظم العلاقة بين هذا المثلث بطريقة لا يمكن أن يلتفت إليها، ولا يتقنها إلا من كان عالمًا بأحوال هذا المخلوق البشري.

ومع تنوع الأقسام، وزيادة الفروع المتعلقة بعلم النفس، كان لابد للباحثين النفسيين والإسلاميين من البحث والدراسة والتحرير والضبط والاستنباط لما يجب أن يكون النواة الحقيقية لمشروع علم النفس الإسلامي، والذي يعتبر ضرورة ملحة، ومن نافلة القول أن ثبت حاجة الأمة كلها، بل والعالم بأسره لهذا النوع من التنظير والتطبيق العملي في حياة الناس، كل الناس.

وهو مسار شائك ومتشعب، وكثير التحير والضوابط، وخاضع للمراقبة والمراجعة والنقد، بل والقبول والرفض من أطراف متعددة من الأكاديميين، بل والممارسين من كلا الجانبين، جانب العلماء والمشايخ وطلبة العلم الشرعي لقناعة بعضهم بعدم جدوى هذا الطرح على الإطلاق، وأن التطبيق الظاهر لأحكام القرآن الكريم والسنة النبوية كافٍ ووافٍ بكل متطلبات الحياة النفسية الهادئة والمطمئنة، وعلى الطرف الآخر من علماء النفس ممن قصروا دور الأديان على الجانب الروحاني دون الخوض في تفصيلات علم النفس العام وفروعه، بل ورفض مجرد فكرة السماح للأديان بالتدخل في قواعد وأسس وفروع وتطبيقات علم النفس.

ومن الواضح أن العالم كله في ترقب وانتظار واحتياج شديد، عرف أو لم يعرف، لما يمكن أن ينتج عن هذه الأبحاث والدراسات والتأصيلات الإسلامية لرصد ظواهر النفس من حيث المشاعر والأفكار والسلوك، فريادة الأمة الإسلامية للعالم وحضارتها وموقعها وتاريخها وأدبياتها ليست محل نظر أو تردد في عقل وقلب المسلم، كما أن أصول الشرع حوت وأحاطت بحياة الفرد والأسرة والمجتمع والأمة بشكل عام.

ومن الواضح كذلك أن الجميع، ولا سيما المسلمين، في تطلع دائم ومُلح لتفسير الظواهر النفسية من سلوك ومشاعر وأفكار وفق المنظور الإسلامي المتفق مع عقائد المسلمين.

كما ينبغي ألا يخفى على أحد الفروق الواضحة بين النظرية المعرفية عند المسلمين ومثيلاها عند الغرب أو الشرق قديماً وحديثاً، فيحتاج المسلم لضبط حياته وفق مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم مع التعامل مع المتغيرات المعرفية تحت مظلة النظرية الإسلامية للمعرفة.

وحين نذكر علم النفس الإسلامي، فنحن نفتح الباب لتحرير مصطلحات نفسية إسلامية، أو لعلمها إسلامية نفسية، كما نحتاج إلى إيضاح النظرة النفسية لمشاعر الإنسان وأفكاره وسلوكياته، وكيفية تكوين القناعات والمبادئ لدى المسلم وغيره، وتحليل الظواهر الإنسانية للمسلم وغيره، ووضع القواعد العامة للنمو والتربية وللتحليل النفسي، ولمعنى الإرشاد النفسي كله بفروعه وأقسامه، سواء للمسلم أو غيره.

ومن هنا كان توفيق الله تعالى بانشراح الصدور لإنشاء المجلة العلمية المحكمة؛ وهي مجلة فصلية ربع سنوية، تصدر عن كلية علم النفس الإسلامي والجمعية الإنسانية للأبحاث والدعم والإرشاد النفسي (بادر) لتي تكون باباً مفتوحاً على مصراعيه، وبوابة بلا مغاليق لكل باحث مهتم بعلم النفس الإسلامي تأصيلاً وممارسة للإدلاء بدلوه، والمشاركة برأيه، والتواصل بعلمه، في المجلة؛ لتكون لبنة مباركة في صرح عظيم بناؤه، وهو علم النفس الإسلامي، فالحمد لله والشكر له والثناء الحسن على ما أولانا وحبانا، وأنعم علينا وهدانا إلى هذا المنبر المبارك، لسان العلم الاكاديمي والمجتمعي لكلية علم النفس الإسلامي.

وقد تناول البحث الأول قاعدة أصولية مهمة للغاية وهي قاعدة «لا مشاحة في الاصطلاح» إذ أطلقت هذه القاعدة لأيدي كل أصحاب فن بأن يتصرفوا في اصطلاحات فنيهم بما يرونه يدل على مرادهم ومقصدهم، مع ضرورة عدم الشذوذ والإغراب في ضبط المصطلح وبيان المراد منه، وهي مسألة لها أثرها في علم النفس الإسلامي؛ إذ أن لاشتغال هذا العلم في طرفي المجالين الشرعي والنفسي، فكان لزاماً على الباحثين والعاملين في هذا التخصص ضبط مصطلحاتهم التي تتعامل مع الفن من منظور إسلامي، أو حسب النظرية المعرفية الإسلامية.

ثم تناول البحث الثاني مفهوم السكينة مصطلحاً ودلالة مع بيان أوجه الشبه والفروق بين مراده في الشرع والآخر في علم النفس، ومع اعتماد الباحث المتفنن على القرآن الكريم كمصدر أساس

لضبط المصطلح وتعريفه وحده، قاده هذا إلى الكلام عن العوامل المؤدية لتحقيق السكينة، وهو الأمل المنشود، لكثير من البشر، والاعتماد في البحث على كلام الله تعالى.

ثم تناول البحث الثالث رائدًا من رواد السلوك والتصوف الصحيح، وعلماً من أعلام ضبط العلاقة بين العبد وربّه وبين العبد والناس وبين العبد ونفسه، واعتماد الباحث المدقق على مصادر مباشرة من تأليف الإمام حارث بن أسد المحاسبي، وعلى مراجع أخرى غير مباشرة تناولت كلام الإمام شرحًا وضبطًا وتفسيرًا وتحليلًا ونقدًا، ووجه الباحث الأكاديميين والقراء إلى علم الوسوس والخطرات مع بيان شرح المراد منهما لغة واصطلاحًا.

ثم تناول البحث الرابع موضوعًا في غاية الأهمية، وتضطر إليه الحاجة في هذا الزمن وغيره، من حيث المشاع والأثر، فإدارة المشاعر وجوده التعامل معها مهارة يلزم تعلمها وتطويرها في ظل المتغيرات الحياتية والضغوط اليومية، فتناولت الباحثة المتقنة شعور الغضب وأصله، هل هو فطري جبلي أم كسبي، ثم تناولت الطرق النافعة في التعامل معه وضبطه وعدم السماح له بالتحكم في ردود أفعال الإنسان، وكل هذا تحت مظلة النظرية المعرفية الإسلامية. ونظرة الإسلام العامة والكلية والشاملة لهذه المشاعر وطرق التعامل معها.

وفي بحث مميز آخر تعرضت الباحثة لمسألة شائكة مؤلمة متعلقة بالتحرش الجنسي من طرف البالغين الأقارب بالأطفال، ومدى التأثير النفسي والاجتماعي والتربوي والأكاديمي على الأطفال بسبب هذه الجريمة الشنعاء، مع رصد واضح للآثار السلبية والعواقب الوخيمة من جرّاء هذه الجريمة على الطفل الضحية، مع بيان ما يجب على مقدمي الرعاية والمحيطين بالطفل أن يتعاملوا معه بحيث ينجو الطفل من هذه الأزمة بأقل الخسائر.

ولأن المجلة (مجلة بادر) هي لسان حال كلية علم النفس الإسلامي، تناول التقرير الأخير تغطية مميزة للملتقى الأول لكلية علم النفس الإسلامي والذي انعقد قبل الإعداد للعدد الأول، وتناول التقرير محاور الملتقى والمشاركين، وطرق بعض الأفكار التي طرحت في الملتقى والذي حمل الشعار الرسمي للملتقى (منا وإلى العالم) أي: من كلية علم النفس الإسلامي (منهجًا وأساتذة وطلابًا) إلى العالم كله ليستنبروا بهدي الإسلام في العلوم الاجتماعية والإنسانية ولا سيما علم النفس الإسلامي.

ونحن إذ نباشر بطرح العدد الأول من مجلة (بادر) نعلن لجميع الباحثين والأكاديميين والمهتمين بأن أبحاثهم محل ترحيب، ومقالاتهم محل اعتبار، وتقاريرهم محل تقدير، فأهلاً وسهلاً بالجميع. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

د. محمد محمود مصطفى

عميد كلية علم النفس الإسلامي

رئيس تحرير المجلة

23 ربيع الثاني 1445

7 نوفمبر 2023 م

بيان العدد الأول

إن الإعداد العلمي والتقني لهذا العدد الأول من المجلة العلمية (بادر) المجلة الناطقة باسم كلية علم النفس الإسلامي تم تحت ظروف عصبية وشديدة على النفوس المؤمنة، ففي ظل الاحتلال اليهودي الغاشم الظالم المتخطي كل حدود القانون الإلهي والأرضي بقتل الأطفال وهدم المستشفيات وترويع الأمنين، والاستهتار بأرواح البشر، وهدم كل ما هو قائم، وتسوية قطاع غزة بالأرض، وعدم الإبقاء على مؤسسة عاملة في أي مجال لاسيما الطبي والإنساني، مع هذا الإذن المعلن والمخفي من تللكم الدول التي توصف بالعظمى، وهي إلى السفول والتبعية لليهود أليق وأنسب.

ولما كانت النفوس المؤمنة الأبية تتألم للمصاب مرة، وتتألم للعجز ألف مرة، كان لزامًا من كلمة تلم شعث المسلمين، وتجمع كلمتهم وتوحد صفهم؛ فإن الخطب جلل، والمصاب كبير.

وإن من نافلة القول أن الألم الحاصل لأهلنا في غزة الأبية وللمؤمنين حول العالم، مباشرة وغير مباشرة، يدفع الجميع للتفكير والتدبير ومحاولة أخذ العبرة واستخلاص الدروس، فإن من الأشياء المهمة المسكوت عنها في الوضع الحالي، ما يجب أن ينشغل به المسلمون، ويجعله العلماء والمشايخ والأساتذة والأكاديميون قضيتهم، هو دراسة الإعداد الإيماني والمادي لمجتمع المجاهدين في غزة، إذ يجب استغلال هذه الحالة للبناء عليها في مسألة الإعداد، والمواجهة، وإدارة الصراع، وأن هذا الأمر ليس وليد اللحظة، وإنما سبقتة سنوات وسنوات، من العمل والتدافع وبذل الغالي والنفيس، وتحمل الآلام تلو الآلام.

وإن كان عجبنا قد انقضى من عدو مبغض حاقد متربص مترصد للأمة، يخادع ويخاتل ويدلس ويكذب، فإن عجبنا لا يمكن أن ينقضي من بني جلدتنا، حكامًا ومحكومين، رؤساء ومرؤوسين، دعاة وأئمة وأساتذة ومختصين، من حالة الصمت المطبق، دون رد فعل تتعدى الشجب والإدانة بأشد العبارات، نطقت الشعوب وصرحت عن موقفها، ورفعت عقيرتها بما يجب أن يفعله المسلمون في بقاع الدنيا، وسكت من يلزمه الكلام.

يقول الشيخ تقي الدين الهلالي، رحمه الله، كما في مقاله بمجلة الهدي النبوي العدد 21 السنة الثانية – ذو الحجة 1357هـ: ففتش تجد أن أكثر هؤلاء العلماء يسمعون ويرون ما يجري في فلسطين وطرابلس وتونس والجزائر والمغرب وحضرموت ولا يحركون ساكنًا، وكأن ذلك ليس من الإسلام في شيء ولا يعينهم ولا هو من شأنهم.

ولو قيل لهم أنكم مخالفون للنبي ﷺ وخلفائه وسالكون في ضد طريقهم، وأن الحجاج بن يوسف أفضل إسلامًا منكم ألف مرة، لأن غزوة واحدة من غزواته إذا وضعت في الميزان، ميزان العلم والدين ترجح بجميع أعمالكم، لو كان لكم عمل صالح، ورمت أنوفهم من ذلك

فليمحوا آيات الجهاد من القرآن والكتب المروية عن النبي ﷺ إذا أرادوا أن يكون دينهم الذي هم عليه صحيحًا، وليمحوا سيرة النبي ﷺ وخلفائه وأمراء الإسلام الصحيح من جميع كتب الدنيا، وإلا فليعلموا أنهم ليسوا على صراط مستقيم فليتوبوا إلى الله وليرجعوا إلى دينهم، ويحكّموا كتاب ربهم وسنة نبيهم كلها قولًا وعملاً، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. انتهى كلامه، رحمه الله.

ومن الأمور التي يتميز بها الموفقون المسددون في أوقات الاستضعاف: ضبط النفس، والحذر من التهور أو التعجل فرما يؤديان إلى العجز أو القهر أو الفشل.

وضبط النفس لا يعني التبلد ولكن يعني كيفية التحكم بها وفق مؤشر الإيمان بالله والقضاء والقدر، مع الأخذ بالأسباب المتاحة وفق كل مرحلة وحالة ووضع.

أمثال هؤلاء هم الذين يكتب لهم أن يكونوا في الصفوف الأولى يدفعهم القدر دفعًا لتحقيق مراد الله تعالى منهم.

ومن الأخذ بالأسباب البحث عن الحيلة، للخروج من الوضع الراهن، ولذلك وقت يعرفه الله وبعض المسددين، عندما يحكمون التعقل والتفكير والتخطيط المحكم والتحرك الدقيق المحدد، والحذر في أوقات الوهن حيث تموج الفتن، هذا بعض معاني ضبط النفس.

وحق يعلم القاصي والداني أن ضبط النفس ليس معناه التبلد في الحس، فليقرأ المسلم سورة التوبة وفيها يذهب غيظ قلوبهم، وفيها يشف صدورهم، وهي سورة متأخرة النزول، فمع كف اليد والصبر والحلم طوال أيام مكة وتسع سنين بالمدينة، ما زال غيظ القلب، والنفس مليئة بالتشفي.

هنا نعلم أن ضبط النفس لا ينافي غيظ القلب واشتعال النفوس غضباً لله وتأملاً على الميلمين، ولكن التحكم في تلك المشاعر وتحويلها إلى طاقة دافعة مخططة ومنفذة تتحين الوقت، وتنضوي تحت مظلة التخطيط السليم، فتعمل مع ذلك ولا تقعد وتصبر وتحتمل وترقب حتى يأذن الله.

إن الناظر في تحولات الحياة، وجبروت الظالمين والطغاة، قد ينتابه حالة من الحزن الشديد؛ حتى يتمنى أن يعاجلهم العقاب ويرى القصاص العادل أمام عينيه من الظالمين؛ انتقاماً للمظلومين، فيأتي بلسم البيان الإلهي القرآني مراعيًا الحالة النفسية خطابًا للمؤمنين عبر عصور الزمان، في كل وقت وحال، ابتداءً من الرسول صلى الله عليه وسلم وخطابه خطاب لأمته، ممن حوله ومن بعده، السائرين على خطاه، فجاء الخطاب بلسمًا عجيبيًا يلامس أعماق النفس، موافقًا تمام الموافقة للحال، إذ قال: (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) {إبراهيم - 42} وما كان الرسول صلى الله عليه وسلم ليحسب أو يظن، ولا كل مؤمن صادق الإيمان، وإنما كان ذلك مراعاة تمام المراعاة لمقتضى حال الخطاب، لما فيه من عمق التسلية، والتثبيت للمؤمنين، وما هو حاصل من شدة جبروت الظلم وحماقته وصلفه، فكان خطاب تسلية وتثبيت، مقرونًا بنون التوكيد (فَلَا تَحْسَبَنَّ)، وإذا كان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يخاطب بهذا الخطاب، ويكرر له للتأكيد والتثبيت (فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِيفَ وَعْدِهِ - رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ) {إبراهيم - 47}، إنه للمؤمنين كذلك فيه مزيد تسلية وتثبيت، فقد نال رسولهم ما ناله من البلاء، فهم من باب أولى في التأسي به والافتداء، ومثلما هو خطاب تسلية وتثبيت، هو كذلك في فحواه خطاب تهديد ووعيد للظالمين على مر الزمان.

ونختم بمقولة الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله، في [قاعدة في المحبة ١٤٩-١٥٠]:

«... فَمَنْ عَدَّ القِتْلَ فِي سبيلِ اللَّهِ مَصِيبَةً مُخْتَصَةً بِالْجِهَادِ كانَ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ؛ فَإِنْ الموتَ يَعْرضُ لِبَنِي آدَمَ بِأسبابٍ عَامَّةٍ؛ وَهي المصائبُ التي تَعْرضُ لِبَنِي آدَمَ، مِنْ مَرَضٍ بِطاعونٍ وَغيره، وَمِنْ جُوعٍ وَغيره، وَبأسبابٍ خاصَّةٍ، فالذين يَعتادونَ القِتالَ لا يُصِيبُهُم أَكْثَرُ مما يَصِيبُ مَنْ لا يُقاتِلُ، بل الأَمْرُ بالعكسِ كما قد جَرَّبه النَّاسُ، ثم مَوتَ الشَّهيدُ مِنْ أيسرِ المِيتاتِ، وَهذا أَمْرٌ يَعرِفُه النَّاسُ مِنْ أَهلِ طاعةِ اللَّهِ، وَأهلِ مَعْصِيَتِهِ».

فهنيئًا للمصطفين الأخيار من أهل غزة الأبرار الذين ارتقوا إلى منازل الشهداء في صحبة الأنبياء، والله تعالى بهم أعلم، وصبرًا لأولئك الفضلاء المرابطين على الثغور، الصابرين على اللأواء والأدواء،

وتسلط الأعداء وخيانة الأقرباء، ووعدًا لأولئك المتألمين في شتى بقاع المعمورة، بما أعده الله تعالى وهياه في الصراع الإسلامي اليهودي، حتى يعين فيه الحجر والشجر المسلمين في قتالهم لقتلة الأنبياء ومستبيحي الحرمات ومبديي كلام الله تعالى.

«فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ» {التوبة - 52}

كلية علم النفس الإسلامي

قاعدة

لا مشاحة في الاصطلاح

واعتمادها في مجال علم النفس الإسلامي

بحث مقدم للتحكيم

إعداد

محمد محمود مصطفى حسنين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد؛

فإن علم النفس الإسلامي كمصطلح مركب يدل بلفظه ومفهومه على اعتبار الإسلام (قرآنًا وسنةً، وما يتبعهما من أدلة معتبرة) أحد المصادر الأصلية في التعامل مع النفس الإنسانية بما يتضمنه لفظ (النفس) من الأفكار والمشاعر والسلوكيات والقيم والقناعات، مع ما أقرّه علم النفس العام أو الغربي من مصادر للمعرفة كالعقل والمشاهدة والتجربة، مع ضرورة تقييد وسيلة التجربة بما تقتضيه الحقوق الشرعية للأفراد.

ولما كان القيد بـ(الإسلامي) يحتم على من تبناه أن يعتمد على الأصول والقواعد المستقرة في فهم مصطلحات وعبارات الشارع الحكيم في القرآن الكريم وجوامع كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما ثبت عنه، كما أن فهم لغة العرب ومدلولات ألفاظها، وسياقات استخدامها في غاية الأهمية كذلك.

فإن العالم العربي والإسلامي يعاني معاناة حقيقية في ترجمة كتب العلوم الإنسانية والاجتماعية بلغات أصحابها الإنجليزية والفرنسية والهندية والروسية والصينية، دون اعتبار المصطلحات ودلالاتها.

وكانت حركة النقل والترجمة مجالًا واسعًا لنفرٍ من المستشرقين في ترسيخ شُبُههم حول العلوم الإسلاميّة، واشتقاقها من علوم سابقة، وفي هذا سعي إلى التوكيد، عندهم، على عدم أصالة العلوم الإسلامية، ذلك التوكيد الذي يؤدي إلى الزعم بأن الإسلام، جميعه، مستمد من الثقافات السابقة عليه، لأنه - كما يقول هذا نفر من المستشرقين - تجميع من الثقافات النصرانية واليهودية واليونانية، وربما الهندية والفارسية كذلك.¹

¹ - محمد، ماهر عبد القادر، انتقال التراث اليوناني إلى العالم الإسلامي ودوافع حركات الاستشراق، بدون ص: 165 - 206.

ونتيجة الاعتماد على بعض النقلة غير المتخصصةين - صاحب النقل عجز في الدقة والعمق، لا سيما في معرفة المصطلحات، واللغات العلمية للموضوعات المنقولة...؛ ولذلك عمد الخلفاء إلى تكليف النقلة والمترجمين في إعادة بعض الترجمات من جديد، كما فعل الكندي في إعادة ترجمة كتاب الربوبية؛ لأرسطو.² ويمكن القول أن هذا هو ما حدث تمامًا، بل وزيادة، في عصرنا الحالي بترجمة كتب البوذيين والسيخ والهندوس ونقل عقائد وطقوس وممارسات على أنها تقنيات علاجية أو ممارسات ذهنية وتطويرية تحت مسمى التنمية البشرية.

وبناء عليه فيمكن القول أن هذه الترجمات بتلك الممارسات العشوائية وعدم الانضباط بقواعد وأسس الشرع وعادات المسلمين ساهمت وبشكل كبير في تفتيت الثقافة الإسلامية قديمًا باستثناء المنطق والجدل، وبالتالي علم الكلام، ونشوء فرقٍ آثرت تغليب العقل على النقل، شجّعها بعض الخلفاء وتبنوا أفكارها، فكانت محنٌ كقطع الليل المظلم، تصدّى لها العلماء، فكان على أيديهم استمرار حفظ هذا الدين، وأبرز هذه الفرق فرقة المعتزلة، التي كان لها شأن كبير في الطور الثاني من أطوار النقل والترجمة في الخلافة العباسية، حيث تبنّاها الخليفة المأمون، ودفع الناس لتبنيها، وأوصى من بعده بتبنيها، وكانت أثرًا من آثار ظاهرة النقل والترجمة عن اللغة الإغريقية أي: (اليونانية).³

وكما لا يخفى على المتخصصين في مجال الترجمة أن كان لنتيجة الاعتماد على النقلة من اللغة السُريانية أن جاءت بعض النقول وهي تفتقر - كما قيل - إلى الأمانة العلمية، حيث كان للسُريان أثرهم في طمس بعض الفكر، التي رأوا أنها تتعارض مع توجهاتهم الدينية، وكان معظمهم من النساطرة الذين خاضوا في طبيعة المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام، فقامت المراكز السُريانية بالانحياز في التوجه لغرض تأييد ما ذهبوا إليه، فانعكس هذا على ما نقلوه إلى اللغة العربية، أو ما نقل عنهم إليها.⁴

² - انتقال التراث اليوناني إلى العالم الإسلامي ودوافع حركات الاستشراق، مرجع سابق، ص: 165 - 206.

³ - ينظر مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية؛ حكمت عبدالكريم فريجات وإبراهيم ياسين الخطيب - ص: 62. المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية - أحمد شوقي إبراهيم العمرجي: القاهرة: مكتبة مدبولي، 2000م.

⁴ - النملة، علي بن إبراهيم، مقال منشور على الشبكة بعنوان "سلبيات الترجمة" تاريخ النشر 2017/8/3 ميلادي -

1438/11/11 هجري بتصرف يسير

وكان هناك جملة من الثقل لم يكونوا يجيدون اللغتين: المنقولة إليها، والمنقولة منها إجادةً تامة، وبعضهم لا يجيد لغةً من اللغتين إجادةً تامة، وهذا بين في ضبط وفهم طبيعة اللغة العربية ومدلولات ألفاظها وسياقات الكتابة فيها، وكان لهذا أثره على عدم الوضوح في الأفكار المنقولة، ويأتي التأكيد هنا على عدم الإجادة التامة، التي تُؤهل صاحبها إلى النقل والترجمة من اللغة وإليها.

وفيما سبق كفاية في استشراف التبعات والعواقب الخطيرة على حياة المسلمين والعرب جزاء الترجمات الانحيازية أو غير المحترفة أو غير المعتمدة.

ولما كان الأمر كذلك فقد سرت هذه الإشكالية إلى كثير من العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومنها علم النفس، وبدلاً من كون الإنسان خليفة لله تعالى في الأرض محققاً لمعنى الاستخلاف وعمارة الكون والدلالة على الخالق، أصبح هو مركز الكون، وإله نفسه، ومشرعاً لنفسه ولغيره ممن ارتضاه.

وسرت إلى المجتمع المسلم قواعد وأصول وممارسات وتقنيات علاجية وتربوية ونفسية ليست مخالفة لأعراف وطبائع وقواعد حياة المسلمين فحسب، بل مناقضة تماماً لمفاهيم الشريعة الإسلامية من التوحيد والعبادات والمعاملات.

فكان لزاماً على الباحثين المتخصصين في هذا المجال المبادرة والمشاركة للبحث والتنقيب والاستمداد من نصوص الوحيين وما استقر من أدلة الشريعة الإسلامية لوضع قواعد وأسس علم النفس الإسلامي، والتربوي، والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، أي: في كل مناحي الحياة.

ومن نافلة القول أن الإسلام ينظر للإنسان إبان تشريعه للأحكام نظرة كلية متكاملة، من غير فصل بين العقل والجسد والروح، لأن الإنسان كلٌّ متكامل، لا يمكن النظر إليه إلا باعتباره وحدة واحدة، لذلك جاء الالتفات حال تشريع الأحكام إلى ما يلي ويشعب ويستجيب لاحتياجات الجسد والعقل والروح؛ ليتمكن الإنسان من القيام بمهمة الاستخلاف في الأرض، وعبادة الله تعالى حق القيام، وبهذا تتجلى روعة التشريع وحكمته، المتمثلة في نظم العلاقة بين هذا المثلث بطريقة لا يمكن أن يلتفت إليها، ولا يتقنها إلا من كان عالماً بأحوال هذا المخلوق البشري.

ومع تنوع الأقسام، وزيادة الفروع المتعلقة بعلم النفس، كان لابد للباحثين النفسيين والإسلاميين من البحث والدراسة والتحرير والضبط والاستنباط لما يجب أن يكون النواة الحقيقية لمشروع علم النفس

الإسلامي، والذي يعتبر ضرورة ملحة، ومن نافلة القول أن تثبت حاجة الأمة كلها، بل والعالم بأسره لهذا النوع من التنظير والتطبيق العملي في حياة الناس، كل الناس.

وهو مسار شائك ومتشعب، وكثير التحريرات والضوابط، وخاضع للمراقبة والمراجعة والنقد، بل والقبول والرفض من أطراف متعددة من الأكاديميين، بل والممارسين من كلا الجانبين؛

• جانب العلماء والمشايخ وطلبة العلم الشرعي لقناعة بعضهم بعدم جدوى هذا الطرح على الإطلاق، وأن التطبيق الظاهر لأحكام القرآن الكريم والسنة النبوية كافٍ ووافٍ بكل متطلبات الحياة النفسية الهادئة والمطمئنة.

• وعلى الطرف الآخر من علماء النفس ممن قَصَرُوا دور الأديان على الجانب الروحاني دون الخوض في تفصيلات علم النفس العام وفروعه، بل ورفض مجرد فكرة السماح للأديان، بالتدخل في قواعد وأسس وفروع وتطبيقات علم النفس.

وبناء عليه؛ فإن من الضروري خوض غمار هذا المجال بحرص زائد، ووعي كبير، وإدراك شديد، لطبيعة التخصص، ووجوب رسوخ الأفكار، وضبط المعايير، بل ووضع الحدود، وإطلاق قطار البحث العلمي المتخصص المتين.

ونحن أمام مقاربتين مختلفتي المنهج، متفقتي الهدف والمقصد:

• ممارسات، وهي التي تؤدي إلى ضبط المصطلحات وتحرير التعريفات، فيكون التطبيق العملي والممارسات السلوكية الواقعية هو النواة التي تنتج تعريفات وحدودًا ومعايير للعلم وفروعه.

• ضبط المصطلحات وتحرير الحدود والتعريفات، وهو الذي يؤدي إلى ظهور نظريات وحقائق وتقنيات يمكن استخدامها بوعي لتحقيق التطبيق والممارسة الفاعلة في خدمة المجتمع في كل المجالات.

ولكل وجهة هو موليها، وإن كنت أميل غالبًا إلى المقاربة الثانية، ولعل ذلك للخلفية الشرعية التي تنادي بأن الحكم على شيء فرع عن تصوره⁵، وأن التعريفات، إن كانت جامعة مانعة، فهي الباب الأكبر لتحرير فروع أي علم، وأن الأصول أولى بالاهتمام والضبط من الفروع، فإن صح الأصل يصح الفرع غالبًا، ورغم قبولي بالمقاربة الأولى كذلك، وفق قاعدة متينة وأصيلة بأن تكون الممارسات منضبطة بشروط يتم التقعيد لها، حتى لا تتحول الناس والمؤسسات النفسية إلى معامل تجريبية بلا ضابط ولا هوية، ولأنها إسلامية فلا بد أن تنطلق كذلك من عدم معارضتها ولا مخالفتها لصريح الكتاب والسنة وما أجمعت عليه الأمة، وفق ما هو متبع.

على أن ضبط بعض المصطلحات وتحرير بعض التعريفات مما من شأنه أن يحل كثيرًا من الإشكاليات ويجلي كثيرًا من الغموض، كتحرير معنى النفس في الإسلام، والروح، وكذلك الأفكار والمشاعر والاضطرابات.

ولمرونة اللغة العربية وكثرة مرادفاتها، وتنوع أساليبها، وجودة دلالاتها وإسقاطاتها على العام والخاص، والمطلق والمقيد، كان لزامًا توفر المصطلحات والعبارات الدالة على المقصود في كل علم من العلوم، وهو عمل مجامع اللغة العربية المنتشرة في كل ربوع العالم العربي والإسلامي، على ما يمكن أن يعتري بعض قراراتها من خلاف التنوع المقبول، أو الأوهام التي يمكن الدلالة عليها في مقالات أخرى.

ومن القواعد المستقرة والتي تدل على تنوع اللغة العربية ومرونتها وسعة مرادفاتها، قاعدة (لا مشاحة في الاصطلاح)

وقد تناولتها في بحثي هذا مع بيان أهميتها والحاجة إليها في العلوم النفسية والاجتماعية ولا سيما علم النفس الإسلامي، موضوع البحث.

وقد بنيت على :

المقدمة، وفيها أهمية الموضوع والتنبيه على مسألة الترجمة الانحيازية أو المحرفة وأثرها على البيئة الإسلامية

⁵ - الحسيني، أحمد بن محمد مكي، أبو العباس، شهاب الدين الحموي الحنفي (المتوفى: 1098هـ) غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، 1405هـ - 1985م، (314/2)، وينظر: الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني (812 - 893 هـ)، : سعيد بن غالب كامل المجيدي، أصل الكتاب: رسالة دكتوراة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، : الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1429 هـ - 2008 م

الفصل الأول: في تقرير قاعدة لا مشاحة في الاصطلاح، وفيه:

المطلب الأول: بيان القاعدة وذكرها في كلام الأئمة.

المطلب الثاني: شرح القاعدة بما يقتضيه المقام.

المطلب الثالث: بيان شروط اعتماد القاعدة والعمل بها.

الفصل الثاني: في أهمية هذه القاعدة للتأصيل في علم النفس الإسلامي.

الفصل الثالث: تطبيق عملي على مصطلح السعادة في القرآن وعلم النفس العام.

ثم الخاتمة والمراجع.

وسميته عند الشروع فيه: قاعدة لا مشاحة في الاصطلاح واعتمادها في مجال علم النفس الإسلامي.

والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا به سبحانه.

الفصل الأول: في تقرير قاعدة لا مشاحة في الاصطلاح

المطلب الأول: بيان القاعدة وتواتر ذكرها في كلام الأئمة.

وهذه جملة عبارات أئمة الأصول في مؤلفاتهم لتأصيل وترسيخ هذه القاعدة:

فقد عبّر عنها الإمام الغزالي، رحمه الله تعالى، بعدة عبارات فقال: فلا مشاحة في الألقاب،

وقال: لا مشاحة في الألفاظ بعد معرفة المعاني،

وقال: فلا مشاحة في الألفاظ،

وقال: وهذه الاصطلاحات وإن اختلفت فلا مشاحة فيها، إذ المعنى متفق عليه،

وقال: ولا مشاحة في الأسماء⁶.

ونصّ بعضهم على أنه لا إشكال في الاصطلاح بشرط شرح هذا الاصطلاح وإيضاحه والتنبيه على المراد

منه، ومنها قولهم: فلا مشاحة في الأسماء بعد الاتفاق على المسميات⁷.

فلا مشاحة في اللفظ⁸، وقولهم: ولا مشاحة في الاصطلاح⁹.

وكذلك: وإن كانت اصطلاحية فلا مشاحة في الاصطلاح¹⁰، ومنها: إن كانت اصطلاحية فلا مشاحة

في الاصطلاح¹¹

⁶ - الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (المتوفى: 505هـ) المستصفي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، 1413هـ - 1993م، ص (10، 33، 46، 76، 305).

⁷ - ابن الدهان، محمد بن علي بن شعيب، أبو شجاع، فخر الدين، (المتوفى: 592هـ)، تقويم النظر في مسائل خلافية ذائعة، ونبذ مذهبية نافعة، : د. صالح بن ناصر بن صالح الخزيم، مكتبة الرشد - السعودية الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م (1/ 352)

⁸ - الأمدي، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم النعالي (المتوفى: 631هـ)، الإحكام في أصول الأحكام :: عبد الرزاق عفيفي : المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان (4/ 221)

⁹ - ابن البخاري، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (المتوفى: 730هـ) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، دار الكتاب الإسلامي الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ 121/3

¹⁰ - الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الشافعي، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 772هـ) التمهيد في تخرج الفروع على الأصول، د. محمد حسن هيتو : مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، 1400، (ص: 58)

¹¹ - الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 772هـ)، نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، دار الكتب العلمية - بيروت-لبنان الطبعة: الأولى 1420هـ- 1999م، (ص: 24)

بل تقرر أن العبارات لا مشاحة فيها، ولا يبني على الخلاف فيها حكم، فلا اعتبار بالخلاف فيها.¹²

ونبه العلماء على القصد فيه بقولهم: وإن قصدوا اصطلاحهم عليه فلا مشاحة في الاصطلاح.¹³

وجرت كقاعدة في معرض الجدل وسوق الخلاف بقولهم: ثم هذا اصطلاح ولا مشاحة فيه باصطلاح غير أهله.¹⁴

ثم إن الفقهاء يسمون محل الوفاق أصلاً، ومحل الخلاف فرعاً، ولا مشاحة في الاصطلاحات، ولا يتعلق بتطويل البحث في هذا كثير فائدة.¹⁵

ومن هنا قالوا لا مشاحة في الاصطلاح يعني: أن الألفاظ قوالب للمعاني والهدف منها نقل الأفكار من ذهن المتكلم أو الكاتب إلى ذهن السامع أو القارئ، وما دام اللفظ المعين أيّاً كان موضوعاً بإزاء معنى في فن معين ولا يستعمل إلا داخل هذا الفن فلا بأس باستعماله.¹⁶

وبالجمله أن المسألة لفظية محضة، فإننا لا ننكر انقسام "الفرض" إلى مقطوع، وإلى مظنون، وقد عرف أن لا مشاحة في الألفاظ بعد أن حصل الاتفاق على المعاني.¹⁷

12 - الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م، (5/ 218)

13 - الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بشار، البحر المحيظ في أصول الفقه، دار الكتبي الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1994م، (1/ 241)

14 - ابن أمير حاج، أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن أمير حاج ويقال له ابن الموقت الحنفي، التقرير والتحبير، دار الكتب العلمية الطبعة: الثانية، 1403هـ - 1983م، (1/ 84)

15 - الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليميني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي الطبعة الأولى 1419هـ - 1999م، (2/ 105)

16 - عبد الوهاب، علي جمعة محمد (مفتي مصر)، المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - القاهرة الطبعة: الأولى - 1417هـ - 1996م، (ص: 15)

17 - الأرموي، صفي الدين محمد بن عبد الرحيم الهندي، نهاية الوصول في دراية الأصول، د. صالح بن سليمان اليوسف - د. سعد بن سالم السويح أصل الكتاب: رسالتا دكتوراة بجامعة الإمام بالرياض: المكتبة التجارية بمكة المكرمة الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1996م، (2/ 522)

ومن الأئمة من أشار إلى انطلاق العموم في الأفعال على جهة الحقيقة، فهذه مشاحة لا كبير طائل تحتها.¹⁸

وكانت هذه القاعدة هي التي يتخرج عليها ويتفرع كثير من الاصطلاحات المتعلقة بمختلف الفنون؛ إذ لا مشاحة في الاصطلاح ولكل أحد أن يصطلح على ما شاء.¹⁹ وإذا ضُبِّطَت المدلولات وتحرَّرت المعاني فلا مُشاحَة في الاصطلاح.²⁰

وقد قيّد بعضهم الاستعمال المطلق في الاصطلاحات فقالوا: ولا مشاحة في الاصطلاح، إذ لا يمنع أحد من استعمال لفظ في معنى صحيح لا محذور فيه شرعاً.²¹ فقيده بالمعنى الصحيح والمباح شرعاً.

فلا مشاحة في الاصطلاح إذا عرف المعنى والحكم.²² وإذا عاد الأمر إلى الإطلاق اللفظي فالنزاع لفظي ولا مشاحة فيه.²³ فلا مشاحة في العبارة بعد معرفة المعنى.²⁴

ومن اللطائف سريان هذه القاعدة التي اختص بها أهل الفقه والأصول إلى أهل الحديث واصطلاحاته، فعقّب الإمام العراقي في "ألفيته" على الإمام البغوي في "مصايح السنة" بقوله:

وَالْبَغَوِيُّ إِذْ قَسَّمَ الْمَصَائِحَ ... إِلَى الصِّحَاحِ وَالْحِسَانِ جَانِحًا

18 - المازري، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر، إيضاح الموصول من برهان الأصول، د. عمار الطالبي: دار الغرب الإسلامي الطبعة: الأولى، (ص: 271)

19 - الشنقيطي، عبد الله بن إبراهيم العلوي، نشر البنود على مراقبي السعود، تقديم: الداوي ولد سيدي بابا - أحمد رمزي، مطبعة فضالة بالمغرب الطبعة: (بدون طبعة) (بدون تاريخ)، (1/ 102)

20 - الزبيدي، بلقاسم بن ذاكِر بن محمد، الاجتهاد في مناهج الحكم الشرعي دراسة تأصيلية تطبيقية، أصل الكتاب: رسالة دكتوراة من قسم أصول الفقه بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى عام 1435 هـ إشراف: أ. د. غازي بن مرشد العتيبي: مركز تكوين للدراسات والأبحاث الطبعة: الأولى، 1435 هـ - 2014 م، (ص: 55)

21 - السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، الحاوي للفتاوي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان عام النشر: 1424 هـ - 2004 م، (2/ 161)

22 - ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، فتاوى مهمة تتعلق بالحج والعمرة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية 1421 هـ، ص11

23 - ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، 1411 هـ - 1991 م، (4/ 138)

24 - الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996 م، (2/ 168)

أَنَّ الْحِسَانَ مَا رَوَّاهُ فِي السُّنَنِ ... رُذِّ عَلَيْهِ إِذْ بَهَا غَيْرُ الْحَسَنِ²⁵

فقد اصطلاح البغوي اصطلاحًا في "المصاييح" خلاف ما جرت عليه عادة أهل الحديث، والقبول والرد، فاصطلاح على وصف الحديث بالصحيح إن كان في "الصحيحين" أو أحدهما، وبالحسن إن كان في "السنن الأربعة" أو أحدها، وقد رد عليه بقوله "ورد عليه إذ بها غير الحسن" أي: في هذه "السنن" ما هو أنزل عن مرتبة الحسن، ففيها الضعيف وغيره.

وقد قال، رحمه الله، في "مقدمة المصاييح": وتجد أحاديث كل باب منها تنقسم إلى صحاح وحسان، أعني بـ (الصَّحاح) ما أخرج الشيخان: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، رحمهما الله، في جامعهما، أو أحدهما.

وأعني بـ (الحِسان) ما أورده أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني وأبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي وغيرهما من الأئمة في تصانيفهم رحمهم الله، وأكثرها صحاح بنقل العدل عن العدل غير أنها لم تبلغ غاية شرط الشيخين في علو الدرجة من صحة الإسناد إذ أكثر الأحكام ثبوتها بطريق حسن، وما كان فيها من ضعيف أو غريب أشرت إليه وأعرضت عن ذكر ما كان منكراً أو موضوعاً والله المستعان وعليه التكلان.²⁶

قال ابن الصلاح، رحمه الله تعالى: "ما صار إليه صاحب "المصاييح" - رحمه الله - من تقسيم أحاديثه إلى نوعين: الصحاح، والحسان، مريداً بالصحاح: ما ورد في أحد الصحيحين أو فيهما، وبالحسان: ما أورده أبو داود والترمذي وأشباههما في تصانيفهم، فهذا اصطلاح لا يعرف، وليس الحسن عند أهل الحديث عبارة عن ذلك. وهذه الكتب تشتمل على حسن وغير حسن كما سبق بيانه، والله أعلم"²⁷

25 - السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد، فتح المغيبي بشرح الفية الحديث للعراقي، تحقيق: علي حسين علي، : مكتبة السنة - مصر، الطبعة: الأولى، 1424هـ / 2003م (1/ 100)

26 - البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي، مصاييح السنة، تحقيق: الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، محمد سليم إبراهيم سمارة، جمال حمدي الذهبي : دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1407 هـ - 1987 م، (110/1).

27 - ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبوعمر، تقي الدين المعروف بابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، عبد اللطيف المهيم - ماهر ياسين الفحل : دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى سنة النشر: 1423 هـ / 2002 م، ص710

وسبب الرد وعدم قبول المصطلح، رغم قاعدة لا مشاحة في الاصطلاح، أنه اصطلاح يهدم ما استقر في القرون قبله من علماء الحديث والرواية وأصول الحديث من ضبط أحاديث السنن كلها ومعرفة ما فيها من الصحيح والحسن والضعيف وما هو أقل رتبة عن ذلك، فردوا المصطلح ولم يقبلوه مخافة الإيهام، ونحن وإن كنا نقول: إنه لا مشاحة في الاصطلاح؛ لكنه ينبغي أن يكون في الاصطلاح ما يميزه عن سواه، ولا يبهمه في غيره، أو يخلطه بما ليس منه.²⁸

ونعود بالتذكير إلى أن أزمة المصطلحات لا تكاد تنفك عن علم من العلوم، ونحن بحاجة إلى النظر فيها لتحرير محلّ النزاع، أو لما قد يترتب عليها من معلومات فيها خلل، لذا فإن ما يقال: إنه لا مشاحة في الاصطلاح، فإنه ليس على إطلاقه، نعم، لا مشاحة في الاصطلاح إذا كان لا يغيّر حقائق الأمور، ولا يترتب عليه معلومات شرعية وعلمية خاطئة.²⁹

وخلاصة هذا: أنه لا مشاحة في الاصطلاح؛ لأن العبرة في المصطلحات هو ما تعارف عليه أهل كل مصطلح وتناقلوه فيما بينهم، بغض النظر عن الاختلاف في معاني المصطلحات من ناحية اللغة.³⁰

²⁸ - الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية برقم 5/951 وتاريخ 1406/8/5 الطبعة: الأولى 1407هـ-1986م، (2/457)

²⁹ - الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقويمية للإعجاز العلمي، دار ابن الجوزي الطبعة: الثانية، 1433 هـ، مقدمة بلا صفحات.

³⁰ - القصير، أحمد بن عبد العزيز بن مُقَرّن، الأحاديثُ المشكّلةُ الواردةُ في تفسير القرآنِ الكريم (عَرْضٌ ودراسةٌ)، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1430 هـ، ص33

المطلب الثاني: شرح القاعدة بما يقتضيه المقام

معنى هذه القاعدة: أن الخلاف إذا كان واقعاً في الأمور الاصطلاحية فإنه لا ينبغي عليه حكمٌ، ولا اعتبار به.³¹ وهذا يظهر فيما لو حصل الاتفاق على المعنى واختلفوا في التسمية أو في اللفظ، فلا بُدَّ إذًا من تقدير تتمّة لهذه القاعدة، وهي: (بعد الاتفاق على المعنى).³²

و(المشاحّة) بتشديد الحاء: الضيّنة، وقولهم: (تشاحّا على الأمر)؛ أي: تنازعاها؛ لا يريد كلُّ واحد منهما أن يفوته ذلك الأمر.³³

و(الاصطلاح): افتعال من الصُّلح، وهو اتِّفاق القوم على وضع الشيء، وقيل: إخراج الشيء عن المعنى اللغوي إلى معنًى آخر لبيان المراد، ويستعمل الاصطلاح غالباً في العلم الذي تحصل معلوماته بالنظر والاستدلال.³⁴

المطلب الثالث: بيان شروط اعتماد القاعدة والعمل بها.

وقاعدة (لا مُشاحّة في الاصطلاح) ليست على إطلاقها، بل هنالك شروطٌ لا بُدَّ من اعتبارها وتقييد القاعدة بها، وسبق التلميح إليها في المطلب الأول، وهي أربعة شروط:

1- وجود مناسبة مُعتَبَرة تجمع بين الاصطلاح ومعناه، وإلّا كان تخصيص أحد المعنيين بعينه بذلك اللفظ بعينه ليس أوّلى من العكس.

2- ألاّ يكون في هذا الاصطلاح مخالفة للوضع اللغوي أو العرف العام.

3- ألاّ يكون في هذا الاصطلاح مخالفة لشيء من أحكام الشريعة.

31 - الموافقات؛ مرجع سابق، (218/5).

32 - الجيزاني، محمد بن حسين، مقال نشر في 2010/8/31 ميلادي - 1431/9/22 هجري

33 - الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط؛ المؤسسة العربية بيروت. (289/1).

34 - الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، الكليات؛ قَابَلَه: د. عدنان درويش ومحمد المصري، ط1، 1412 هـ، مؤسسة الرسالة بيروت. ص129-130

4- ألا يترتب على هذا الاصطلاح الوقوع في مفسدة اختلاط المصطلحات.

وقد أجمل هذه الشروط الإمام ابن القيم بقوله: "والاصطلاحات لا مُشَاخَّةَ فيها إذا لم تتضمن مفسدة"³⁵. وبهذا يتبيّن أن القدر الجامع لهذه الشروط الأربعة هو: ألا يفضي هذا الاصطلاح إلى مفسدة، وهذه المفسدة قد تكون مفسدة لغوية أو مفسدة عرفية أو مفسدة شرعية أو مفسدة اصطلاحية، وهي ما يرجع إلى المنهج.

وقد بيّن الزركشي هذه الشروط عندما قال: "إن كان ما قاله راجعاً إلى مجرد الاصطلاح فالأمر فيه قريب إلا أنه يجب في مثله التحرُّر عن استعمال اللفظ بالنسبة إلى المعنى عن اختلاط الاصطلاحين؛ فإنه يوقع غلظاً معنوياً.

وأيضاً فالمصطلح على شيء يحتاج إلى أمرين إذا أراد أن يكون اصطلاحه حسناً:

أحدهما: ألا يخالف الوضع العام لغةً أو عرفاً.

الثاني: أنه إذا فرق بين متقارنين يُبدِي مناسبةً للفظ كل واحد منهما بالنسبة إلى معناه، وإلا كان تخصيصه لأحد المعنيين بعينه بذلك اللفظ بعينه ليس أوّلى من العكس"³⁶.

وقد تعارف أهل العلم علي استخدام مصطلحات معينة، لأغراض مختلفة، وفي مجالات متنوعة من العلوم والمعارف، وهي علي نوعين:

النوع الأول: الألفاظ الموضوعية من قبل الشارع الحكيم في القرآن الكريم أو السنة النبوية، كلفظ الصلاة، والزكاة والصيام والحج وغير ذلك.

وهذا حكمه بقاءه علي من هو عليه، ولا يجوز لتكلم في هذه الأمور تغييرها أو تبديل أخرى بها لفظاً ومعنى.

النوع الثاني: مصطلحات وضعت لتقريب فن من الفنون، أو لتوضيحه وتيسير الحصول علي مطالبه،

³⁵ - مدارج السالكين؛ مرجع سابق (306/3).

³⁶ - البحر المحيط في أصول الفقه، مرجع سابق، (242/1).

وهذا النوع كذلك علي قسمين:

القسم الأول: ما لم يقصد من وضعه إلا ما ذكر؛ من تقريب معاني العلوم وتيسيرها، كما هو الشأن في أكثر المصطلحات الموجودة في الكتب الشرعية والإسلامية.

وهذا حكمه جواز استعماله فيما وضع له خاصة، وألا يتعدى ذلك إلي حمل معاني النصوص الشرعية عليه، أو تنزيل كلام الأئمة المتقدمين على مقتضاه ما لم يكن ذلك مرادهم.

القسم الثاني: ما قصد به معنى باطل؛ كصرف النصوص الشرعية عن ظواهرها، وتعطيلها من معانيها الحقيقية، أو ردها بالجملة وإبطال القول بموجبها.

وهذا القسم موفور في الكتب الكلامية والفلسفية.³⁷ وهذا القسم، الحكم فيه واضح.

ولا ننكر أن يحدث في كل زمان أوضاع لما يحدث من المعاني التي لم تكن قبل، ولا سيما أرباب كل صناعة، فإنهم يضعون لآلات صناعتهم من الأسماء ما يحتاجون إليه في تفهيم بعضهم مراد بعض عند التخاطب، ولا تتم مصلحتهم إلا بذلك، وهذا أمر عام لأهل كل صناعة مقترحة أو غير مقترحة، بل أهل كل علم من العلوم قد اصطالحوا على ألفاظ يستعملونها في علومهم تدعو حاجتهم إليها للفهم والتفهم، فهذه الاصطلاحات الحادثة والتي يعرف فيها الوضع السابق على الاستعمال، وليس الكلام فيها.³⁸

وإنما وضعت هذه المصطلحات، أي: مصطلحات الفنون لتقريب معاني كل فن، وضبط قواعده ومباحثه، وهذا من أصدق الأدلة علي عظيم الجهود المبذولة في خدمة العلم وتذليل صعابه، وتقريب بعيده، وجمع متفرقة من أهل العلم في كل عصر ومصر.³⁹

37 - الثاني، محم الثاني بن عمر بن موسى، التقييد والإيضاح لقولهم لا مشاحة في الاصطلاح مقال منشور في مجلة الحكمة، 2021

38 - الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم، مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة، اختصره: محمد

بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلبي شمس الدين، ابن الموصللي، سيد إبراهيم: دار الحديث، القاهرة - مصر، ص 332

39 - أبو زيد، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد، فقه النوازل، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى - 1416 هـ، 1996 م، (127/1).

ومن أعظم أسباب الغلط في فهم كلام الله ورسوله أن ينشأ الرجل على اصطلاح حادث فيريد أن يفسر كلام الله بذلك الاصطلاح ويحمله على تلك اللغة التي اعتادها.⁴⁰

وينضاف إلى ذلك تنزيل كلامه (تعالى) على الاصطلاحات التي أحدثها أرباب العلوم من الأصوليين والفقهاء وعلم أحوال القلوب وغيرهم؛ فإن لكل من هؤلاء الاصطلاحات حادثه في مخاطباتهم وتصانيفهم فيجيء من قد ألف تلك الاصطلاحات الحادثه وسبقت معانيها إلى قلبه فلم يعرف سواها فيسمع كلام الشارع فيحمله على ما ألفه من الاصطلاح فيقع بسبب ذلك في الفهم عن الشارع ما لم يرده بكلامه ويقع من الخلل في نظره ومناظرته ما يقع وهذا من أعظم أسباب الغلط عليه مع قلة البضاعة من معرفة نصوصه فإذا اجتمعت هذه الأمور مع نوع فساد في التصور أو القصد أوهما ما شئت من خبط وغلط واشكالات واشتمالات وضرب كلامه بعضه ببعض وإثبات ما نفاه ونفي ما أثبتته والله المستعان.⁴¹

الفصل الثاني: في أهمية هذه القاعدة للتأصيل في علم النفس الإسلامي

وكما سبق في المقدمة من بيان أهمية ضبط المصطلحات والتعريفات والحدود المتعلقة بكل علم، ولا سيما علم النفس الإسلامي لكونه يعتمد النظرية المعرفية الإسلامية وليس الغربية أو الشرقية، مع قبول ما لا يناهض الشريعة أو يصادمها.⁴²

وإذا كان الأمر كذلك، فلا بد من ضبط المصطلحات المتعلقة بالنفس وأحوالها وسلامتها ومرضها واضطرابها، وتعريف علم النفس عند الغرب أو علم النفس العام، والفرق بينه وبين تعريف علم النفس الإسلامي، وقد أدى الخلط الكبير بينهما إلى حدوث نتائج مخيفة ومزعجة في وصف ما هو إسلامي وليس كذلك، ومن ذلك:

40 - ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، مجموع الفتاوى، جمعها: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م، (107/12)

41 - الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية - بيروت، بدون، (272/2)

42 - مصطفى، محمد محمود، المدخل إلى علم النفس الإسلامي، مكتبة الأسرة العربية، إسطنبول - تركيا، الطبعة الأولى 2023، ص

محاولة بعضهم⁴³ صبغ نظرية سيجموند فرويد⁴⁴ بصبغة إسلامية، بقطع النظر عن قبولها أو ردها في ذاتها، فجعل أحوال النفس من المطمئنة واللوامة والأمانة بالسوء الواردة في القرآن الكريم ليست إلا شرحاً لمعنى الهو والأنا والأنا العليا في نظرية التحليل النفسي لفرويد.

ومن هنا ظهرت الحاجة الملحة والواجبة لضبط مصطلحات هذا الفن وما يتعلق به في التخصص النفسي بأنواعه والتربوي وأنواعه؛ إذ مستقر أنه لا ينبغي العدول عن الألفاظ العربية الأصيلة ولا سيما الشرعية عن معناها الأصلي الذي وضع لها إلى معانٍ أخرى بعيدة دون حاجة أو ضرورة تدعو إلى ذلك.

ويمكن جمع تعريفات علم النفس العام أو الغربي فيما يلي:

ويمكن تعريفه بأنه "العلم الذي يدرس سلوك الإنسان أي يصف هذا السلوك ويحاول تفسيره".

وكذلك يعرف بـ " العلم الذي يدرس سلوك الكائن الحي كوظيفة دماغية وانعكاس حي لتفاعله مع الواقع الحياتي الذي يعيش فيه، وهو علم من العلوم البينية يهدف إلى وصف السلوك وتفسيره وتعديله والتنبؤ به".

ومن تعريفات علم النفس أيضاً " العلم الذي يدرس السلوك الإنساني دراسة علمية مستخدماً الأدوات والمفاهيم والمقاييس والمناهج والطرق التي يستخدمها العلم".⁴⁵

43 - الأظن، راتب، قالت لي النفس، مكتبة الأسرة العربية، الطبعة الأولى 2021.

44 - سيجموند فرويد طبيب أعصاب نمساوي يهودي، أسس مدرسة التحليل النفسي وعلم النفس الحديث، واشتهر بنظريات العقل واللاواعي، من مواليد السادس من مايو/أيار عام 1856، وتوفي في 23 سبتمبر/أيلول عام 1939 في العاصمة البريطانية لندن، ولد سيجموند شلومو فرويد لأسرة فقيرة تنتمي إلى الجالية اليهودية في بلدة بريبور، بمنطقة مورافيا التابعة آنذاك للإمبراطورية النمساوية، ورغم أن فرويد كان يرغب في دراسة القانون، إلا أنه التحق بكلية الطب في جامعة فيينا للدراسة تحت إشراف البروفيسور كارل كلاوس، وفي عام 1881 حصل على درجة الدكتوراه، سعى فرويد جاهداً لإثبات قيمة أسلوب التنويم المغناطيسي في علاج مرضى الهستيريا، واستحدث مفهوم "اللاشعور" أو "اللاوعي" (unconscious) وأدخل هذا المصطلح في علم النفس والتحليل النفسي، وأصبح أحد أهم المفاهيم العلمية والفلسفية في العصر الحديث، ابتكر فرويد مصطلح "عقدة الأب" (Father Complex) في إشارة إلى مجموعة من الأفكار لدى الشخص -طفلاً أو بالغاً- المرتبطة بتجربة الأب وصورته، وهو يشير عموماً إلى مشاكل ناجمة عن علاقة الفرد السيئة مع والده، أما "عقدة أوديب" (Oedipus complex) فهو مفهوم قدمه فرويد، ويشير إلى الرغبة الجنسية اللاشعورية لدى الأبناء تجاه الآباء مع المخالفة في الجنس والكراهية مع الموافقة، أي ميل الابن إلى أمه والبنت لأبيها، وهو ما واجه انتقادات واسعة، له مؤلفات عديدة منها "تفسير الأحلام" و "دراسات في الهستيريا"، وانظر "سيجموند فرويد حياته ونظرياته وأثره، إدجار بيش، ترجمة تيسير شيخ الأرض، و سيجموند فرويد في زمانه وفي زماننا، اليزابيث رورينسكو، ترجمة حرفوش.

45 - عبد النور، كاظم، مدخل علم النفس العام، بدون، ص34

فيلحظ من تعريفاتهم لعلم النفس أنه رصد لسلوك الكائن الحي وتفسيره وتوقعه ثم التحكم فيه، وأنشأوا لذلك مقاييس ومعايير خاصة بكل فرع من فروع هذا التعريف للحصر والقصر والضبط.

فالقصد التعرف على العمليات العقلية والشعورية والسلوكية للإنسان ثم تفسيرها وتوقعها ثم التحكم فيها وتوجيهها، لكن لم يصرح أحد بكيفية توجيهها.

هل توجه وفق معايير مجتمعية أو قيم إنسانية أو مناهج وضعية أو أفكار حدائية أو نماذج غربية أو شرقية؟! هل يتم إغفال الصانع والخالق والمصور الذي خلق الإنسان من طين ثم نفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وكرمه وخلق له ما في السماوات وما في الأرض، وأحل له الحلال وحرم عليه الحرام، وأنزل له الكتب وأرسل له الرسل؟!!

وقد هدم الله تعالى تلکم الفكرة الساذجة بأن الإنسان العاجز قادر على وضع مناهج لإصلاح الإنسان العاجز فقال سبحانه وتعالى: "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" ⁴⁶

أي: كيف لا يعلم سرکم كما يعلم جهرکم وهو الخالق لكم فالخالق يعرف مخلوقه. ⁴⁷

وكما في قوله تعالى: "أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" ⁴⁸، مما يوضح أن الله تعالى كما انفراد بخلق الإنسان وجميع الأكوان، فهو وحده الذي له حق (الحاكمية) على الإنسان، إذ هو سبحانه المنفرد بعلم حقيقته ووجوه نقصه في كل زمان ومكان. ⁴⁹

فمن مظاهر التدبير الإلهي للكون: خلق الله الشمس والقمر وسائر النجوم والكواكب، وكونها جميعاً تحت قهره وتسخيره ومشيتته، فهي خاضعة لأمره وتصرفه، وكل كوكب يدور في فلكه إلى أجل مسمى وموعد محدد. واكتمل لله المادّة والمعنى في قوله سبحانه: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ أي فهو الموجد الخالق لكل شيء،

46 - سورة الملك الآية:14

47 - الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الخامسة، 1424هـ/2003م (398/5).

48 - سورة الأعراف الآية 54

49 - الناصري، محمد المكي، التيسير في أحاديث التفسير، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1405 هـ -

1985 م (508/5)

وهو المتصرف والمدبر لكل شيء تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أي تعاضم وتنزهه، وانفرد بالرَّبُّوبِيَّةِ والألوهية، فوجب على العباد شكره على نعمه وخيراته، وعبادته دون غيره.⁵⁰

وهذه الآية على قلة ألفاظها جمعت معاني كثيرة استوعبت جميع الأشياء والشئون على وجه الاستقصاء حتى قال ابن عمر: من بقي له شيء فليطلبه وهذا الأسلوب البليغ يسمى «إيجاز قِصْر» ومداره على جمع الألفاظ القليلة للمعاني الكثيرة.⁵¹

وعلى هذا يكون تعريف علم النفس الإسلامي: رصد مشاعر وأفكار وقناعات وقيم وسلوكيات الإنسان وتحليلها وتفسيرها وتوقعها وتوجيهها وفق منهج الإسلام.⁵²

وهنا فرق واضح وفجوة كبيرة يصعب على الراق سدها بين النظريتين وما يتمخض عنهما وينبثق، فالنظرية المعرفية الغربية أوجدت علومًا اجتماعية وإنسانية تصب جل منتجها على مركزية الإنسان وأنه إله نفسه ومحور الكون، والغاية من وجوده هي تحقيق ما يصبو له ويرجو ويتمنى بقطع النظر عن كون ما يريده يخالف القيم والأخلاق والشرائع.

والنظرية المعرفية الإسلامية أوجدت علومًا خاضعة لمنهج الله تعالى، فما أحله الله تعالى فهو الحلال، وما حرمه الله تعالى هو الحرام، وأن المركزية هي في شريعة الله، وأن الإنسان عبد الله تعالى مكرم ومبجل، واستخلفه الله تعالى لتحقيق معنى العبودية وعمارة الكون والتعارف والتواصل وبناء الحياة.

وبناء عليه؛ كان لزامًا البحث والضبط والتحرير لكثير من المصطلحات المتعلقة بعلم النفس، إن لم يكن كل المصطلحات والتعابير والألقاب للعلم وتفصيله، وأنواعه وفروعه، وليس فقط في علم النفس العلاجي الذي ينصب عليه غالب تفكير الباحثين والمهتمين، فعلم النفس التربوي والنمو الجريمة والشيخوخة والطفولة والمراهقة والإرشاد الزوجي والأسري والمجتمعي والفردى ينبغي أن تبنى أصولها وقواعدها على ما يستخرج ويستمد من نصوص الوحيين وغيرهما من أدلة الشرع المقبولة والمعهودة.

50 - الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط، دار الفكر - دمشق الطبعة: الأولى - 1422 هـ ص674

51 - الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م، ص421

52 - المدخل إلى علم النفس الإسلامي، مرجع سابق

ومن هذه القواعد: قاعدتنا في هذا البحث، فلا مشاحة في الاصطلاح، تدفعنا لقبول مصطلحات غيرنا لو لم تخالف شرعنا، وما لم تصرفنا وشعوب العالم العربي والإسلامي عن المعاني والمصطلحات الشرعية التي وضعت للدلالة على المعاني المرادة للرب تعالى.

كما أنه من الانتصار النفسي والاعتزاز بالإسلام واللغة واحترام النفس أن ننشئ لعلومنا الاجتماعية والإنسانية مصطلحاتنا الخاصة وحدودنا التعريفية الخاصة ثم نشرحها ونفسرها للعالم كله بما يدعوهم للتفكير والانتباه للفروق اللغوية ومدلولاتها، بل والتعرف على هذا الكنز العظيم من العلوم والمعارف النفسية والتربوية والاجتماعية ما سيندمون لتأخر معرفتهم به، كما حدث لمن أنار الله بصيرته وهداه إلى الإسلام بعد حيرة الكفر والخذلان.

كيف لا وهي ألفاظ ذكرها الله تعالى في القرآن العظيم ونطق بها من أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم!؟

الفصل الثالث

تطبيق عملي على مصطلح السعادة في القرآن وعلم النفس العام

السَّعَادَةُ، وَهِيَ مَعَاوَنَةُ الْأُمُورِ الْإِلَهِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ عَلَى نَيْلِ الْحَيْرِ، وَيضاد الشقاوة.⁵³

والسعد... والإسعاد: الإعانة و (المساعدة): المعاونة.⁵⁴

والسَّعَادَةُ مَعَاوَنَةُ اللَّهِ لِلْإِنْسَانِ عَلَى نَيْلِ الْحَيْرِ وَتضاد الشقاوة.⁵⁵

ولما كانت العقول والشرائع ناطقة بأن خلاصة السعادة في أمرين: التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، وكان أفضل أبواب التعظيم لأمر الله الإقرار بوحدانيته، فكان أخس الأعمال التي بين العبد وربه الإخلال بذلك.⁵⁶

فيلحظ من تعريفات واشتقاقات كلمة السعادة أنها تدور على محور معاونة الله تعالى للعبد في أمور الدنيا والآخرة، فالعبرة في تعريف السعادة في لغة العرب وشرع المسلمين تتمثل في العون والمدد وتلتهيته والإعانة من الله تعالى للإنسان على تحقيق الإنسلن لمراد الرب تعالى منه، كما تحقيق ما يصبو إليه وفق هدي الشرع القويم فيه.

فالسعادة عند المسلم : استنارة الصدر بالحق، وحياة القلب بالوحي، لينتج عن هذا الحياة الطيبة في الدارين. فأصل السعادة في الإسلام في القلب ثم تظهر آثارها على البدن أو الجوارح، على عكس ما يرى غير المسلمين، بأنها أفعال يظن أنها تجلب السعادة على النفس، دون ضابط أو وازع، في الغالب.

53 - الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ص506

54 - الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م، ص148

55 - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) : دار الدعوة، بدون ، ص430

56 - البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون، (145/17).

فمنذ الأزل وهو يبحثون، وما زالوا، وهم متحيرون في ضبط حد وتعريف دقيق للسعادة، فأرسطو من زمنه وهو يقرر أن السعادة وفقاً لفضيلتها وإذا كان هناك أكثر من فضيلة للنفس؛ فإنه يكون وفقاً لأعظم فضائلها وأكثرها كمالاً، وهو يعتقد "بأن السعادة هي اللذة أو على الأقل أنها تكون مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بها - أي اللذة - واللذة بدورها يتم تفسيرها باعتبارها غياياً واعياً للألم والإزعاج" وهو يحصر الفضيلة "بالتفكير الفلسفي أو التأمل. ويصل إلى نتيجة مؤداها أن الحياة الأكثر سعادة هي الحياة المكرسة لهذا النشاط العقلي. وبذلك فإن التأمل يصبح بمنزلة غاية أو هدف غالب على الحياة السعيدة".

فالسعادة عند القوم هي شعور ممكن دائماً؛ فهي لا تكمن في سعادة المترفين وذوي البطون المشبعة؛ بل تكمن في بهجة الحياة حينما نحب، وحينما نبدع فناً، وحينما نسعد بولادة حقيقة ما.

نحن نسعد بكلّ تغيير بهيج لما يحدث لنا، حيث أنه لا ينبغي أن نتأمل الوجود وأن نعم بدفء أحضان مساحة الراحة والروتين؛ إنما علينا الذهاب دوماً لملاقاة الحدث وتعلم الجديد، حدث ما؛ هو ذلك الذي يغيّر نظام العالم.

وتلحظ فوراً ودون عناء الخلط بين مفهوم السعادة ومفهوم الاستمتاع، وهما أمران مختلفان اختلافاً كلياً وجذرياً.

فمن قائل: المصدر الحقيقي هو التفكير والأفكار الإيجابية،

وآخر يقول: الأصل في السعادة السلام الداخلي،

وثالث: الأصل فيها خدمة الآخرين،

ورابع: السعادة هي الاستمتاع، في عشرات التعريفات والتفسيرات لمشاعر يجهلها الإنسان عن الإنسان، ويريد هذا الإنسان أن يهدي نفسه وغيره إليها، كيف وهو يجهلها؟

ومن المعروف أن أفلاطون في إطار نظريته الوجودية والمعرفية الخاصة، يؤمن بأن سعادة الشخص تعتمد على المعرفة التي ترفع مرتبة الإنسان كله فهو يعتقد أنّ السعيد هو الذي يعرف الأفكار أو الأمثلة التي هي حقائق موضوعية معرفة شهودية.

وقد تقلب الفكر الإنساني في أطوار مختلفة، ولقد كان للتحويلات التي عرفها ارتباطا مباشرا بالظروف التي يعايشها، والثقافة السائدة آنذاك، وهذا ما ينطبق على المجتمع الغربي الذي عرف انقطاعا عن الفكر الكنسي بعد إعلاء ديكرت في القرن السابع عشر من شأن العقل والإنسان، وقد عُرفت هذه المرحلة بعصر الحداثة الذي قام على مقولة الإنسان، والعقل، والفردانية، وقد تدعمت هذه المقولات بشعار الأنوار الذي قام على فكرة الحرية، والمساواة، والديمقراطية، وتقدم البشرية نحو الأفضل؛ إلا أن الواقع قد برهن على أن الإنسانية لا تسير فعلا نحو الحياة المثلى، وهو ما جعل العديد من المفكرين، والفلاسفة يؤكدون على أن الإنسانية قد دخلت في مرحلة جديدة سموها بما بعد الحداثة، وإن كان هناك تضارب حول هذه الفكرة؛ ذلك أن هناك من يؤكد على أن ما بعد الحداثة استمرار لعصر الحداثة وليس قطيعة معه. وبعيدا عن هذا الجدل فقد ظهرت تحليلات جديدة للواقع المعاصر من أهمها تحليل الفيلسوف الاجتماعي الفرنسي جيل ليوفيتسكي الذي أكد على أن الإنسانية تعيش عهد الحداثة الفائقة، وعلى أن ما سماه بالإنسان الفائق النرجسية تتحكم فيه ثقافة جديدة هي ثقافة الاستهلاك الفائق التي أصبحت تمثل نمط وجوده، وأصبح ينظر لها على أنها منبع سعادته. غير أن اختزال السعادة حسبه في الاستهلاك، وبزوغ العدمية من جهة أخرى نتيجة لانحسار المعنى، وغياب الأسس، والمرجعيات، والقيم الروحية، وتصاعد القيم المادية في المقابل، قد جعل الإنسان يعيش حالة من الخيبة، والتفكك، والاعتراب، والقلق، وهو ما جعله يعيش السعادة المتناقضة بتعبير جيل ليوفيتسكي.⁵⁷

تحولت مركزية الفرد إلى مستنقع مليء بالاضطرابات النفسية والأمراض العقلية، والفراغ النفسي والروحي، حين أرد من أراد أن يسحب بساط التوجيه والإرشاد من الخالق الصانع العالم بما صنع وخلق إلى المخلوق المصنوع العاجز المسكين فاخترع وأنشأ لنفسه ولمجتمعاته مناهج وأنظمة حياتية وتوجيهية وعلاجية نفسية وتربوية.

فليس يصلح مصطلح السعادة بتعريف القوم؛ إذ سيجلب علينا ما جلب عليهم من الأنانية والانفرادية والأثرة التي ستسمح بالمخدرات والإباحية والشذوذ والتفكك المجتمعي وانحيار منظومة الأسرة ووآد العلاقات الراقية وغلق باب التطوع والعمل الخيري إلا وفق معايير النفعية.

57 - عقوبي، آسيا، طبيعة السعادة عند جيل ليوفيتسكي، مقال نشر 2019

ولأنه لا مشاحة في الاصطلاح، فينبغي أن نصطلح مصطلحات ونحد حدودًا ونضع تعريفات لكل تفاصيل العلوم الاجتماعية والإنسانية بله علم النفس وفق النظرية المعرفية الإسلامية، مع وضع ضوابط وقواعد وأسس لوضع حجر الأساس لإنشاء مجمع لغوي نفسي اجتماعي فلسفي لوضع المعاجم والقواميس التي تستقر كلمة المتخصصين على اعتمادها في كل فن من هذه الفنون.

الخاتمة

فالحمد لله تعالى على الختام كما حمدته على البداية، ويحسن التنبيه والدلالة على خلاصة ما تم ذكره في هذا البحث:

- ❖ لا مشاحة في الاصطلاح قاعدة مستقرة لضبط المصطلحات ومدلولاتها من المعاني.
- ❖ أفادت القاعدة أن لكل قوم أن يتعارفوا على مصطلحاتهم على أن يتفقوا على المعاني وإن اختلفوا في ألفاظ الاصطلاح.
- ❖ للقاعدة شروط مقيدة وهي ليست على إطلاقها، وأهم هذه الشروط عدم تعطيل حكم الله تعالى ورسوله بإيقاف العمل بالمصطلحات الشرعية المستقرة في الكتاب والسنة واستبدالها بالمصطلحات الحادثة.
- ❖ من المقبول في حياة الناس حدوث ما يستدعي استحداث مصطلحات تفي بحاجة المجتمع للتعرف والتواصل، على أن تنضبط هذه المصطلحات بنفس الشروط.
- ❖ علم النفس الإسلامي أصيل ومصدره المعرفة الكاملة لله تعالى وعلمه المطلق بخلقه وما يصلحهم وما يفسد معاشهم.
- ❖ الحاجة إلى القاعدة المذكورة قوية لاستحداث مصطلحات إسلامية علمية وأكاديمية في كل مجالات علم النفس المختلفة والمتنوعة.

والحمد لله رب العالمين.

المراجع

- القرآن الكريم
- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية برقم 951/5 وتاريخ 1406/8/5 الطبعة: الأولى 1407هـ - 1986م
- الاجتهاد في مناط الحكم الشرعي دراسة تأصيلية تطبيقية تأليف: بلقاسم بن ذافر بن محمد الزبيدي أصل الكتاب: رسالة دكتوراة من قسم أصول الفقه بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى عام 1435 هـ إشراف: أ. د. غازي بن مرشد العتيبي: مركز تكوين للدراسات والأبحاث الطبعة: الأولى، 1435 هـ - 2014 م
- الأحاديث المشكّلة الواردة في تفسير القرآن الكريم (عَرْضٌ وَدِرَاسَةٌ) : د. أحمد بن عبد العزيز بن مؤقّر الفصيّر : دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1430 هـ
- الإحكام في أصول الأحكام: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي: عبد الرزاق عفيفي: المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - لبنان
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني
- الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقويمية للإعجاز العلمي، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي الطبعة: الثانية، 1433 هـ
- انتقال التراث اليوناني إلى العالم الإسلامي ودوافع حركات الاستشراق، ماهر عبد القادر محمد، بدون
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الخامسة، 1424هـ/2003م
- إيضاح المحصول من برهان الأصول: أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر المازري: د. عمار الطالبي: دار الغرب الإسلامي الطبعة: الأولى

- البحر المحيط في أصول الفقه: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي : دار الكتيبي الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1994م
- التفسير الوسيط: د وهبة بن مصطفى الزحيلي: دار الفكر - دمشق الطبعة: الأولى - 1422هـ
- التقرير والتحرير: أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن أمير حاج ويقال له ابن الموقت الحنفي: دار الكتب العلمية الطبعة: الثانية، 1403هـ - 1983م
- تقويم النظر في مسائل خلافة ذائعة، ونبد مذهبية نافعة، محمد بن علي بن شعيب، أبو شجاع، فخر الدين، ابن الدّهان: د. صالح بن ناصر بن صالح الخزيم، مكتبة الرشد - السعودية الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م
- التقييد والإيضاح لقولهم لا مشاحة في الاصطلاح مقال للدكتور محمد الثاني بن عمر بن موسى من منشورات مجلة الحكمة
- التمهيد في تخريج الفروع على الأصول: عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، أبو محمد، جمال الدين: د. محمد حسن هيتو: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، 1400هـ
- التيسير في أحاديث التفسير: محمد المكي الناصري (المتوفى: 1414هـ): دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1405هـ - 1985م
- الحاوي للفتاوي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ): دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان عام النشر: 1424هـ - 2004م
- درء تعارض العقل والنقل: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ) تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، 1411هـ - 1991م
- الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني: سعيد بن غالب كامل المجيدي، أصل الكتاب: رسالة دكتوراة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1429هـ - 2008م

- صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م
- طبعة السعادة عند جيل ليوفيتسكي، الباحثة آسيا عقوبي مقال نشر 2019
- غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر أحمد بن محمد مكّي، أبو العباس، شهاب الدين الحسيني الحموي الحنفي : دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، 1405 هـ - 1985 م،
- فتاوى مهمة تتعلق بالحج والعمرة : عبد العزيز بن عبد الله بن باز: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية 1421 هـ
- فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي : علي حسين علي، : مكتبة السنة - مصر، الطبعة: الأولى، 1424 هـ / 2003 م
- فقه النوازل : بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد: مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى - 1416 هـ ، 1996 م
- قالت لي النفس ، دكتور راتب الأظن، مكتبة الأسرة العربية، الطبعة الأولى 2021.
- القاموس المحيط؛ الفيروز أبادي المؤسسة العربية بيروت
- كشف الأسرار شرح أصول البزدوي : عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي: دار الكتاب الإسلامي الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي : عدنان درويش - محمد المصري : مؤسسة الرسالة- بيروت
- مجموع الفتاوى : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416 هـ/1995 م
- مختار الصحاح : زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ) : يوسف الشيخ محمد : المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، 1420 هـ / 1999 م

- مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله مؤلف الأصل: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلبي شمس الدين، ابن الموصلبي : سيد إبراهيم : دار الحديث، القاهرة - مصر
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية : محمد المعتصم بالله البغدادي: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996 م
- مدارج السالكين؛ لابن القيم ط1، دار الحديث القاهرة 1403 هـ
- مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية؛ حكمت عبدالكريم فريجات وإبراهيم ياسين الخطيب القاهرة: مكتبة مدبولي، 2000م
- المدخل إلى علم النفس الإسلامي ، دكتور محمد محمود مصطفى ، مكتبة الأسرة العربية، إسطنبول - تركيا، الطبعة الأولى 2023
- مدخل علم النفس العام تأليف د. كاظم عبد النور
- المستصفى : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي : دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1993 م
- مصابيح السنة : محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي تحقيق: الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، محمد سليم إبراهيم سمارة، جمال حمدي الذهبي : دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1407 هـ - 1987 م
- المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم : على جمعة محمد عبد الوهاب (مفتي مصر) : المعهد العالمي للفكر الإسلامي - القاهرة الطبعة: الأولى - 1417 هـ - 1996 م
- المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية - أحمد شوقي إبراهيم العمرجي : القاهرة: مكتبة مدبولي، 2000م
- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) : دار الدعوة، بدون
- معرفة أنواع علوم الحديث : عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح

- مفتاح دار السعادة و منشور ولاية العلم والإرادة : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) : دار الكتب العلمية - بيروت، بدون
- مقال للدكتور محمد بن حسين الجيزاني، نشر في 2010/8/31 ميلادي - 1431/9/22 هجري
- مقال منشور على الشبكة للأستاذ الدكتور علي بن إبراهيم النملة بعنوان "سليبات الترجمة" تاريخ النشر 2017/8/3 ميلادي - 1438/11/11 هجري
- الموافقات : إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ) : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان : دار ابن عفان الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م
- الموافقات؛ للشاطبي ، شرح وتعليق: الشيخ عبدالله دراز، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ط2 1395هـ
- نشر البنود على مراقبي السعود : عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي تقديم: الداوي ولد سيدي بابا - أحمد رمزي مطبعة فضالة بالمغرب الطبعة: (بدون طبعة) (بدون تاريخ)
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ) : دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون
- نهاية السؤل شرح منهاج الوصول : عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، أبو محمد، جمال الدين : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان الطبعة: الأولى 1420هـ - 1999م
- نهاية الوصول في دراية الأصول : صفي الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموي الهندي : د. صالح بن سليمان اليوسف - د. سعد بن سالم السويح أصل الكتاب: رسالتا دكتوراة بجامعة الإمام بالرياض : المكتبة التجارية بمكة المكرمة الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1996 م

العوامل المؤدية للسكينة

دراسة نفسية تحليلية في ضوء القرآن الكريم

د. السر أحمد محمد سليمان

أستاذ علم النفس التربوي المشارك بجامعة حائل - المملكة العربية السعودية

ملخص الدراسة:

تمثل السكينة مطلباً غالياً وغاية عالية لما لها من أهمية في الصحة النفسية والعقلية للإنسان، فالسكينة جوهرة ثمينة نزلها الله سبحانه وتعالى في قلوب الأنبياء والمؤمنين في ساعات الشدة فزادتهم إيماناً وثباتاً وأمناً وطمأنينة، وجعلتهم أكثر فاعلية وتأثيراً في أداء أصعب المهام في أحلك الظروف، ولذلك فإنَّ الإعداد لنيلتها واكتسابها ينبغي أن ينال أهمية كبيرة. وهدفت الدراسة الحالية للكشف عن العوامل المؤدية للسكينة في ضوء القرآن الكريم. وتم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي لتحقيق ذلك الهدف العام، وذلك باستقراء الآيات القرآنية وتحليل الدراسات النفسية المتاحة. وتمثلت أبرز نتائج الدراسة في الكشف عن ثلاثة عوامل مؤدية للسكينة هي: العامل الإيماني، والعامل العقلي المعرفي، والعامل السلوكي العملي. واتضح أنَّ الإيمان يؤثر في السكينة من خلال تحقيق الاتزان النفسي والتنظيم الانفعالي، ومن خلال تنمية الصلابة النفسية ومواجهة المواقف الصادمة بإيجابية. واتضح من القرآن الكريم أهمية التركيز على المكونات العقلية في بعث الطمأنينة والسكينة والصحة النفسية للإنسان، فقد ارتبطت الحالات النفسية الإيجابية بالمكونات والعمليات العقلية الإيجابية التي وردت في القرآن الكريم في مقام المدح والثناء على من يقوم بها والنتائج المرجوة المتعلقة بها، ومنها: الاستكشاف والبحث الهادف لجلب الطمأنينة، والمطالبة بالأدلة والبراهين للوصول لليقين، والتفكير الذي فيه الراحة والعلاج. واتضح أنَّ الأعمال والتصرفات السلوكية الجالبة للسكينة تضمنت كلا من: الاستماع للقرآن الكريم وتلاوته وتدبره، الصلاة، الذكر، الدعاء، والتوبة والاستغفار.

مقدمة:

عندما يولد الإنسان يظل متعلقاً بأمه التي وضعت، ويزداد تعلقه بمن ترضعه من المرضعات كذلك، ويتعلق أيضاً بمن يوفر له الحماية والأمان من المحيطين به، وهكذا ينشأ الإنسان وتنشأ معه حاجاته المتنوعة، ومن ضمنها الحاجة للأمان التي توفر له السكنية الآنية، كما يتطلع للمستقبل، ويبحث عما يبده مخاوف المستقبل وقلقه، ولذلك يبحث عما يشره بالمستقبل الآمن أيضاً.

ونظراً لحاجة الإنسان للأمان النفسي والاجتماعي والبيئي يزداد تعلقه بكثير مما يظن أنه مصدراً للسكنية والاطمئنان، ومنبعاً للبشرى والتفاؤل، ولا غرو أن وجدت كثير من الرسائل والنظريات التي تزعم أنها تحقق الطمأنينة والسكنية لمن أحاطت بهم المخاوف، ومن أظلمت في وجوههم مسارات الحياة. ولذلك ظهرت كثير من المفاهيم على مستوى العالم تعبر عن جانب السكنية والطمأنينة التي يحتاجها البشر في كافة بقاع المعمورة، ولجميع المراحل العمرية، بل قد أصبحت بعض تلك المفاهيم من معايير التقدم والتطور المؤهلة للدول لاعتلاء درجات التصنيفات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ومن ضمن تلك المفاهيم الدالة على السكنية والطمأنينة مفهوم جودة الحياة ونوعية الحياة والرفاهية والأمن النفسي وغيرها مما يدور حول السكنية والطمأنينة. كما ظهر علم النفس الإيجابي الذي يهدف لدراسة الجوانب الإيجابية وينمي التفاؤل والنظرة الإيجابية للمستقبل والتطلع إليه.

مشكلة الدراسة:

تتزايد حاجة الناس للسكنية والطمأنينة، ويتطلعون للمزيد من المسكنات التي تهدئ قلقهم وتسكن نفوسهم، لأنّ المؤشرات تدل على تزايد حالات القلق والاضطرابات والضغط النفسية، وتشير إلى الأساليب غير الكافية للتعامل مع تلك الحالات، ومما يدل على ذلك تنوع وتعدد النظريات النفسية والإرشادية والعلاجية. وقد بيّنت آيات القرآن أنّ الناس وحتى المؤمنين منهم في حاجة للسكنية حتى يزدادوا إيماناً، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح:4]. ولذلك يتمثل موضوع هذه الدراسة في البحث عن السكنية والعوامل المؤدية إليها في ضوء القرآن الكريم.

أسئلة الدراسة:

(1) ما مفهوم السكنية وما دلالاتها النفسية في ضوء القرآن الكريم؟

2) ما العوامل المؤدية للسكينة في ضوء القرآن الكريم؟

أهداف الدراسة:

- 1- إبراز مفهوم السكينة ودلالاتها النفسية في ضوء القرآن الكريم.
- 2- تحديد العوامل المؤدية للسكينة والمستنبطة في ضوء القرآن الكريم.

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية الدراسة من خلال الحاجة إلى موجهات واضحة ومباشرة مستنبطة من القرآن الكريم يمكن الاستفادة منها في تنمية السكينة والطمأنينة لدى الناس، وذلك عن طريق إبراز المسكنات النفسية المستنبطة من القرآن الكريم، من أجل توظيفها لمواجهة التحديات المتزايدة التي تواجه الناس في المجالات المختلفة، ووقوفهم عاجزين إزاءها ومستسلمين للضغوطات والقلق والاضطرابات النفسية، وضعف الفاعلية، والخوف من المستقبل، وفقدان البرامج والمعينات التي تبعث الطمأنينة في نفوسهم وتقوية شخصياتهم لمواجهةها.

منهج الدراسة وإجراءاتها:

بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، وباستقراء الآيات القرآنية وتحليل الدراسات النفسية المتاحة عن السكينة والطمأنينة والصحة النفسية، فقد تم اتباع الإجراءات التالية في هذه الدراسة:

- 1- قراءة تدرية للمصحف الشريف لتحديد الألفاظ والعبارات المتعلقة بالسكينة، وحصرياً وتصنيفها. والرجوع لتفسير الآيات التي وردت فيها الألفاظ والعبارات التي تمّ تحديدها في أمهات مراجع التفسير المعتبرة للاستضاءة بها.
- 2- الرجوع لمصادر الحديث النبوي واستخدام محركات البحث للبحث عن لفظة السكينة وحصرياً الأحاديث التي وردت في الصحيحين (مسلم والبخاري)، والتي وردت في كتب الحديث الأخرى، واختيار ما صححه الألباني منها.
- 3- الرجوع للمصادر والبحوث النفسية المحققة للاستفادة منها فيما يتعلق بالسكينة والطمأنينة التي تمّ تحديدها والتعرف على ما يتعلق بها من تطبيقات وأدوات مجربة في المجالات النفسية.
- 4- إبراز العوامل المؤدية للسكينة والمسكنات كمنتجات تطبيقية يمكن استخدامها لتحقيق الطمأنينة

المطلوبة.

5- عرض نتائج الدراسة من خلال مبحثين، وكل مبحث يتضمن مطالب فرعية عدة.

الدراسات السابقة:

الدراسة الحالية تتناول السكينة والعوامل المؤدية إليها في ضوء القرآن الكريم، ولذلك تمّ استخدام محركات البحث الالكترونية والمكتبات الجامعية الالكترونية للبحث عن عنوان مطابق للدراسة الحالية، ولكن لم يتم الحصول على أي دراسة سابقة تحمل ذات العنوان أو تتناول ذات الموضوع على حسب علم الباحث، ولكن ثمة دراسات وبحوث عدة تناولت السكينة من مداخل مختلفة، ومنها:

1. السكينة ونظائرها في القرآن الكريم: دراسة موضوعية (الدهشان، 2012): وهذه دراسة علمية تناول فيها الباحث معاني السكينة ونظائرها في القرآن الكريم، وأنواعها ومواطن تنزلها، وهي دراسة تأصيلية ذات صبغة شرعية لم تتناول الجوانب النفسية المختلفة المتصلة بعلم النفس والطب النفسي.
2. السكينة في ضوء السنة النبوية: دراسة موضوعية (نصار، 2019): وقد هدفت لجمع ودراسة الأحاديث النبوية المتعلقة بالسكينة، وهي دراسة حديثة موضوعية، وتمت الاستفادة منها في معرفة الأحاديث النبوية التي وردت فيها السكينة.
3. فاعلية التربية الإسلامية في تحقيق السكينة والأمن النفسي (جراح، 2011): وهدفت هذه الدراسة إلى بيان فاعلية التربية الإسلامية في تحقيق السكينة والأمن النفسي، وتوصلت إلى أهمية الإيمان بالله في تحقيق ذلك، وركزت الدراسة على الجوانب التربوية والمؤسسات التربوية التي يمكن أن تساعد في تحقيق أهدافها، والدراسة لم تتطرق إلى الأبعاد المختلفة للشخصية الإنسانية التي تتأثر بالسكينة.

تناولت الدراسات السابقة موضوع السكينة من المداخل التفسيرية أو من المداخل اللغوية أو من حيث المقارنة أو من حيث التطبيقات التربوية، ولكن لم تتناول العوامل المؤدية للسكينة بصورة مباشرة. وعلى الرغم من ذلك فقد تمت الاستفادة منها. ولذلك تنال الدراسة الحالية أهميتها في تناول موضوع السكينة وعواملها وذلك من الاستفادة من البرامج التطبيقية التي تهدف إلى تحقيق السكينة للحد من القلق والاضطرابات، ومن أجل بعث الأمل والتفاؤل للنظر بإيجابية وفاعلية في الحياة.

المبحث الأول: مفهوم السكينة ودلالاتها النفسية

المطلب الأول: السكينة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية:

ترجع كلمة السكينة للجذر اللغوي (سكن)، والكلمات التي ترجع للجذر (سكن) قد بلغت 69 كلمة في القرآن الكريم، وعلى الرغم من تعدد وتنوع الصيغ اللفظية لمادة (سكن) في القرآن الكريم إلا أن كلمة (السكينة) قد وردت ست مرات فقط وبثلاث صيغ هي: السَّكِينَةُ (في موضعين)، سَكِينَةً (في موضع واحد)، سَكِينَتَهُ (في ثلاثة مواضع)، وذلك كما يلي:

(1) السكينة: وردت اللفظة بصيغة (السكينة) في موضعين في القرآن الكريم وذلك في قوله سبحانه وتعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الفتح:4]. وقوله سبحانه وتعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح:18].

(2) سَكِينَةً: وردت اللفظة بصيغة (سكينة) في موضع واحد في القرآن الكريم، وذلك في قوله سبحانه وتعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ} [البقرة:248].

(3) سَكِينَتَهُ: وردت اللفظة بصيغة (سكينته) في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم وهي: قوله سبحانه وتعالى: {ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ} [التوبة:26]. وقوله سبحانه وتعالى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة:40]. وقوله سبحانه وتعالى: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الفتح:26].

وقد وردت لفظة السكينة بالتحديد في عدد من الأحاديث النبوية ويمكن تصنيفها بناء على الموضوعات التي وردت خلالها فيما يلي:

(1) السكينة في الحج: وردت لفظة السكينة في عدد من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم أثناء الحج، ومنها: (عن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّهُ دَفَعَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَرَفَةَ،

فَسَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَاءَهُ زَجْرًا شَدِيدًا، وَضَرْبًا وَصَوْتًا لِلْإِبِلِ، فَأَشَارَ بِسَوْطِهِ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ: "إِيَّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالْإِيضَاعِ" (البخاري، 1423، حديث رقم 1671، ص 404).

(2) السكينة أثناء قراءة القرآن: وردت لفظة السكينة في أحاديث نبوية ترتبط بقراءة القرآن الكريم، ومنها: (عن البراء بن عازب رضي الله عنهما: قَرَأَ رَجُلٌ الْكَهْفَ، وَفِي الدَّارِ الدَّابَّةُ، فَجَعَلَتْ تَنْفِرُ، فَسَلَّمَ، فَإِذَا ضَبَابَةٌ، أَوْ سَحَابَةٌ غَشِيَتْهُ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "اقْرَأْ فَلَانَ، فَإِنَّهَا السَّكِينَةُ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ، أَوْ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ") (البخاري، 1423، حديث رقم 3614، ص 889).

(3) السكينة في المشي للصلاة: وردت أحاديث عن السكينة في المشي للصلاة ومنها: (عن أبي هريرة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَلَا تَأْتَوْهَا تَسْعُونَ، وَأَتَوْهَا تَمْتَشُونَ، عَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأْتُوا") (البخاري، 1423، حديث رقم 908، ص 219).

(4) السكينة في أهل اليمن ورعاة الغنم: وردت أحاديث عن السكينة في أهل اليمن ورعاة الغنم ومنها: (عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَرْقُ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا، الْإِيمَانُ يَمَانٌ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ، وَالْفَحْرُ وَالْحِيَلُ فِي أَصْحَابِ الْإِبِلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ") (البخاري، 1423، حديث رقم 4388، ص 1074).

(5) السكينة في مجالس العلم والمدارس والذكر: وردت أحاديث عن السكينة في مجالس العلم والمدارس والذكر ومنها: (ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله، يتلون كتابَ الله، ويتدارسونَهُ بينهم، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ") (مسلم، 1436، حديث رقم 2699، ص 862).

المطلب الثاني: معاني السكينة في اللغة والاصطلاح:

تفيد المعاني اللغوية للسكينة أنها تدل على: الثبات بعد الحركة، وعلى الأمن، وعلى الطمأنينة، وعلى الهدوء، قال ابن فارس عن مادة "سَكَنَ": السَّيْنُ وَالْكَافُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرَدٌ، يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْإِضْطِرَابِ وَالْحُرْكََةِ" (ابن فارس، 2001، ص 264). وقال الأصفهاني: "السُّكُونُ: ثبوت الشيء بعد تحرك، ويستعمل في الاستيطان نحو: سَكَنَ فلان مكان كذا، أي: استوطنه" (الأصفهاني، 2011، ص 417).

واستند بعض العلماء على المعاني اللغوية للسكون والسكينة، ونظروا للسياقات التي وردت خلالها لفظة

السكينة في القرآن الكريم وحددوا المفهوم العام للسكينة ومعناها الاصطلاحي، فقد قال الطبري: "السكينة في كلام العرب (الفعيلة)، من قول القائل: سكن فلان إلى كذا وكذا إذا اطمأن إليه وهدأت نفسه عنده" (الطبري، 2021، ج2، ص97). وقال الماوردي: وفي السكينة ثلاثة أقاويل: أحدها: أنها الرحمة. والثاني: أنها الأمن والطمأنينة. والثالث: أنها الوقار" (الماوردي، 2012، مج2، ص349). وقال أيضا: فيها ثلاثة أوجه: أحدها: أنه الصبر على أمر الله. الثاني: أنها الثقة بوعد الله. الثالث: أنها الرحمة لعباد الله" (الماوردي، 2012، 2012، مج2، ص349). وقال الفخر الرازي: "اعلم أن السكينة عبارة عن الثبات والأمن، وهو كقوله في قصة الغار: { فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ } [الفتح: 26] فكذا قوله تعالى: { فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ } معناه الأمن والسكون" (الرازي، 2012، مج3، ص404).

وأورد ابن كثير في تفسيره لقول الله سبحانه وتعالى: { ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ } أي: طمأنينته وثباته على رسوله، { وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ } أي: الذين معه (ابن كثير، 2000، ص561). وأورد أيضا في تفسيره لقول الله سبحانه وتعالى: { فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ } أي: تأييده ونصره عليه، وقيل: على أبي بكر (ابن كثير، 2000، ص570).

وقال ابن عاشور: "السكينة اطمئنان النفس عند الأحوال المحوِّفة، مشتقة من السكون (ابن عاشور، 1984، مج10، ص204). وقال السعدي: والسكينة ما يجعله الله في القلوب وقت القلاقل والزلازل والمفجعات، مما يثبتها، ويسكنها ويجعلها مطمئنة، وهي من نعم الله العظيمة على العباد (السعدي، 1426، ص368).

وذكر صاحب المنازل أن السكينة اسم لثلاثة أشياء هي: الأولى سكينة بني إسرائيل التي أعطوها في التابوت، والثانية هي السكينة التي تنطق على لسان المحدثين، والثالثة هي التي نزلت على قلب النبي صلى الله عليه وسلم وقلوب المؤمنين وهي شيء يجمع قوة وروحا، يسكن إليه الخائف، ويتسلى به الحزين والضجر ويسكن إليه العصي والأبي" (ابن القيم، 2003، ج2، ص406 - 408).

وذكر صاحب المنازل أن هذا الشيء الذي أنزله الله في قلب رسوله صلى الله عليه وسلم وقلوب عباده المؤمنين يشتمل على ثلاثة معان: النور، والقوة، والروح. وذكر له ثلاث ثمرات: سكون الخائف إليه، وتسلي الحزين والضجر به، واستكانة صاحب المعصية والجرأة على المخالفة والإباء إليه" (ابن القيم، 2003، ج2، ص408).

وقد عرفها ابن القيم فقال: "وأصل السكينة هي الطمأنينة والوقار، والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده، عند اضطرابه من شدة المخاوف. فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه. ويوجب له زيادة الإيمان، وقوة اليقين والثبات" (ابن القيم، 2003، ج2، ص405).

وهذا التعريف الذي توصل إليه ابن القيم يمثل تعريفاً جامعاً مانعاً للسكينة، وهو خلاصة للمعاني اللغوية والتفسيرية، وهذا التعريف يمثل المفهوم النفسي للسكينة الذي يمكن تبنيه في هذه الدراسة.

المطلب الثالث: الدلالات النفسية للسكينة:

يتضح من المعنى اللغوي والاصطلاحي للسكينة واستقراء الآيات والأحاديث النبوية التي وردت فيها السكينة، أنّ السكينة تشير إلى ثلاثة دلالات نفسية:

(1) السكينة كحالة نفسية: تشير السكينة إلى حالة الاستقرار بعد الاضطراب والقلق، وحالة الشعور بالأمن بعد الخوف، وحالة الانسراح والاستبشار بعد الحزن، وبهذا فإنّ السكينة تدل على أعلى مستويات الصحة النفسية التي يمكن أن يصل إليها الإنسان، ويدل على ذلك ارتباطها بالقلب، ومفهوم القلب في القرآن يشير إلى البعد العقلي والبعد الروحي والبعد الوجداني، ومما يؤكد ذلك أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد قال لأبي بكر لا تحزن إنّ الله معنا عندما كانا في الغار حين نزلت عليهما السكينة؛ قال الله عزّ وجلّ: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة:40]. وفي يوم حنين عندما شعر المسلمون بأنّ الأرض قد ضاقت عليهم بما رحبت وولوا مدبرين فأَنْزَلَ اللَّهُ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ؛ قال الله عزّ وجلّ: {ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَدَّ بَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَكَرَ جَزَاءَ الْكَافِرِينَ} [التوبة:26]. وقال الفخر الرازي في تفسيره عند هذه الآية: "السَّكِينَةُ ما يَسْكُنُ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَالنَّفْسُ، وَيُوجِبُ الْأَمَنَةَ وَالطَّمَأْنِينَةَ، وَأَطْلُقُ وَجْهَ الْإِسْتِعَارَةِ فِيهِ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا خَافَ فَرَّ وَفُؤَادُهُ مُتَحَرِّكٌ، وَإِذَا أَمِنَ سَكَنَ وَثَبَتَ، فَلَمَّا كَانَ الْأَمْنُ مُوجِبًا لِلسُّكُونِ جَعَلَ لَفْظَ السَّكِينَةِ كِنَايَةً عَنِ الْأَمْنِ" (الرازي، 2012، مج8، ص234).

(2) السكينة كسلوك مظهري: تشير المعاني إلى أنّ السكينة تعني الهدوء والوقار والثبات مما يدل على المظهر السلوكي الخارجي للسكينة، ويتضح ذلك أكثر من خلال الأحاديث النبوية، ففي أثناء حركة الحجاج الجماعية واندفاعهم وتدافعهم وجلبة حركتهم يظهر عدم الهدوء، ولذلك أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهدوء في سلوكهم الحركي أثناء اندفاعهم وعبر عن ذلك بالسكينة، مما يدل على أنّ السكينة تعبر عن السلوك الحركي في مظهرها الخارجي: (عن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّهُ دَفَعَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسَلَّمَ يَوْمَ عَرَفَةَ، فَسَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَاءَهُ زَجْرًا شَدِيدًا، وَضَرْبًا وَصَوْتًا لِلْإِبِلِ، فَأَشَارَ بِسَوْطِهِ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ: "أَبُيْهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالْإِيضَاعِ" (البخاري، 1423، حديث رقم 1671، ص 404). ويدل على ذلك أيضا التوجيه النبوي بالمشي إلى الصلاة بسكينة: (عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعُونَ، وَأَتُوهَا تَمَشُونَ، عَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتُّوا") (البخاري، 1423، حديث رقم 908، ص 219).

(3) السكينة كسمة شخصية: عندما يعمر القلب بالسكينة، وتتمثل الجوارح السكينة في الحركة الظاهرية، تصبح السكينة سمة وصفة يتسم بها الأفراد، وتظهر لديهم التصرفات التي تدل على أنّ السكينة عامرة لقلوبهم؛ قال الله عزّ وجلّ: {ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ} [التوبة: 26]. قال السعدي: "فلم يحملهم الغضب على مقابلة المشركين بما قابلوهم به، بل صبروا لحكم الله، والتزموا الشروط التي فيها تعظيم حرمت الله ولو كانت ما كانت، ولم يبالوا بقول القائلين، ولا لوم اللائمين" (السعدي، 1426، ص 945). ومما يدل على أنّ السكينة تعبر عن السمات والصفات الشخصية ما ورد في الحديث النبوي: (عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَرْقُ أَفْعَدَّةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا، الْإِيمَانُ يَمَانٌ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ، وَالْفَخْرُ وَالْحِيَلَاءُ فِي أَصْحَابِ الْإِبِلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْعَمَمِ"). (البخاري، 1423، حديث رقم 4388، ص 1074).

المطلب الرابع: دواعي السكينة وآثارها النفسية:

يتضح من استقراء الأدلة التي تم عرضها من القرآن الكريم والحديث النبوي عن السكينة أنّ هناك العديد من المواقف التي تستدعي السكينة وذلك كما يلي:

1. الشعور بالشك والضعف والحاجة للتصديق والثقة والإيمان والقيام بالمهام المطلوبة؛ ويظهر ذلك من سياق قصة بني إسرائيل الذين اتتهم السكينة في التابوت لتؤكد لهم مصداقية من بعث عليهم ليكون ملكا عليهم، قال الله عزّ وجلّ: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ} [البقرة: 248].

2. الشعور بالحزن: فقد أشارت الآية على حصول الحزن لدى أبي بكر رضي الله عنه عندما كان في الغار مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول السكينة، قال الله عزّ وجلّ: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ

اللَّهُ سَكِينَتُهُ عَلَيْهِ وَأَيْدُهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ { [التوبة: 40].

3. الشعور بالخوف: فقد ارتبطت السكينة بالأمن وزوال الخوف أثناء المواجهة، ويظهر ذلك مما حدث للمسلمين يوم حنين، قال الله عز وجل: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (25) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (26) } [التوبة: 25 - 26].

4. الشعور بصعوبة الوصول للهدف المنشود: قال الله عز وجل: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الفتح: 4]. قال الرازي: لَمَّا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ﴾ بَيَّنَّ وَجْهَ النَّصْرِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ يَنْصُرُ رَسُولَهُ بِصِيْحَةٍ يُهْلِكُ بِهَا أَعْدَاءَهُمْ، أَوْ رَجْفَةٍ تَحْكُمُ عَلَيْهِمْ بِالْفَنَاءِ، أَوْ جُنْدٍ يُرْسِلُهُ مِنَ السَّمَاءِ، أَوْ نَصْرٍ وَقُوَّةٍ وَثَبَاتٍ قَلْبٍ يَزُرُّ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، لِيَكُونَ لَهُمْ بِذَلِكَ الثَّوَابُ الْجَزِيلُ فَقَالَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ أي تَحْقِيقًا لِلنَّصْرِ (الرازي، 2012، مج 14، ص 343).

5. الشعور بالغضب الناتج من العصبية والحمية الجاهلية، قال الله عز وجل: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الفتح: 26]. قال الأصفهاني: وعبر عن القوة الغضبية إذا ثارت وكثرت بالحمية (الأصفهاني، 2011، ص 259).

المبحث الثاني: العوامل المؤدية للسكينة في ضوء القرآن الكريم

باستقراء آيات القرآن الكريم للبحث عن المسكنات النفسية التي تجعل الإنسان مطمئنا في حياته الدنيا، راجيا سعادة الآخرة، ثابتا في مواجهة المواقف المختلفة، وفاعلا في حل المشكلات التي تواجهه، فقد تبين أنّ هناك ثلاثة عوامل هي: العامل الإيماني، والعامل العقلي المعرفي والعامل السلوكي العملي. وسوف نبينها في المطالب التالية:

المطلب الأول: الإيمان هو أساس السكينة:

يمثل الإيمان الرافد القوي لشخصية الإنسان الذي يمدّها بالأمان والطمأنينة من المخيفات، ويسكنها عند المقلقات من النوائب في الحالات المختلفة، فكلمة الإيمان ترتبط بالأمن في أصلها اللغوي، فهي من

المصدر (أمن)، ونجد من الاستعمالات القرآنية لكلمة أمن التعبير عن حالة السكون والطمأنينة والرضا التي تتبع من داخل شخصية الإنسان حتى تفيض على جميع مستويات السلوك الخارجي المميز للمتمسم بالأمن، والأدلة على ذلك كثيرة ومنها قوله سبحانه وتعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ} [النمل: 89]. فهؤلاء آمنون في أنفسهم فلا يظهر عليهم أي فزع، ومما يؤكد انبثاق الأمن من الداخل وانعكاسه على السلوك الخارجي أيضا ما ورد في قوله سبحانه وتعالى: {وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدَبِّرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ} [القصص: 31].

والإيمان يتداخل مع جميع مستويات الشخصية الإنسانية في أبعادها المختلفة سواء في التسليم والتصديق الداخلي، أو في التعبير والسلوك الخارجي، فهو كما قال ابن سلام: "الإيمان بالنية والقول والعمل جميعا، وأنه درجات بعضها فوق بعض، إلا أن أولها وأعلىها الشهادة باللسان، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي جعله فيه بضعة وسبعين جزءا فإذا نطق بها القائل، وأقر بما جاء من عند الله لزمه اسم الإيمان بالدخول فيه بالاستكمال عند الله، ولا على تزكية النفس، وكلما زاد الله طاعة وتقوى، ازداد به إيمانا" (ابن سلام، 2000، ص 34-35).

والإيمان يبعث الأمان النفسي في شخصية الإنسان، قال الله سبحانه وتعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْآمِنُونَ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ} [الأنعام: 82]. وذلك لأن الإيمان له دور كبير في الضبط الانفعالي، وبالتالي يشعر الإنسان بالأمان والطمأنينة والسكينة وهو في أشد المواقف الصادمة، فلا يختل توازنه، ولا تتفكك شخصيته، بل يكون في صحة نفسية تامة يواجه المواقف بفاعلية وثبات. وقد ارتبط عدم الإيمان بكثير من المشكلات والاضطرابات النفسية، فقد بيّن مالك بدري ذلك بقوله: "نؤكد بأن من أهم أسباب فشل علم النفس العلاجي والطبي والعلوم الإنسانية الحديثة في حل المشكلات الاجتماعية والنفسية لدى الأفراد والجماعات هو التصور المتطور لدوافع السلوك الإنساني بتحجيمه في المكونات البيولوجية الجسمية ثم النفسية والاجتماعية الحضارية البعيدة عن أثر الجانب الإيماني والروحي في تكوين سلوك الفرد وتوجيهه" (بدري، 2005، ص 233).

والإسلام يقر بوجود الجانب الروحي في شخصية الإنسان، سواء في تكوينه الأولي عندما خلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام، أو عند تخلق الأجنة المتتالية بالتناسل، فجميعهم قد أودع الله فيهم تلك الروح، قال الله سبحانه وتعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ (8) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا

مَا تَشْكُرُونَ (9) { [السجدة: 7 - 9] . وقال الله سبحانه وتعالى: { فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ } [الحجر: 29] . قال القرطبي: "والنفخ إجراء الريح في الشيء، والروح جسم لطيف أجرى الله العادة بأن يخلق الحياة في البدن مع ذلك الجسم. وحقيقته إضافة خلق إلى خالق. فالروح خلق من خلقه أضافه إلى نفسه تشريفاً وتكريماً" (القرطبي، 2001، مج2، ص557). وتبين المصادر الإسلامية أنّ الروح تتمزج بالجسم منذ بدايات تكوين الجنين وتستمر معه حتى الموت، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " أَنْ خُلِقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَاقَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْعَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيُؤَدِّنُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيَكْتُبُ: رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيئَ أُمِّ سَعِيدٍ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ" (البخاري، 1423، رقم 7454، ص1841).

ونسبة لأصالة الجانب الروحي في شخصية الإنسان، فإنّ هناك حاجات مرتبطة به، وهي الحاجات الفطرية للعبادة. ويتولد عن تلك الحاجات دافع التدين، ويذكر محمد عثمان نجاتي: "أنّ دافع التدين هو دافع نفسي له أساس فطري في طبيعة تكوين الإنسان. فالإنسان يشعر في أعماق نفسه بدافع يدفعه إلى البحث والتفكير لمعرفة خالقه وخالق الكون، وإلى عبادته والتوسل إليه والالتجاء إليه طالبا منه العون كلما اشتدت به مصائب الحياة وكروها، وهو يجد في رعايته الأمن والطمأنينة. نجد ذلك واضحا في سلوك الإنسان في جميع عصور التاريخ، وفي مختلف المجتمعات الإنسانية (نجاتي، 1997، ص 49-50).

ولذلك يسعى الإنسان بصور مختلفة لإشباع الجانب الروحي في شخصيته، فكل إنسان له أساليب للعبادة وله سلوك ديني لإشباع ذلك الجانب الروحي، وقد بين القرآن الكريم في خطابه للكافرين أنّ لهم ديناً، وأنهم يمارسون سلوكاً تعبدياً، كما قال الله سبحانه وتعالى: { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مِمَّا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6) } [الكافرون: 1 - 6].

وهذا يدل على أنّ الإنسان سيسعى لإشباع الجانب الروحي عن طريق العبادة والتدين، ولكن ما يسلكه الإنسان من سلوك تعبدية وما يظن أنه ديناً لا يؤدي إلى إشباع حاجاته الفطرية للعبادة بصورة قاطعة إلا إذا كان ذلك منزلاً من الله تعالى، وإنّ اتباع الطرق المختلفة التي لم تكن وفقاً للهدى الإلهي فإنّها لن تؤدي لسعادة الإنسان، بل ستؤدي به إلى النكد والشقاء كما قال الله سبحانه وتعالى: { .. فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } [طه: 123].

ومما يجدر ذكره أنّ إغفال تنمية الجانب الروحي في الشخصية الإنسانية ارتبط بظهور كثير من حالات تدهور الصحة النفسية لدى الإنسان، ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال الكثير من الدراسات الميدانية على مستوى العالم، فقد توصل صالح الصنيع بعد استعراضه لمجموعة من الدراسات العلمية، التي تناولت العلاقة بين التدين والصحة النفسية، أنّ هناك ارتباط إيجابي بين التدين ومظاهر الصحة النفسية، وأنّ هناك ارتباط سالب بين التدين ومظاهر اختلال الصحة النفسية. أي أنه كلما كان الإنسان أكثر تدينا كلما تحسنت صحته النفسية، وكلما ضعف مستوى التدين لدى الإنسان كلما تدهورت صحته النفسية (الصنيع، 2000).

ونتائج هذه الدراسات تدل على أنّ هناك حاجة ماسة لإشباع الجانب الروحي في شخصية الإنسان، لكي تنمو صحته النفسية بصورة جيدة، ومما يؤكد هذه الحقيقة أنّ البحوث التي قدمت للجمعية الأمريكية لعلم النفس عام 1998 كشفت عن وجود قوى نفسية لدى الإنسان تؤدي لتنمية بعض المصادر التي تحول دون الإصابة بالاضطرابات النفسية والعقلية، ومن تلك المصادر الإيمان، التفاؤل، التفكير الإيجابي، الشعور بالمسؤولية، وغيره (Seligman & Peterson, 2000). وبعد الكشف عن هذه الجوانب والأبعاد التي تمد الإنسان بالقوة النفسية التي تقيه من الاضطرابات النفسية، بدأ علماء النفس يراجعون مصادرههم ومعلوماتهم عن هذه القوى النفسية فوجدوا أنّ علم النفس المعاصر فقير جدا في معلوماته عن هذه العناصر (أي عن الإيمان والجوانب الإيجابية من السلوك الإنساني)، وقد أكد شيلدون وكنج (Sheldon & King, 2001) هذه الحقيقة عندما فحصا المصادر النفسية المختلفة فوجدا أنّ هناك أكثر من (18913) مدخلا مرتبطا بالجوانب السلبية من السلوك في علم النفس المعاصر، بينما هناك (7423) مدخلا مرتبطا بالجوانب الإيجابية في علم النفس المعاصر.

وهذه النتيجة تدل على أنّ 72% من حقائق علم النفس الحديث تدور حول الظواهر السلبية من السلوك، بينما هناك 28% فقط من الحقائق النفسية لها علاقة بالجوانب الإيجابية من السلوك، ومما يؤسف له أنّ المدخلات البنائية التي تنمي الجانب الروحي للإنسان لم يتم إدراجها ضمن العوامل المؤدية لتنمية الصحة النفسية للإنسان، ولذلك ازدادت الاضطرابات النفسية، وضعفت فاعلية كثير من أساليب الوقاية والعلاج النفسي.

ويرى الباحث طيبي غماري بعد تحليله للعديد من الدراسات عن التدخين والصحة النفسية وبعد إجرائه لدراسة ميدانية على عينة من الجزائريين لدراسة العلاقة بين التدخين والصحة النفسية أنّ هناك أدلة قوية على أنّ الدين مفيد عموماً للصحة النفسية. وذكر مجموعة من التبريرات المقدمة لتفسير ذلك، ومنها قدرة الدين على: تقليص القلق الوجودي، وعلى إعطاء معنى للأمل يسمح بالشعور بالارتياح النفسي، وعلى منح المؤمنين المبررات التي تجعلهم يتحملون الألم والمعاناة، وعلى منح الحلول لتشكيكة كبيرة من الصراعات العاطفية، وعلى إعطاء المؤمنين معنى خاصاً للقوة من خلال ربط مصائرهم بالعلي القدير (غماري، 2014).

ولهذا تبرز أهمية تنمية الإيمان وتحقيقه لأنّ الإيمان هو الباعث الرئيس للأمن النفسي للإنسان، بينما الكفر والشرك والنفاق هي عوامل مؤدية لانعدام الأمن النفسي وتدهور الصحة النفسية للإنسان، وهذه الحقيقة الهامة والقاعدة الأساسية قد ذكرها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام عندما حاجّ قومه حول الآلهة المزعومة التي كانوا يعبدونها، فأكد لهم عدم خوفه منها، وبيّن لهم أنّ الخوف وعدم الأمن حري بهم هم إذ أشركوا برهم، قال الله سبحانه وتعالى: {وَحَاجُّهُ قَوْمُهُ قَالُوا نُحَاجُّوهُ فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (80) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82) وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83) [الأنعام: 80 - 83].

والإيمان يبعث الطمأنينة في نفس الإنسان ويوحد توجهه، ويجعله هادفاً يدرك معنى حياته ولما بعد حياته، قال الله سبحانه وتعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (29) [الرعد: 28 - 29]. وقال الله سبحانه وتعالى: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ [الأنعام: 125].

وبذا يتضح أنّ الإيمان هو مصدر الأمان النفسي والطمأنينة وشرح الصدر وذهاب الضيق، ولذلك ستظهر آثار الإيمان ودوره في السكينة والطمأنينة من خلال تصرفات المؤمنين في حياتهم في الجوانب المختلفة. ومن الجوانب النفسية التي يظهر من خلالها دور الإيمان في تحقيق السكينة ما يلي:

أولاً: أثر الإيمان في الاتزان النفسي والتنظيم الانفعالي:

الانفعالات هي المصطلح المتعارف عليه في علم النفس للتعبير عن الجانب الوجداني والعاطفي للإنسان، ومن أمثلة ذلك: الحب والفرح والحزن والخوف والغضب والحجل وغيره. والانفعالات تمثل جانبا مهما من الجوانب النفسية في شخصية الإنسان، وللانفعالات في حالتها المعتدلة أهميتها بالنسبة للفرد كوظيفة تكيفية تساعد على تعبئة طاقته لمواجهة الخطر عند ظهوره، أو الإعداد لمواجهةته في المستقبل، وتدفعه إلى مواصلة العمل وتحقيق أهدافه. وذلك لأن الانفعال عبارة عن "حالة نفسية تتميز بنوع من التهيج والاستثارة الذي يؤدي إلى قيام الفرد بسلوك معين ليخفف من توتره النفسي، وهو حالة شعورية بارزة من الناحية الجسمية تتميز بتغيرات شتى في التنفس والدورة الدموية وإفرازات الغدد وعموما يهدف إلى تحقيق السعادة والاتزان والتوافق مع البيئة" (الحجازي، 2012، ص 64).

وفي حالات كثيرة قد تتزايد شدة الانفعالات وتتحول إلى مصدر من مصادر الاضطراب في الحياة النفسية والاجتماعية للفرد، كما قد تتأثر الوظائف العضوية تأثرا بالغا في بعض الحالات الانفعالية. وهناك مجموعة من الاضطرابات النفسية يرتبط ظهورها باضطراب الانفعال، ويقصد بذلك مرضى العصاب، فالعصابي شخص يفقد الانفعال لديه وظيفته التكيفية ويصبح مصدرا من مصادر التعاسة والشقاء، فحياة العصابي تتميز بسهولة الانتقال وشدته واستمراره، ولهذا تسيطر عليه المخاوف الشديدة، ويتفاوت الاضطراب العصابي ويمتد ليشمل تلك الحالات التي تتراوح من مشاعر التعاسة والملل إلى الحالات الانفعالية الحادة التي تجعل حياة الإنسان مليئة بالتهديد الداخلي الدائم، والمعاناة من التغيرات العضوية الشديدة، والعجز عن التفاعل أو التكيف الاجتماعي مع الآخرين" (خليفة وأحمد، 1997، ص 361).

ولكن الأمر لا يكون على عواهنه، فالإنسان بمقدوره أن يتحكم في انفعالاته ويجعلها متوازنة أثناء حياته، ويؤكد علماء الانفعالات على إمكانية تنظيم الانفعالات وضبطها، فقد ذكر ميشيل شيوتا وجيمس كالات: "أنّ الانفعالات لا تتمتع بسيطرة كاملة علينا، فبمقدرتنا أن نتحكم في انفعالاتنا. والسبل التي نتبعها للقيام بهذا لها تبعات قوية في حياتنا. أي أنّ عملية تنظيم الانفعالات تتكون من الاستراتيجيات التي نلجأ إليها لتتحكم في شدة الانفعالات التي نتناوبا، وفي توقيتها، ومدى قوة إحساسنا بها وتعبيرنا عنها" (شيوتا، وكالات، 2014، ص 243).

والإيمان يساعد الإنسان في الضبط الانفعالي بحيث لا تتطور الانفعالات من مستواها الطبيعي إلى مستويات أخرى حتى تصبح اضطرابات، فمثلا الحزن عندما يتطور يصبح اكتئابا؛ يقول عبد الله الخاطر:

"الحزن يحصل لكل الناس، لكنه قضية وقتية، وإذا ما استمر وطال وقته صار اكتئاباً" (الخاطر، دت، ص18). ومما يؤكد دور الإيمان في الضبط الانفعالي والوقاية من تطور الحزن لدى الإنسان إيمانه بالقضاء والقدر وتسليمه بذلك لله سبحانه وتعالى؛ كما قال عز وجل: { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (23) } [الحديد: 22 - 23]. وهذه الآية تدل على أنّ المؤمنين قادرين على الضبط الانفعالي وذلك بقوله (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم). قال الرازي: "أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ تَعَالَىٰ إِنَّمَا أَخْبَرَهُمْ بِكَوْنِ تِلْكَ الْمَصَائِبِ مُثَبَّتَةً فِي الْكِتَابِ لِأَجْلِ أَنْ يَحْتَرِزُوا عَنِ الْحُزَنِ وَالْفَرَحِ، وَلَوْلَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَىٰ تِلْكَ الْأَفْعَالِ لَمَا بَقِيَ لَهُنَّ هَذَا اللَّامُ فَائِدَةٌ" (الرازي، 2012، مج15، ص242).

ومما يدل على أهمية الإيمان في التوازن والضبط الانفعالي أنّ الأعمال الإيمانية نفسها تمثل واقياً من فقدان التوازن المتمثل في الجزع والمنع، كما قال الله سبحانه وتعالى: { إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23) } [المعارج: 19 - 23]. "والهلع: سرعة الجزع عند مسّ المكروه وسرعة المنع عند مسّ الخير" (الكشاف، 2006، ج4، ص461). و "الجزع: أبلغ من الحزن، فإنّ الحزن عام والجزع هو: حزن يصرف الإنسان عمّا هو بصدده، ويقطعه عنه، وأصل الجزع: قطع الحبل من نصفه، يقال: جَزَعْتُهُ فَأُجْزَعٌ" (الأصفهاني، 2011، 194).

ومما يؤكد أنّ الإيمان يساعد في توجيه الانفعالات للمصادر الأكثر قوة وثباتاً وأهمية، وعلى سبيل المثال وفيما يتعلق بانفعال الحب يقوم المؤمنون بتوجيه أشد الحب لله، كما في قوله سبحانه وتعالى عما يميز المؤمنين على غيرهم: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ .. } [البقرة: 165]. وفي مجال الفرح كذلك فإنّه سيتم توجيهه بمستويات عالية للقرآن الكريم كما في قوله سبحانه وتعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (57) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (58) } [يونس: 57 - 58].

ونظراً لأنّ كثيراً من الاضطرابات النفسية مرتبطة بالانفعالات فإنّ الإيمان يؤسس البنية النفسية في الجانب

الانفعالي فيكسب الفرد الفاعلية في ضبط الانفعالات في مستواها الطبيعي أي مستوى العوارض النفسية، و "العوارض النفسية هي تلك التفاعلات النفسية التي تطرأ على الفرد نتيجة تفاعله مع ظروف الحياة اليومية، والتي تستمر لفترات قصيرة وقد لا يلاحظها الآخرون، ولا تؤثر على كفاءة الفرد وإنتاجيته في الحياة، كما لا تؤثر على عقله وقدرته في الحكم على الأمور. وتعد هذه العوارض النفسية جزءا من طبيعة الإنسان التي خلقه الله بها، فيبدو عليه الحزن عند حدوث أمر محزن، ويدخل في نفسه السرور والبهجة عند حدوث أمر سار" (الحبيب، 2003. ص 76).

وهذه العوارض النفسية نفسها سيجد عليها الفرد المسلم الأجر العظيم إذا تعامل معها بما يناسبها من شكر وصبر، كما ورد في الحديث النبوي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَدَى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ" (البخاري، 1423، ص 1431، حديث رقم 5641). وأيضا كان الأمر بالنسبة للمسلم سواء كان الأمر سلبيا أو إيجابيا ففيه خير للمسلم، كما ورد في الحديث عن صهيب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ (مسلم، 1436، ص 948، حديث رقم 2999). وكلما زاد إيمان المسلم بالثواب من الله زادت لذته ومتعه وسروره بما يبذله من جهد وتعب في سبيل مرضاة الله. فالسعيد في الإسلام ليس إنسان منعما مرفها يجري وراء ملذاته وشهوته، وليس إنسانا يعيش في استرخاء وفرح وسرور دائم بل هو إنسان مؤمن بربه، ومتوكل عليه، وملتمزم بمهديه وشاكر في السراء، صابر في الضراء. فيكون سعيدا في الدنيا لأن أمره كله خير (مرسي، 2000، ص 64).

وإمكانية التحكم في الانفعالات موجودة لدى الإنسان ولكن الإيمان يجعلها ميسرة سهلة، ولقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بالنهي عن الغضب، كما ورد في الحديث النبوي: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: "لَا تَغْضَبَ فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: لَا تَغْضَبُ" (البخاري، 1423، ص 1529، حديث رقم 6116). وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم: أَنَّ الْقَوِيَّ مِنَ النَّاسِ هُوَ الَّذِي يَتَحَكَّمُ فِي انْفِعَالِ الْغَضَبِ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَمَا تَعْدُونَ الصَّرْعَةَ فِيكُمْ؟. قَالَ قُلْنَا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرَّجَالُ، قَالَ: "لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ" (مسلم، 1436، ص 836، حديث رقم 2608).

وقد قدّم النبي صلى الله عليه وسلم علاجا نفسيا للتحكم في انفعال الغضب، وذلك في قوله: "إذا

غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع" (ابن حبان، حديث رقم 5688). وهذا التوجيه النبوي يتضمن أحد أساليب العلاج المعرفي السلوكي، وهو الاسترخاء العضلي والذهني، ويذكر الباحثون العديد من الفوائد لتمارين الاسترخاء منها: "التقليل من تأثير الضغوط النفسية، والرفع من أداء جهاز المناعة في الجسم، والشعور بالراحة النفسية والبدنية. وإن الأشخاص الذين يواظبون على ممارسة تمارين الاسترخاء يحققون العديد من الفوائد؛ ومنها: الشعور بالسكينة والهدوء في حياتهم اليومية. والقدرة على مواجهة الظروف والأحداث الطارئة بفاعلية كبيرة. والشعور بالنشاط والطاقة والصفاء الذهني. والثقة في قدرتهم على مواجهة المشاعر النفسية السيئة" (سنكلير، وهولينكوورث، 2019، 89-90).

ثانيا: أثر الإيمان في تنمية الصلابة النفسية ومواجهة المواقف الصادمة بإيجابية:

يواجه الإنسان في حياته اليومية تحديات وصعوبات متنوعة تقلق سكونه، وتزيد من توتره، ولذلك يسعى باستمرار لمواجهتها لإزالة التوتر من أجل الوصول للراحة والسكون والشعور بالأمن، قال الله سبحانه وتعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ} [البلد:4]. والكَبَدُ يعني المشقة (الأصفهاني، 2011، 695). وأحيانا تتفوق تلك المشاق والتحديات على إمكانات الإنسان فيزداد توتره وتتطور حالته إلى أن تصل إلى مستويات مرتفعة، فتؤثر على صحته النفسية والجسمية كذلك! وتشير الدراسات النفسية إلى العديد من الآثار السلبية التي تتركها الضغوط النفسية مثل: تدني مستوى الأداء وانخفاض مدة تركيز الانتباه. وهناك بعض الدلائل التي تشير إلى ما يمكن أن يلحق من أضرار في السلوك الاجتماعي نتيجة التعرض للأحداث الضاغطة، إضافة إلى تلك الأضرار التي تصيب المهام المعرفية. ومن الآثار السلبية للضغوط النفسية أيضا اضطراب ما بعد الصدمة (Post-Traumatic Stress Disorder PTSD)، ومن الآثار السلبية أيضا للضغوط النفسية العجز والعجز المتعلم (Taylor, 2005, P. 123). ومن أهم ما يساعد الإنسان في مواجهة الضغوط هو الصلابة النفسية وأساليب المواجهة الإيجابية.

ويرى الباحثون أنّ الصلابة النفسية هي سمة تميز بعض الأفراد الذين لهم قدرة على مجابهة الضغوط وتحملها مقارنة بالآخرين، حيث لوحظ أنّ الأفراد الذين حصلوا على درجات مرتفعة في التكيف الشخصي والاجتماعي مع الضغوط هم الأشخاص الذين لديهم سمات شخصية يطلق عليها الشخصية الصلدة أو الصلبة. وتعتبر الصلابة النفسية سمة من سمات الشخصية التي تساعد الفرد على إدراك المواقف الضاغطة

على أنّها أقلّ تهديداً، وبأنّ لديه القدرة على ضبطها، كما أن بإمكانه الاستمرار في أنشطته بالتزام حتى الوصول إلى حالة من التوافق (يوسفي، 2013). والصلابة النفسية هي القوة التي يعول عليها في مساعدة الفرد على الاستمرار الطبيعي في الحياة، بل والتمتع بمواجهة تحدياتها وضغوطها نظراً لما تنطوي عليه من مكونات وخصائص نفسية ومعرفية، مثل: الالتزام والتحكم والتحمدي، فبالالتزام ترسم الأهداف ويتم التحقق منها، وبالتحكم لا يقع الفرد ضحية للأحداث الخارجية، فإن لم يستطع الإنسان التحكم فيها فسيتحكم في نفسه، ويفسر الأحداث بما يتلاءم مع قيمه ومعتقداته الإيجابية، ويكون مسؤولاً عن نفسه وعن عمله وعن الآخرين، وبالتحمدي يتغلب على التعاسة وينمي السعادة والراحة ويحيي الطمأنينة في نفسه وفي نفوس الآخرين (ابن سعد، 2012).

وبين القرآن الكريم أنّ الإيمان يجعل الإنسان قويا وفاعلا في مواجهة المواقف الضاغطة المختلفة، والمعبر عنها بالمصائب، كما قال الله سبحانه وتعالى: { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [التغابن:11]. ويبيّن لنا القرآن الكريم أنّه بمقدورنا أن نتغلب على الألم ونتجاوز عقبة الشعور بالوهن إذا أحسنا الرجاء في الله سبحانه وتعالى، كما ورد في قول الله عزّ وجلّ: { وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } [النساء:104]. ومن جانب آخر فإنّ الإيمان يرتبط بالتوكل في المواقف الضاغطة، وذلك لأنّ الإيمان يؤدي للتوكل، والتوكل من الأعمال الروحية التي تزيل الخوف عند مواجهة التحديات مواجهة موضوعية، ويساعد على اتخاذ القرارات الصائبة تجاهها، فقد قال الله سبحانه وتعالى: { قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } [التوبة:51]. والتوكل يمكن الإنسان من اتخاذ القرارات بلا تردد، وبالتالي يزيد من فاعلية الإنسان في المواجهة بشجاعة عالية وتحمل كبير.

المطلب الثاني: البنية العقلية المعرفية الإيجابية مؤدية للسكينة:

اتجه علم النفس في العقود الأخيرة نحو الاتجاه العقلي المعرفي اتجاها متزايدا، وظهرت نظريات وتجارب وتطبيقات كثيرة في مجال علم النفس منطلقة من الأبعاد المعرفية، وأصبح هناك مجال واضح يشمل النظريات والتجارب والتطبيقات المتنوعة المنطلقة من البعد المعرفي، وهو ما يعرف بعلم النفس المعرفي أو العقلي أو الذهني، أو الإدراكي؛ وكلها ترجمات عربية للمصطلح الأجنبي (Cognitive Psychology). ويرى أرون بيك وهو من رواد الاتجاه العقلي المعرفي في المجال العلاجي أنّ الاضطرابات النفسية الشائعة تتمركز

حول انحرافات معينة في التفكير. ويبقى التحدي الحقيقي أمام العلاج النفسي هو أن يقدم للمريض فنيات فعالة للتغلب على نقاطه العمياء (Blind Spots)، وعلى إدراكاته المشوشة وطرائقه في خداع ذاته.. وبناء على ذلك يرى أرون بيك أنّ العلاج المعرفي بمعناه العريض يتألف من كل المداخل التي من شأنها أن تخفف الكرب النفسي عن طريق تصحيح المفاهيم الذهنية الخاطئة والإشارات الذاتية المغلوطة" (بيك، 2000. ص172).

وما تبناه علماء النفس المعرفيون المعاصرون، وما ذكره أبو زيد البلخي (البلخي، 1424) وغيره من العلماء السابقين يشير إلى أهمية البناء العقلي المعرفي للإنسان، ودور ذلك البناء في إحداث الصحة النفسية، والسكينة والطمأنينة التي تمثل الغاية التي يسعى الناس للوصول إليها.

وهناك مجموعة من الموجهات في القرآن الكريم فيما يتعلق بالجانب العقلي وما يترتب على تلك الموجهات من الحالات النفسية المرجوة للإنسان بما يحقق له السكينة والطمأنينة. وتفيد الآيات القرآنية بأنّ هناك بعض المكونات في شخصية الإنسان مثل الألباب والقلوب والصدور والأفئدة تقوم بالوظائف العقلية المعرفية، ويوجد من الأدلة ما يؤكد بأنّه عندما تكون تلك المكونات في حالاتها الإيجابية فإنّها ستكون مصدرا للسكينة والطمأنينة وما يعبر عنها ويرتبط بها من حالات وعوامل، اتصف بها الرسل والأنبياء ممن دعا القرآن للاقتداء بهم، وكذلك اتسم بها المؤمنون والصالحون بصورة عامة. ومن العمليات العقلية الإيجابية في القرآن الكريم التي لها أدوار مهمة فيما يتعلق بالصحة النفسية والمؤدية للسكينة ما يلي:

أولا: الاستكشاف والبحث الهادف لجلب الطمأنينة:

زوّد الله سبحانه وتعالى الإنسان بأدوات التعلم والاستكشاف الحسية والعقلية التي تمكنه من التفاعل مع الموجودات من حوله، قال الله سبحانه وتعالى: {وَاللّٰهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل:78]. وفي مجال البحث والاستكشاف فقد وردت موجهات كثيرة في القرآن الكريم تجعل الفرد يتجه في بحثه نحو ما يجلب له الطمأنينة، وليس الشقاء والتعاسة. وخير ما يمكن الاستشهاد به في هذا الصدد ما ورد عن الخليل إبراهيم عليه السلام في قوله سبحانه وتعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة:260]. ولذلك توجد الكثير من الطرق التي يمكن للمسلم أن يهتدي بها في البحث عن طبيعة الأشياء، مما تمّ إجماله في كلمات ذات دلالات عقلية معرفية عميقة مثل: السير والنظر والبصر والرؤية والتي يؤدي توظيفها إلى الطمأنينة والسكينة. وذلك لأنّ العقيدة الإسلامية تجعل الإنسان هادفا في حياته ساعيا للخير ومتجها نحوه.

ثانيا: المطالبة بالأدلة والبراهين للوصول لليقين:

يعيش كثير من الناس في حالة من عدم الطمأنينة نظرا لما يصيبه من شكوك كثيرة، ولكن الإسلام ينمي

اليقين لدى الإنسان، وذلك من خلال إرشاده للمطالبة بالأدلة والبراهين الموصولة للحقائق حتى لا يقع الإنسان في الوهم، ولا يكون في حالة من الشك. وتفيد الآيات القرآنية أن تقديم الأدلة والبراهين والمطالبة بها من نواتج التعلم، ومن لا يفعل ذلك فليس له علم؛ قال الله سبحانه وتعالى: {أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعَ اللَّهُ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [النمل:64]. وقال الله سبحانه وتعالى: {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} [الأنعام:148]. وقال الله سبحانه وتعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الأحقاف:4].

وقد تبين من القرآن أن اليقين له مستويات هي: مستوى علم اليقين، كما ورد في قول الله عز وجل: {كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ} [التكاثر:5]. ومستوى عين اليقين، كما ورد في قول الله عز وجل: {ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ} [التكاثر:7]. ومستوى حق اليقين، كما ورد في قول الله عز وجل: {وَإِنَّهُ لِحَقِّ الْيَقِينِ} [الحاقة:51]. ووجود اليقين يدل على الثبات وانتفاء القلق والخفة المتعدية للآخرين، كما قال الله سبحانه وتعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} [الروم:60]. ويرشدنا القرآن الكريم للطرق التي تساعدنا في اكتساب اليقين وتنميته؛ ومنها: النظر في آيات الله ومخلوقاته؛ قال الله سبحانه وتعالى: {وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [الجاثية:4]. ومنها التبصر في الأرض وفي الأنفس؛ قال الله سبحانه وتعالى: {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ (20) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الذاريات: 20 - 21]. ومنها تسبيح الله سبحانه وتعالى، وعبادته التي تؤدي لليقين، وتزيل ضيق الصدر؛ كما في قول الله سبحانه وتعالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (97) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (98) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (99)} [الحجر: 97 - 99].

ثالثا: التفكير فيه راحة وعلاج:

التفكير من العمليات العقلية الإيجابية التي تم مدحها في القرآن الكريم، مما يدل على أهميتها الكبير، وفي هذا الصدد يقول مالك بدرى: "النشاط الفكري الداخلي للإنسان سواء شعر به الفرد أو لم يشعر به هو الذي يوجه سلوكه وتصرفاته الخارجية. وهذا الاستنتاج الذي توصل إليه علماء علم النفس المعرفي بعد سنين طويلة من البحث الذي تخطى جميع المدارس التي حاولت حصر السلوك الإنساني بمفهومه العام في مقم نظري محدود، هذا الاستنتاج يؤكد صدق ما قرره الإسلام من أن التفكير في خلق الله هو العمود الفقري للإيمان الذي ينبثق عنه كل عمل خير" (بدرى، 1995، ص31).

والتفكير من العمليات العقلية الروحية التي اتصف بها أولوا الألباب من المؤمنين، كما ورد في قوله سبحانه وتعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ

يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا
سُبْحَانَكَ قَبْلَنَا عَذَابَ النَّارِ (191) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (192)
رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ
الْأَبْرَارِ (193) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (194) {آل
عمران: 190 - 194}.

وتفيد هذه الآيات أن أولي الألباب هم الذين يذكرون الله تعالى ويتفكرون في خلق السماوات والأرض.
والتفكير عملية عقلية معرفية روحية تتفق مع عملية التفكير في بداياتها الحسية وتختلف عنها في نهاياتها
التدوقية والروحية.

المطلب الثالث: الأعمال والتصرفات السلوكية الجالبة للسكينة:

أولاً: الاستماع للقرآن الكريم وتلاوته وتدبره:

إن الاستماع للقرآن الكريم وتلاوته وتدبره يمثل مصدرا مهما من المصادر التي تؤدي للسكينة والطمأنينة،
وذلك من الرحمة التي وعد بها الله سبحانه وتعالى المستمعين والمنصتين لقراءة القرآن، قال الله سبحانه
وتعالى: { وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [الأعراف:204]. وقد دلّ الحديث
النبوي على تنزل السكينة عند قراءة القرآن الكريم، فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما: قَرَأَ رَجُلٌ الْكَهْفَ،
وَفِي الدَّارِ الدَّابَّةُ، فَجَعَلَتْ تَنْفِرُ، فَسَلَّمَ، فَإِذَا ضَبَابَةٌ، أَوْ سَحَابَةٌ عَشِيَّتُهُ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَ: "اقْرَأْ فُلَانُ، فَإِنَّهَا السَّكِينَةُ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ، أَوْ تَنْزَلَتْ لِلْقُرْآنِ" (البخاري، 1423، حديث رقم 3614،
ص 889).

وقد تبين من الأدلة المختلفة الأثر النفسي الإيجابي الكبير لقراءة القرآن الكريم، قال الله سبحانه وتعالى:
{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً }
[الفرقان:32]. قال القشيري: "ولأنه لو كان دفعة واحدة لم يتكرر نزول جبريل عليه السلام بالرسالة إليه
في كل وقت وكل حين، وكثرة نزوله كانت أوجب لسكون قلبه وكمال رُوحه ودوام أنسه (القشيري،
2013، مج 2، ج 4، ص 262).

وتفيد الأدلة أيضا على الآثار الإيجابية الملحوظة لقراءة القرآن والاستماع إليه، ومن تلك الأدلة قوله
سبحانه وتعالى: { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَابِيحًا تَفْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ
جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }

[الزمر:23]. وقوله سبحانه وتعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (57) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (58) } [يونس: 57 - 58].

وتفيد الدراسات النفسية بأهمية الاستماع للقرآن الكريم وقراءته في جلب السكينة والطمأنينة للناس، وقد ثبت أن الاستماع للقرآن الكريم له تأثيره في النفس الإنسانية، وبصورة خاصة في تنمية الصحة النفسية والوقاية والعلاج من الاضطرابات النفسية. وقد أكد مالك بدري رحمه الله من خلال تجربته في العلاج النفسي أهمية الاستماع للقرآن الكريم للاضطرابات النفسية عندما حُولت له شابة مغربية في قسم العلاج النفسي في مستشفى جامعة الرباط وقد كانت تشكو من عدة أمراض منها القلق العام والشعور بعدم التوافق النفسي والاكتئاب وبعض ردود الفعل الرهابية، وقد دخلت تلك المريضة المستشفى مرتين ولم تجدي معها الأساليب النفسية والأدوية المهدئة التي تناولتها، ويقول مالك بدري: وفي إحدى جلسات العلاج الجماعي كنت أقرأ بعض الآيات القرآنية التي تتناول موضوع غفران الإثم كوسيلة لرفع معنويات أحد المرضى الذكور والذي كان مقبلا على مغادرة المستشفى؛ ومنها قوله سبحانه وتعالى: { وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135) } [آل عمران: 133 - 135]. واستجابت المريضة لهذه الآيات ببكاء عاطفي غير متوقع. وعندئذ طلب مني كبير أخصائي العلاج النفسي.. أن أتابع معها العلاج فواصلت القراءة من آي الذكر الحكيم التي تتحدث عن غفران الله لكل الذنوب وشرحت لها كل المعاني في لغة مبسطة، وكان ذلك بداية لاعتراف عاطفي وبداية تحسن سريع من خلال تطبيق العلاج السلوكي (بدري، 1989، ص72-73).

ومما يؤكد ذلك أيضا أنه قد أجريت دراسة على عينة قوامها 39 فردا يعانون من ضغط نفسي مرتفع اختبروا بطريقة قصدية من ولاية باتنة في الجزائر، ولتحقيق الأهداف المسطرة في هذه الدراسة تمّ استخدام المنهج التجريبي بقياس قبلي وبعدي على نفس العينة، وتمّ استخدام مقياس مستوى الضغط النفسي لهولمز وراهي بعد ترجمته، إضافة إلى استخدام برنامج علاجي يعتمد أساسا على القرآن الكريم كتقنية علاجية أساسية. وقد أسفرت الدراسة على النتائج التالية: وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.01 بين متوسط درجات مجموعة أفراد العينة التجريبية في القياس القبلي ومتوسط درجاتهم في القياس البعدي

على مقياس الضغوط النفسية لصالح القياس البعدي (أي بعد تطبيق البرنامج العلاجي مباشرة). وبهذا تكون قد تحققت فرضيات الدراسة في أن كلا من سماع القرآن وتلاوته وتدبره يتدخل بشكل ملحوظ في تخفيض مستوى الضغط النفسي، وأن القرآن الكريم يساهم بشكل كبير في اختفاء أعراض الضغط النفسي وتحقيق الصحة النفسية (بوعون، 2017).

- وقد أجريت دراسة تجريبية في ولاية فلوريدا الأمريكية على خمسة أشخاص ليسوا مسلمين ولا ينطقون العربية، ومتوسط أعمارهم 22 سنة منهم 3 من الذكور و2 من الإناث، وكانت التجربة كما يلي:
- 85 جلسة استماع لقراءات قرآنية باللغة العربية بطريقة التجويد.
 - 85 جلسة استماع لقراءات غير قرآنية باللغة العربية بطريقة التجويد باختيار اللفظ والصورة والإيقاع ليكون متشابهما لما في القرآن الكريم.
 - 40 جلسة استرخاء وبدون أي قراءات (تمّ أهملت لأنها لم تأت بأي نتيجة إيجابية على التوتّر).

وكان معيار النتائج تهدئة النفس اعتمادا على مؤشرات التغيرات الفيزيولوجية الآتية: قابلية الجلد للتوصيل الكهربائي، درجة حرارة الجلد، الدورة الدموية، التيارات الكهربائية بالعضلات التي تعكس ردود الأفعال العصبية، عدد ضربات القلب وضغط الدم، والفحص النفسي المباشر. وتمّ قياس هذه التغيرات الفيزيولوجية بأجهزة ذات تقنية عالية، وجاءت النتائج مؤكدة أنّ تلاوة القرآن يصحبها تغيرات فيزيولوجية ملموسة ولا مجال فيها للإيحاء؛ حيث أشارت النتائج إلى 65 تأثير إيجابي لتهدئة النفس في جلسات الاستماع القرآنية (زعقار، 2013).

وبصورة عامة فإنّ الاستماع والإنصات للقرآن الكريم وقراءته وتدبره هو مصدر للطمأنينة والسكينة للنفس الإنسانية، وذلك لما فيه من التأثير الكبير على الجوانب المختلفة لشخصية الإنسان، وقد دلّ على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والدراسات والتجارب النفسية التي تمت الإشارة إليها، وهذا كله يمثل مظهرا من مظاهر الرحمة المرتبطة بهذا القرآن للإنسان، وخاصة في جوانبه النفسية فيما يتعلق بالطمأنينة والسكينة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله، يتلون كتابَ الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وعشيتهم الرحمة وحفَّتْهم الملائكةُ، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله، لم يُسرَّعْ به نسبه" (مسلم، 1436، حديث رقم 2699، ص 862). ومن حيث المعاني فإنّ القرآن الكريم يتضمن العديد من الآيات التي تنزل بردا وسلاما على قرائه ومستمعيه في النوازل المختلفة، والأدلة على ذلك كثيرة؛ ومنها:

عندما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أصاب بعض الصحابة حالة من الإنكار، ولكن الصديق رضي الله عنه استحضر بعض الآيات وقرأها عليهم، كان لها أثر كبير في نقلهم من حالة الإنكار إلى حالة تقبل الحدث والتصرف إزاءه بما يليق به، فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ، - قَالَ: إِسْمَاعِيلُ يَعْنِي بِالْعَالِيَةِ - فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ، وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ، فَلْيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالِ وَأَرْجُلَهُمْ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَبَّلَهُ، قَالَ: بِأبي أنت وأمي، طُبْتُ حَيًّا وَمَيِّتًا، والذي نفسي بيده لا يُدَيْفُكَ اللَّهُ الْمُؤْتَتِينَ أَبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الْخَالِفُ عَلَى رَسُولِكَ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ. فَحَمِدَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَالَ: { إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ } [الزمر: 30]، وَقَالَ: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ } [آل عمران: 144]، قَالَ: فَتَشَجَّ النَّاسُ بِيَكُونُونَ... ثُمَّ لَقَدْ بَصَّرَ أَبُو بَكْرٍ النَّاسَ الْهَدَى، وَعَرَفَهُمْ الْحَقُّ الَّذِي عَلَيْهِمْ وَخَرَجُوا بِهِ، يَتْلُونَ { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ، قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ } [آل عمران: 144] إلى { الشَّاكِرِينَ } [آل عمران: 144] (البخاري، 1423، حديث رقم 3667 - 3668، ص 901-902).

وعندما حدث الجذب والجفاف وتضايق الناس، ذهبوا لعمر بن الخطاب وشكوا له ما أصابهم، استشهد بآية من القرآن الكريم باعثة للطمأنينة لهم ولكل من تمر به مثل تلك الحالة، فقد أورد الطبري: "قال قتادة: قيل لعمر بن الخطاب: أجدبت الأرض، وقنط الناس. قال: مُطَرُوا إِذْن. لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: { وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ } [الشورى: 28] (الطبري، 2012، ج 6، ص 564). فما أعظم هذا الاستشهاد وما أعظم الطمأنينة التي سيثها لدى كل محبط قد وصل إلى مستوى القنوط.

وإنَّ قراءة المسلم للآيات التي تفيد بأنَّ العسر مؤقت، وأنَّ عاقبة كل عسر يسرا، وأنَّ الله سيجعل بعد كل عسر يسرا، سيشعر بالطمأنينة، ولن يتخلل اليأس إلى دواخله، قال الله سبحانه وتعالى: { لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا } [الطلاق: 7]. وقال الله سبحانه وتعالى: { فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6) } [الشرح: 5 - 6]. قال السعدي: { فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا } بشارة عظيمة، أنه كلما وجد عسر وصعوبة، فإنَّ اليسر يقارنه ويصاحبه، حتى لو دخل العسر جحر ضب لدخل عليه

اليسر، فأخرجه كما قال تعالى: { سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا } وكما قال النبي ﷺ: " وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا ". وتعريف " العسر " في الآيتين، يدل على أنه واحد، وتنكير " اليسر " يدل على تكراره، فلن يغلب عسر يسرين. وفي تعريفه بالألف واللام، الدالة على الاستغراق والعموم يدل على أن كل عسر - وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ - فإنه في آخره التيسير ملازم له " (السعدي، 1426، ص1096).

ثانيا: الصلاة:

الصلاة من أكثر الأعمال التعبديّة الجالبة للطمأنينة والسكينة، فهي حصّة نفسية روحية، يتخلص بها الإنسان من المنغصات النفسية، ويستروح بها من الهموم الكثيرة، ويسكن فيها بمنجاة ربه سبحانه وتعالى، فيسعد بذكر ربه؛ وإقامة الصلاة والخشوع فيها دليل على الفلاح، كما قال الله سبحانه وتعالى: { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) } [المؤمنون: 1 - 2]. والصلاة يحدث بها الوعي التام، والذكرى والتذكر لله سبحانه وتعالى والإنابة إليه، قال الله سبحانه وتعالى: { إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي } [طه: 14]. وقال الله سبحانه وتعالى: { وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفُقًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ } [هود: 114].

وارتبطت السكينة والطمأنينة بالصلاة ارتباطا عجيبا، فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم للمسيء صلواته أن يطمئن في أدائه للصلاة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ فَارْجِعْ فَصَلِّ ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ، فَقَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، فَارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ فَقَالَ فِي الثَّانِيَةِ، أَوْ فِي الَّتِي بَعْدَهَا: عَلَّمَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَسْبِغِ الوُضُوءَ، ثُمَّ اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ بِمَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْزُقْ حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْزُقْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْزُقْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا" (البخاري، 1423، حديث رقم 6251، ص1560). كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإتيان للصلاة بسكينة فعن أبي هريرة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ، وَأَتُوهَا تَمْشُونَ، عَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأْتُوا" (البخاري، 1423، حديث رقم 908، ص219). وبالمنهج السلوكي بمفاهيم البشر تستوفي الصلاة كل ما يتحقق من تألف الحركة في الصلاة بمنهج الاسترخاء الفسيولوجي بما يتألف على الأعضاء من انقباض وانبساط وتعادل بينهما. وهذا ما

تستوفيه الصلاة باطمئنان الحركة فيها، وبإحسان الأداء (خليل، 2002، ص 47).

والصلاة ليست طمأنينة وسكون حركي خارجي فقط، وإنما هي خشوع وحضور قلبي داخلي أيضاً، وقد بيّن الغزالي في إحياء علوم الدين ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب، وقال: اعلم أنّ أدلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله سبحانه وتعالى: { .. وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي } [طه:14]، وظاهر الأمر الوجوب، والغفلة تضاد الذكر، فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيماً للصلاة لذكره؟ (الغزالي، 2001، مج 1، ص 152-153). وقد بيّن الغزالي كيفية إحضار القلب في الصلاة، فقال: "فاعلم أنّ حضور القلب سببه الهمة؛ فإنّ قلبك تابع لهمتك، فلا يحضر إلا فيما يهملك. ومهما أهلك أمر حضر القلب فيه شاء أم أبى! فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه. والقلب إذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعتلاً (فحسب) بل جائلاً فيما الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا، فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى الصلاة، والهمة لا تنصرف إليها ما لم يتبين أنّ الغرض المطلوب منوط بها، وذلك هو الإيمان والتصديق بأنّ الآخرة خير وأبقى وأنّ الصلاة وسيلة إليها" (الغزالي، 2001، مج 1، ص 155).

فالصلاة فيها الراحة التامة؛ فقد ورد في الحديث النبوي عن النبي صلى الله عليه وسلم: "يا بلال! أقم الصلاة، أرخنا بها" (الألباني، ح 7892). كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمرٌ صَلَّى (أبو داوود، حديث رقم 1319). وقد أثبتت مجموعة من الدراسات العلمية أجريت في ماليزيا على بعض مرضى اضطراب القلق العام ومرضى الاكتئاب أنّ المتدينين من هؤلاء المرضى يستفيدون بشكل لا يقبل الجدل عند إضافة بعض أساليب العلاج النفسي الديني لعلاجهم الدوائي مقارنة بالمرضى غير المتدينين؛ وتلخصت أساليب العلاج الديني تلك في إسباغ الوضوء وفي إطالة مدة الصلاة من خلال إطالة مدة الركوع ومدة السجود" (بهيج).

ومن ناحية أخرى فإنّ الصلاة واقية للإنسان من جميع الانحرافات السلوكية والمشكلات النفسية والاجتماعية، فقد قال الله سبحانه وتعالى: { اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ } [العنكبوت:45]. وقال مالك بدري: "وفي الصلاة ذكر باللسان وتكرار مستمر لآيات الفاتحة وللتكبير والحمد والتسبيح في أثناء ذلك الخشوع العميق. وفيها أسرار روحية لا يستطيع العلم الحديث أن يسبر غورها، لكن البحث التجريبي المعاصر يكشف لنا بعض ما في الصلاة من فوائد نفسية وعلاجية. يتحدث العلماء الآن عن أن أهمية الاسترخاء والتأمل المتسامي (Transcendental meditation) في العلاج النفسي والجسمي وتأهيل المدمنين

للانفلات من قيود الكحول والمخدرات، فقد ثبت بالدليل التجريبي أنّ المريض الذي يستغرق في التأمل مع تكرار ألفاظ مستقاة من عقيدته أو أي فكر يؤمن به تحدث له تغيرات نفسية وجسدية واضحة كالشعور بالأمن وتلاشي القلق والتوتر وانخفاض كبير في ضغط الدم الانقباضي والانبساطي وجميع التغيرات الفسيولوجية الهامة المصاحبة للاسترخاء والهدوء النفسي كإنخفاض الأوكسجين وازدياد موجات ألفا (Alpha) من الدماغ. وكانت هذه الدراسات مشجعة بشكل جعل الحكومة الفيدرالية الأمريكية تمويل سبعة عشر مشروعاً لأبحاث التأمل المتسامي للمساعدة في تأهيل المدمنين على الكحول بشكل خاص" (بدرى، 2005، ص141).

ورغم ما في الصلاة المكتوبة من أسرار لا تحيط بها مثل هذه الدراسات، فعلى الأقل، ومن هذا المنطلق المحدود فإنّ للمؤمن خمس جلسات تأملية في اليوم الليلية، يكرر فيها سورة الفاتحة بآياتها الشمولية سبع عشرة مرة، وهو يستغرق في أعماق درجات التأمل، ألا وهو التفكير في عظمة الله رب العالمين، مالك الدنيا والآخرة، والتفكير في آياته المنبثقة في الكون وفي الأنفس فيطلب منه الهداية والغفران. أما إذا اكتفى المصلي بالسنن المؤكدة بالإضافة للصلوات المفروضة فسيقراً الفاتحة على الأقل ثمانين وعشرين مرة في اليوم والليلة، وسوف يكرر في صلاته عبارة (الله أكبر) حوالي مائة مرة بالإضافة إلى المداومة على تكرارها 33 مرة في دبر كل صلاة، وقس على ذلك صلوات النافلة والتسبيح والتهليل الذي يلتزم به معظم المسلمين" (بدرى، 2005، ص142).

والصلاة واقية للإنسان من الصدمات النفسية وحافضة لتوازنه في المواقف الصعبة التي تواجهه أيا كانت، فيتصرف فيها التصرف المناسب، مستخدماً أساليب المواجهة الإيجابية، قال الله سبحانه وتعالى: { إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23) } [المعارج: 19 - 23].

وقد ربط الله سبحانه وتعالى بين الاستعانة بالصلاة والصبر، وذلك في قوله سبحانه وتعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } [البقرة: 153]. وقوله سبحانه وتعالى: { وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (46) } [البقرة: 45 - 46]. وعن حذيفة قال كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى (أبو داود).

ثالثاً: الذكر:

الذكر من العبادات القولية القلبية التي جاء الأمر بها في الإسلام، وقد ارتبطت بالطمأنينة والحالات النفسية الإيجابية، كما ارتبطت بالحالات النفسية السالبة بالغفلة عن الذكر والإعراض عنه. وقد عرفه الأصفهاني بقوله: الذِّكْرُ: تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بما يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه، والذِّكْرُ يقال اعتباراً باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول، ولذلك قيل: الذِّكْرُ ذكران: ذكر بالقلب وذكر باللسان" (الأصفهاني، 2011، 328). والذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان (ابن القيم، 2003، ج3، ص349).

فالذكر حالة حضور لكل ما يهم الإنسان ويعظمه، ولما كانت العظمة المطلقة لله سبحانه وتعالى، فإن المؤمن المعظم لله سبحانه سيظمئن بذكر الله تعالى، لأنه يعلم أن الله تعالى أكبر من كل كبير، وأعظم من كل عظيم، وأرحم من كل رحيم، وألطف من كل لطيف، وأقدر من كل قدير، ولذلك عندما يستحضر أسماء ربه وصفاته، فإن سيكون في طمأنينة لا مثيل لها، قال الله سبحانه وتعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد:28].

يقول ابن القيم: "في كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة، والذكر عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة. بل هم يؤمرون بذكر معبودهم ومحبوهم في كل حال: قياماً، وقعوداً، وعلى جنوبهم. فكما أن الجنة قيعان، وهو غراسها. فكذلك القلوب بور خراب، وهو عمارتها وأساسها" (ابن القيم، 2003، ج2، ص340). ويقول مالك بدري معبراً عن بعض الدراسات النفسية الحديثة التي تفسر شيئاً من الأثر الكبير للذكر بأن: "المداممة الطويلة على الاستغراق في التأمل والاسترخاء والترديد اللانهائي لعبارات مقتضبة مأخوذة من تصور الفرد العقائدي والإيماني يأتي بالهدوء والطمأنينة والسكينة التي تقوي من بنيته النفسية فتؤهله للحياة بدون الكحول إن كان مدمناً، أو تخفف من قلقه وتوتره إن كان عصائياً، أو حتى ربما تساعده على شفائه من بعض أسقامه العضوية. ومحدثنا الدكتور بنسون، وهو صاحب أشهر كتاب في العلاج عن طريق الاسترخاء، بأنه لا يشترط في الاسترخاء المصاحب للتأمل العميق أن يكون المرء فيه مستلقياً على أريكة طبيب نفسي، فبالتمرين المستمر يستطيع الإنسان أن يسترخي وهو يجلس القرفصاء كما يفعل البوذي المتبتل، أو وهو جالس في مكتبه أو ماش، أو حتى وهو يقوم برياضة الركض" (بدري، 2005، ص141).

فإذا أثبت النفسانيون أهمية الاستغراق في التأمل والمداممة الطويلة والترديد المستمر لبعض العبارات التي يتعلمها الإنسان، فيسعد بذلك ويرتاح، فكيف به إذا كان ترديده لعبارات لها معنى عقدي، وتدل على ربه العظيم الذي لا مثيل له؟ ولهذا فإن كثرة الذكر لله سبحانه وتعالى ستكون فيها من الفوائد ما لا يستطيع أحد إحصاءه، فالذكر الكثير يؤدي للفلاح؛ قال الله سبحانه وتعالى: {.. وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأنفال:45]. والالتفاء عن الذكر بالمشغولات والمشتتات الأخرى مهما كانت فإنه يورث

الحسران، قال الله سبحانه وتعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } [المنافقون:9].

والذكر يؤدي للرضا، والرضا هو أعلى مطالب الصحة النفسية؛ قال الله سبحانه وتعالى: { فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يُقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ } [طه:130]. وما يدل على دور الذكر في الوصول للرضا والصحة النفسية أنّ أحد الأطباء النفسيين الباكستانيين قد عالج 64 مريضا بالاكتئاب علاجا طبييا وقسمهم إلى مجموعتين: 32 مريضا منهم أعطاهم العلاج الطبي فقط، و32 مريضا أعطاهم العلاج الطبي وطلب منهم القيام بالليل - وذلك في شهر رمضان - من الساعة 2 إلى 4 صباحا لصلاة التهجد وذكر الله وقراءة القرآن والدعاء والاستغفار. وبعد أربعة أسابيع وجد أنّ 78% من المجموعة الثانية و15% من المجموعة الأولى قد تخلصوا من الاكتئاب" (مرسي، 2000، ص120).

ولذلك فإنّ الغفلة عن ذكر الله والإعراض عنه تحدث خلافا عقليا معرفيا وسلوكيا؛ ولذلك يكون الإنسان تائها غير متوازن في سلوكه، وغير مطمئن في حياته، قال الله سبحانه وتعالى: { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } [الكهف:28]. قال الزجاج: "أي: كان أمره التفریط، والتفریط: تَفْدِيمُ الْعَجْزِ (الزجاج، 2006، ج3، ص213).

وما يدل على أهمية الذكر في الجانب العقلي المعرفي للإنسان أنّ الله سبحانه وتعالى قد بيّن أنّ الذين يذكرون الله سبحانه وتعالى في جميع أحوالهم قياما وقعودا وعلى جنوبهم؛ هم أولوا الأبواب، وهم الذين يتفكرون في خلق السماوات والأرض، ويقولون بأنّ الله سبحانه وتعالى لم يخلق ذلك باطلا؛ كما ورد في قول الله سبحانه وتعالى: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ } (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191) } [آل عمران: 190 - 191].

رابعا: الدعاء:

معنى الدعاء في اللغة: "هُوَ أَنْ تُمِيلَ الشَّيْءَ إِلَىٰ نَيْكَ بِصَوْتٍ وَكَلَامٍ يَكُونُ مِنْكَ" (ابن فارس، 2001، ص337). وهذا المعنى يشير إلى طلب يقدمه الداعي للمدعو راجيا لتبليته، وذلك نظرا لحاجة الداعي لذلك الطلب، وعجزه عنه، والدعاء في القرآن والسنة له دلالات متنوعة، ولكنها تتفق في التوجه النفسي نحو مصدر ما يعتقد فيه الإنسان القوة الكافية لجلب منفعة يريدها أو دفع ضرر يخاف منه، ولذلك جاء

التوجيه القرآني بتصحيح هذا المفهوم الخاطئ لكي يتم توجيه الدعاء لله رب العالمين لأنّ بعض الناس يتجهون بدعائهم للاتجاه الخاطئ وذلك بزعمهم الوهمي توفر القوة فيمن يدعون، قال الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (196) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (197) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (198)} [الأعراف: 196 - 198]. ووصف الله سبحانه وتعالى الذين يدعون من لا يستجيبون لهم بالضلال، قال الله سبحانه وتعالى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَأ يَسْتَجِيبَ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ} [الأحقاف: 5].

والإنسان مفطور على الدعاء، ولذلك يلجأ ويتوجه لمصدر القوة الأوحد في المواقف الشديدة، والذي يعلمه فطرياً، ويدعوه لينجيه من الكروب والمصائب، ولكن بعض الناس بعد ذلك يعودون منتكسين على فطرتهم فيشركوا ويعبدوا غير الله، قال الله سبحانه وتعالى: {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّهِ مَسَّهُ كَذَلِكِ زَيْنٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [يونس: 12]. وقال الله سبحانه وتعالى: {هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُجِيبْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [يونس: 22]. وقال الله سبحانه وتعالى: {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ} [لقمان: 32]. وقال الله سبحانه وتعالى: {وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوُا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} [الروم: 33].

ومع أنّ جميع الناس يلجؤون للدعاء لطلب النجاة وتخفيف الضغوط، ونيل المطالب والوصول للطمأنينة، ولكن دعاء الله سبحانه وتعالى فيه الراحة والسعادة، كما يتضح من قوله سبحانه وتعالى على لسان زكريا عليه السلام: {ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (3) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (4)} [مريم: 2 - 4].

وقد استخدم بعض الباحثين النفسانيين المعاصرين الدعاء في البرامج العلاجية والإرشادية، وتوصلوا إلى آثار إيجابية واضحة تبين الأثر النفسي الإيجابي الكبير للدعاء؛ فقد أجرت الباحثة سماء الجروشي دراسة تجريبية عن مدى فاعلية الدعاء كبرنامج إرشادي نفسي ديني في خفض قلق السمّة لدى عينة من الطلبة، فاختارت عينة من 36 طالبة جامعية، وقسمتهن إلى مجموعتين، وطبقت على إحدى المجموعتين جلسات إرشادية متضمنة لبرنامج الدعاء الذي تم تصميمه لهذا الغرض. وقامت الباحثة بقياس مستوى القلق قبل الجلسات الإرشادية وبعدها للعينة التجريبية وكذلك للعينة الضابطة، كما قارنت بين مستوى القلق لدى العينة التجريبية والعينة الضابطة، وتوصلت إلى وجود أثر كبير للدعاء في خفض القلق لدى العينة التجريبية مقارنة بما قبل الجلسات وبعدها، ومقارنة بالعينة الأخرى (الجروشي، 2007). وقد أجرى مجموعة من

الباحثين دراسة عن أثر الدعاء وبعض البرامج العلاجية النفسية في تصعيد معنى الحياة وتقليل الاضطرابات لدى كبار السن من ذوي الاعاقات الحركية الذين يعيشون في دور العجزة، ووجدوا أكثر إيجابيا كبيرا لذلك (Khodabakhshi-Koolaee, 2018).

وتتمثل أهمية الدعاء وآثاره النفسية بالنسبة للإنسان من خلال إشباع الحاجة للانتماء والتعلق بالقوي العظيم واللجوء إليه في الأوقات الحرجة، ولذلك يكون المؤمنون أكثر سعادة بلجوئهم لله سبحانه وتعالى وتزداد سعادتهم بقدر تعظيمهم لرحمهم ومعرفتهم بصفاته وأسمائه ومدى تعظيمهم لرحمهم، ولذلك أظهر الأنبياء والرسول سعادتهم وهم يدعون ربه في المواقف المختلفة رابطين تلك السعادة بتعظيمهم لرحمهم سبحانه وتعالى لاجئين إليه متعلقين به، ومما يدل على ضرورة اللجوء لله سبحانه وتعالى، أنه أمر بالفرار إليه، والفرار دائما يكون نحو المكان الآمن، قال الله سبحانه وتعالى: { فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ } [الذاريات 50]. ومما يشبع الحاجة الفطرية للتعلق بالقوي، أن الله سبحانه وتعالى القوي القدير قد دعا الناس لدعائه ووعدهم بالاستجابة، كما قال الله سبحانه وتعالى: { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } [البقرة: 186]. وكما قال الله عز وجل: { أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا } [النمل: 62].

خامسا: التوبة والاستغفار:

التوبة والاستغفار من المفاهيم الإسلامية المتداخلة والمكملة لبعضها، والتي تتعلق بالأخطاء، بعد اكتشافها، والسعي للتخلي عنها، وطلب العفو عنها. وذلك من أجل إزالتها، يقول الأصفهاني: "التَّوْبُ: ترك الذنب على أجمال الوجوه، وهو أبلغ وجوه الاعتذار، فإنَّ الاعتذار على ثلاثة أوجه: إمَّا أن يقول المعتذر: لم أفعل، أو يقول: فعلت لأجل كذا، أو فعلت وأسأت وقد أقلعت، ولا رابع لذلك، وهذا الأخير هو التوبة، والتَّوْبَةُ في الشرع: ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعادة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالأعمال بالإعادة، فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كملت شرائط التوبة" (الأصفهاني، 2011، ص 169).

ويرى بعض علماء النفس أنَّ الشعور بالذنب أو الخطيئة صفة ملازمة للإنسان قد تكبر وتتضخم في شعور ذلك الإنسان، حتى تشكل علامة حادة في شخصيته، وقد تقوده إلى الصراع النفسي أو النكوص والعزلة والإحباط واليأس، وتؤدي به إلى حالة اللاسوء والمرض والعلّة النفسية، بل وتسوقه في كثير من الأحيان، عند أزمتهما الحادة، إلى العذاب المزمن، فالانحيار في البناء النفسي، فالانتحار للتخلص من مثل هذا العذاب عن طريق التخلص من الحياة ذاتها (العاني، 1998، ص 178).

ولذلك تظهر أهمية التوبة التي تعبر عن اكتشاف الخطأ والوعي التام بخطورته وآثاره السالبة، والعزم على الإفلاع عنه، والالتزام المستقبلي بعدم الرجوع إليه مرة أخرى، والاستغفار يشير إلى السعي لمحو آثار الخطأ وتغطيته والتخلص من آثاره السالبة. فالتوبة والاستغفار متلازمان، ومرتبطان بسلوك الناس وتقويمهم الذاتي المستمر لحالاتهم النفسية ولسلوكلهم وأدائهم مع أنفسهم ومع من حولهم ومع ربهم، ويتم ذلك التقويم الذاتي في ضوء النتائج التي قد تكون غير مرضية للأفراد على حسب معاييرهم، أو من خلال ردود أفعال الآخرين تجاههم، أو من خلال ما يكتسبه من معرفة تستدعي التصويب والتصحيح.

وهذه العملية تشير إلى أنّ النفس الإنسانية ليست ساكنة تجاه سلوكها، فهي في تقويم ذاتي مستمر؛ قال الله سبحانه وتعالى: {وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} [القيامة:2]. قال القشيري: "وهي النفس التي تلوم صاحبها، وتعرف نقصان حالها" (القشيري، 2013، مج3، ج6، ص185).

وتدل صفة اللوم الملازمة للنفس الإنسانية على حاجة الإنسان للتقويم المستمر، وتدل على أنّ الوقوع في الأخطاء ممكن وغير مستحيل بالنسبة للإنسان، وهذا ما يجعله محتاج للتوبة وتصحيح المسار، وليس الاستسلام للتوجه الخاطئ والتمادي فيه، ولا الإنكار المطلق للخطأ، وللتوبة والاستغفار أهمية نفسية كبيرة في جانب الصحة النفسية ويتضح ذلك من خلال آيات القرآن الكريم والسنة النبوية وذلك كما يلي:

1. يحتاج المخطئ للتقبل، حتى يتوافق مع ذاته، ويتكيف مع الآخرين، ولذلك فإنّ حالات العزل والتجنب التي يواجهها بما بعض المحيطين به تسبب له أذى نفسيا كبيرا جدا، وقد يعزز لديه الاستمرارية في السلوك الخاطئ، ولكن التائب عندما يعلم أنّ الله سبحانه وتعال يجب التواين ويقبل توبتهم فإنه سيشعر بالراحة والطمأنينة ويتجاوز تلك العقبة، ويسعى للتصحيح والتصويب المرجو، فقد قال الله سبحانه وتعالى: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [التوبة:104]. وقال الله سبحانه وتعالى: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة:222]. وقال الله سبحانه وتعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} [النساء:64].

2. بما أنّ الإنسان يكون حالة من التقويم واللوم الذاتي لنفسه ولسلوكله بصورة مستمرة، فإنه عندما يكتشف أنّه لم يكن سائرا في الاتجاه الصحيح، أو أنّ ما قام به من سلوك كان خاطئا، فإنه سيكون في قلق وخوف، وقد يصاب بالاكتئاب، وقد يلجأ لوسائل الدفاع النفسي السلبية، وقد يستخدم أساليب المواجهة الخاطئة، ولكن المؤمن قبل أن يصل لمثل تلك المراحل فإنه يتذكر قوله

سبحانه وتعالى: { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ فَرِحُوا وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا مَعْصِيَةً لِلَّهِ ذَكَرُوا رَبَّهُمْ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَسْتَغْفِرِ لِلَّهِ مِائَةَ ذَنْبٍ لَا يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ وَلَا يَخُذُ اللَّهُ بِالذَّنْبِ وَالَّذِينَ يَحْمِلُوا أَسْرَارَهُمْ لِلَّهِ لَا يَمَسُّهُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَلِلَّهِ الْغَنِيُّ الْعَلِيمُ } [آل عمران: 135]. فيشعر بالأمان ويتحرر من آثار الشعور بالذنب، ولا يهمله مهما كان ذنبه فإن الله سبحانه وتعالى أمره أن يتوجه إليه ويستغفره ويتوب إليه كما قال الله سبحانه وتعالى: { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ } [الزمر: 53]. وقد ورد في الحديث: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا يَكْبِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ" (مسلم، 1436، حديث رقم 2758).

3. عندما يعلم المخطئ أن التوبة يترتب عليها أجر وثواب عظيم، فإن هذا سينقله من حالة الإحباط إلى الفاعلية والعزيمة والإرادة المدعومة لتصحيح مسيرته، والمعززة لكفاءته والمنمية لدافعية الإنجاز لديه، وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة في الثواب الكبير والثناء العظيم الذي سيناله التائبون والمستغفرون، قال الله سبحانه وتعالى: { التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِنُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ } [التوبة: 112]. وقال الله سبحانه وتعالى: { وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ } [هود: 3].

وقال الله سبحانه وتعالى: { وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ } [هود: 52]. وقال الله سبحانه وتعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ وَغَفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [التحریم: 8].

ملخص الدراسة وتوصياتها:

تمثل السكينة مطلبًا غالياً وغاية عالية لما لها من أهمية في الصحة النفسية والعقلية للإنسان، فالسكينة جوهرة ثمينة نزلها الله سبحانه وتعالى في قلوب الأنبياء والمؤمنين في ساعات الشدة فزادتهم إيماناً وثباتاً وأماناً

وطمأنينة، وجعلتهم أكثر فاعلية وتأثيراً في أداء أصعب المهام في أحلك الظروف، ولذلك فإنّ الإعداد لئليها واكتسابها ينبغي أن ينال أهمية كبيرة.

وهدفت الدراسة الحالية للكشف عن العوامل المؤدية للسكينة في ضوء القرآن الكريم. وتم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي لتحقيق ذلك الهدف العام، وذلك باستقراء الآيات القرآنية وتحليل الدراسات النفسية المتاحة. وتمثلت أبرز نتائج الدراسة في الكشف عن ثلاثة عوامل مؤدية للسكينة هي: العامل الإيماني، والعامل العقلي المعرفي، والعامل السلوكي العملي. واتضح أنّ الإيمان يؤثر في السكينة من خلال تحقيق الاتزان النفسي والتنظيم الانفعالي، ومن خلال تنمية الصلابة النفسية ومواجهة المواقف الصادمة بإيجابية. واتضح من القرآن الكريم أهمية التركيز على المكونات العقلية في بعث الطمأنينة والسكينة والصحة النفسية للإنسان، فقد ارتبطت الحالات النفسية الإيجابية بالمكونات والعمليات العقلية الإيجابية التي وردت في القرآن الكريم في مقام المدح والثناء على من يقوم بها والنتائج المرجوة المتعلقة بها، ومنها: الاستكشاف والبحث الهادف لجلب الطمأنينة، والمطالبة بالأدلة والبراهين للوصول لليقين، والتفكير الذي فيه الراحة والعلاج. واتضح أنّ الأعمال والتصرفات السلوكية الجالبة للسكينة تضمنت كلا من: الاستماع للقرآن الكريم وتلاوته وتدبره، الصلاة، الذكر، الدعاء، والتوبة والاستغفار.

وفي ضوء نتائج هذه الدراسة ومن أجل تحقيق السكينة لابد من مراعاة التوصيات التالية:

1- تنمية الإيمان زيادته، لتعظيم الخالق واستشعار قربه ومعيته، ولطفه ورحمته وعلمه وإحاطته، وقدرته ولطفه، وسائر صفاته وأسمائه، واستكمال كل أركان الإيمان من خلال الرسائل المتنوعة، وعبر أوقات مختلفة، لأنّ زيادة الإيمان تسكن النفس، وتنظم الانفعالات وتضبط الدوافع وتحسن إدارتها، وتنمي الصلابة النفسية، فيزول القلق والخوف والحزن، وتقل آثار الضغوط التي تواجه الأفراد والمجموعات في حياتهم.

2- تنمية الجوانب العقلية المعرفية، وذلك بتوجيه العقل ومكوناته للبحث والاكتشاف والتفكير والتدبر وتوظيفه في المجالات الإيجابية، وإكساب الأفراد عمليات التحليل العقلي والمنطقي، لتساعدهم في الحكم على الأمور واتخاذ القرارات وحل المشكلات، فلا يعظم لديهم الوهم، ولا يتمالكهم الوهن، فتكون مسيرتهم متجهة في الطريق الصحيح، وحلهم للمشكلات مبني على المهارات السليمة، واتخاذهم للقرارات مؤدياً لما يسكنهم في المدلهمات.

- 3- ترويض النفوس وتدريبها على الأعمال والتصرفات السلوكية المؤدية للسكينة، وذلك عن طريق تعلم القرآن وتدبره وقراءته والمداومة على ذلك، وأداء الصلوات والشعائر وفق متطلباتها، وإعمار القلوب وترطيب الألسن بالذكر، والتعلق بالله ورجائه ودعائه في كل حين، والرجوع والتوبة والاستغفار عند الزلل، فهذه كلها أعمال محصنة من عوامل القلق والاضطراب والصدمات، وجالبة للسكينة.
- 4- ضبط محتوى الرسائل التواصلية وتحكيم محتواها لكي يكون جالبا للسكينة وليس مزعزا للأمن النفسي، وأن يكون محتواها مليئا بالبشرى والمبشرات، وأفضل تلك المبشرات والمسكنات ما تضمنته الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من الثواب والخير، والحث على العمل الصالح والتفاؤل والرجاء وحسن الظن، والصبر والتحمل والثبات والتفكير.
- 5- العمل على تنمية الاتجاهات الإيجابية وتصحيح المفاهيم الكثيرة النابعة من العادات والتقاليد السلبية التي تعزز التشاؤم والتطير وتشوه التفكير وتجلب القلق والتردد، والعمل على إحداث التعلم بالطرق السليمة وتعليم ما ينفع الناس ويبشرهم بالخير والثواب ويجلب لهم الطمأنينة والسكينة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. ابن حبان، محمد. صحيح ابن حبان: (<https://www.dorar.net/hadith/>)
2. ابن سعد، احمد (2012). الصلابة النفسية: المفهوم والمتعلقات. مجلة دراسات: جامعة عمار ثليجي، الجزائر، ع21، ص31-41.
3. ابن سلام، أبو عبيد القاسم (2000). كتاب الإيمان ومعالجه وسننه واستكمالها ودرجاته. تحقيق وتخرىج: الألباني، محمد ناصر الدين. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
4. ابن عاشور، محمد الطاهر (1984). تفسير التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر.
5. ابن فارس، أبو الحسين أحمد (2001). معجم مقاييس اللغة، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
6. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (2003). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق عماد عامر، القاهرة: دار الحديث.
7. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (2000). المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير. جماعة من العلماء، ط2، الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع.

8. أبو داوود، سليمان بن الأشعث. سنن أبي داوود :
(<https://www.dorar.net/hadith/>)
9. الأصفهاني، الراغب (2011). مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، ط5، دمشق: دار القلم.
10. الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح الجامع: (<https://www.dorar.net/hadith/>).
11. البخاري، محمد بن إسماعيل (1423). صحيح البخاري، ط1، دمشق: دار ابن كثير.
12. بدري، مالك (1995). التفكير من المشاهدة إلى الشهود. ط4، الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي.
13. بدري، مالك (2005). حكمة الإسلام في تحريم الخمر: دراسة نفسية اجتماعية، بيروت: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2، 2005.
14. بدري، مالك بابكر (1989). مشكل أخصائي النفس المسلمين. ترجمة منى كتنباي، ط1، الخرطوم: شركة الفارابي للنشر والأدوات المكتبية.
15. البلخي، أبوزيد (1424). مصالح الأبدان والأنفس، تقديم ودراسة مالك بدري ومصطفى عشوي، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
16. بهيج، رحيل (1434). أثر الصلاة في العلاج النفسي
(<https://www.alukah.net/culture/0/55573/#ixzz6Zmh0Ibe>)
(N
17. بوعون، فوزية (2017). أثر القرآن الكريم في تخفيض مستوى الضغط النفسي، مجلة الإحياء، جامعة باتنة، الجزائر، ع 20، ص 489-516
18. بيك، أرون (2000). العلاج المعرفي والاضطرابات الانفعالية. ترجمة عادل مصطفى، ط1، القاهرة: دار الآفاق العربية.
19. جبل، محمد حسن (2012). المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم. ط2، القاهرة: مكتبة الآداب.
20. جراح، خولة أكرم فلاح (2011). فاعلية التربية الإسلامية في تحقيق السكينة والأمن النفسي، رسالة دكتوراه غير منشورة، الأردن: جامعة اليرموك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.
21. الجروشي، سماء محمد (2007). مدى فاعلية الدعاء كبرنامج إرشادي نفسي ديني في خفض قلق السمة لدى طلبة كلية الآداب بجامعة السابع من أكتوبر بمدينة مصراتة، رسالة ماجستير غير منشورة، ليبيا: مصراتة، جامعة 7 أكتوبر.

22. الحبيب، طارق بن علي (2003). العلاج النفسي والعلاج بالقرآن، ط1، الرياض: مؤسسة الجريسي للنشر والتوزيع.
23. الحجازي، مدحت عبد الرازق (2012). معجم مصطلحات علم النفس. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
24. الخاطر، عبد الله (دت). الحزن والاكتئاب في ضوء الكتاب والسنة، الرياض: مطابع أضواء البيان.
25. خليفة، عبد اللطيف محمد ومعتز سيد أحمد (1997). الدوافع والانفعالات، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية.
26. خليل، محمد يوسف (2002). الصلاة وأسرارها النفسية بالمفاهيم السلوكية المعاصرة. الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
27. الدهشان، محمود محمد (2012). السكينة ونظائرها في القرآن الكريم: دراسة موضوعية. رسالة ماجستير غير منشورة، فلسطين: الجامعة الإسلامية (غزة)، كلية أصول الدين.
28. الرازي، فخر الدين (2012). التفسير الكبير: مفاتيح الغيب. تحقيق: سيد عمران، ط1، القاهرة: دار الحديث.
29. الزجاج، أبو اسحق إبراهيم السري (2006). تهذيب معاني القرآن وإعرابه، (هذه: عرفان بن سليم حسونة)، ط1، بيروت: المكتبة العصرية.
30. زعقار، فتحي (2013). الأثر الفيزيولوجي لسماع صوت القرآن الكريم. مجلة دفاتر المخبر، جامعة محمد خيضر بسكرة في الجزائر، ع 11، ص 87-110.
31. الزمخشري، محمود بن عمر (2006). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ط1، بيروت: دار الكتاب العربي.
32. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (1426). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ط2، الدمام: دار ابن الجوزي.
33. سنكلير، ميشيل؛ وهولينكوورث، بليندا (2019). مختصر العلاج المعرفي السلوكي. ترجمة: العرجان، سامي صالح، ط1، عمان: دار الفكر.
34. شيوتا، ميشيل ن. وكالات، جيميس و. (2014). الانفعالات. (ترجمة علاء الدين كفاقي، مایسة النیال، وسهیر سالم)، ط1 عمان: دار الفكر.
35. الصنيع، صالح بن إبراهيم (2000). التدين والصحة النفسية. الرياض: مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
36. الطبري، محمد بن جرير (2012). تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تهذيب وتقريب: الخالدي، صلاح عبد الفتاح. ط2، دمشق: دار القلم.

37. العاني، نزار (1998). الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي، عمان: دار الفرقان.
38. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (2001). إحياء علوم الدين. بيروت: دار الكتب العلمية.
39. غماري، طيبي (2014). التدين والصحة النفسية في الجزائر: تبريرا للعلاقة بين الإسلام وعلم النفس. مجلة التشريع الإسلامي والأخلاق، ع1، ص ص 65-86
40. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (2001). مختصر تفسير القرطبي. اختصره: الشيخ عرفان حسونة، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
41. القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان (2013). تفسير القشيري: لطائف الإشارات. ط1، القاهرة: دار الغد الجديد.
42. الماوردي، علي بن محمد بن حبيب (2012). النكت والعيون: تفسير الماوردي. ط3، بيروت: دار الكتب العلمية.
43. مرسي، كمال إبراهيم (2000). السعادة وتنمية الصحة النفسية، ط1، القاهرة: دار النشر للجامعات.
44. مسلم، مسلم بن الحجاج (1436). صحيح مسلم، تحقيق رائد بن صبري ابن أبي علفة، ط2، الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع.
45. نجاتي، محمد عثمان (1997). القرآن وعلم النفس. ط6، القاهرة: دار الشروق.
46. نصار، رأفت منسي (2019). السكينة في ضوء السنة النبوية: دراسة موضوعية. مجلة البحوث الإسلامية، س5، ع37، 139-170.
47. يوسف، حدة (2013). الصلابة النفسية وعلاقتها باستراتيجيات المواجهة لدى عينة من طالبات الجامعة. مجلة دراسات، جامعة عمار تليجي، الجزائر، ع24، ص 117-147
48. Khodabakhshi-Koolae, Anahita, Heidari, Fatemeh & Motlagh, Firoozeh (2018). The effect of mixed prayer and positive psychology group therapy on life meaning and death anxiety among elderly women with physical-motor disabilities. Journal of Research on Religion & Health; 4(2): 16-28
49. Seligman, M. & Peterson, C. (2000). Positive Clinical Psychology. <http://www.psych.upenn.edu/>
50. Sheldon, M. & King (2001). Why Positive Psychology is

Necessary? *American Psychologist*. 56(3), 216–217.

51. Taylor, Shelley E (2015). *Health Psychology*, 9th Ed. New York: McGraw–Hill.

الحارث بن أسد المحاسبي مؤسس علم الوسوس والخطرات "علم النفس"

إبراهيم بوزيداني

دكتور محاضر، جامعة إسطنبول كلية الإلهيات، قسم علم النفس الديني، تركيا

ibrahim.bouزيدani@istanbul.edu.tr Orcid.org/0000-0003-3585-

9352

**Al-Harith bin Asad Al-Muhasibi, The Founder of the
Science of Insinuations and Phantasms "Psychology"**

Ibrahim Bouزيدani

Dr. Öğretim Görevlisi., Istanbul University Faculty of Theology,

Department of Psychology of Religious, Turkey

ibrahim.bouزيدani@istanbul.edu.tr Orcid.org/0000-0003-3585-

9352

المقدمة

عند دراسة تاريخ نشأة وتطور علم النفس الحديث، نجد أن الكثير من المصادر الغربية وحتى العربية تشير إلى محطتين هامتين وهما: الأولى تتمثل في أعمال كل من عالمي الأعصاب، الروسي إيفان بفلوف (1849 - 1936) Ivan Pavlov والطبيب الألماني لهلم فونت (1832 - 1920) Sigmund Freud، والثانية تتمثل في المدرسة التحليلية وأعمال مؤسسها سيغموند فرويد (1856 - 1939)⁵⁸. فالخطة الأولى أخرجت علم النفس من دائرة الفلسفة، ووضعت في دائرة العلم التجريبي من خلال التفسير البيولوجي للسلوك البشري، والخطة الثانية حاولت تفسير السلوك الإنساني من خلال الجهاز النفسية اللاشعوي للإنسان. وربطوا هذا التطور بأعمال فلاسفة وعلماء الحضارتين الإغريقية والرومانية. وأبعدت أو تجاهلت جهود وأعمال الكثير من العلماء في باقي الحضارات والثقافات الشرقية. وأصبحت هذه النظرة التاريخية المتبورة لتطور علم النفس هي الحقيقة المعتمدة في مشارق الأرض ومغاربها دون محاولة جادة لتمحيصها والتأكد من صحتها وفق المعطيات التاريخية والثقافية لمختلف الشعوب والملل.

هذه النظرة المتحيزة كان لها آثار سلبية عديدة وبخاصة في الجانبين، المعرفي والأخلاقي. فمن الجانب الأخلاقي، طبع هذا التصور المتبور في أنفس طلاب العلم والمعارف النفسية المسلمين عقدة النقص، بحيث أصبح من المسلمات أن العلوم النفسية والاجتماعية هي علوم غريبة بحتة، وأن للمدارس الغربية يد السبق في رسم منطلق هذا العلم ومناهجه ووجهته المستقبلية، هذا من جهة. ومن جهة أخرى نجد أن لهذا التأريخ المتبور ضرراً معرفياً، بحيث يحرم الدارسين والباحثين في المجالات النفسية والاجتماعية من موارث وحقائق ومساهمات جادة من علماء وباحثين من مختلف الثقافات. لذلك ومن هذا المنطلق التاريخي والمعرفي والأخلاقي، كان من الواجب التعريف بمساهمات الثقافة الإسلامية ودورها السباق في نشأة وتطور العلوم النفسية والاجتماعية من أجل إثراء حقول المعرفة وتنوير مختلف الثقافات بهذه الانجازات العلمية الهامة.

ولعل من بين أبرز من كانت لهم إسهامات هامة في نشأة علم النفس في الحضارة الإسلامية، الفقيه والمتكلم وعالم السلوك الحارث بن أسد المحاسبي (ت. 857/243)، لذا سنسعى من خلال هذا العمل على إعطاء معالم وأسس تدعم ادعاءنا القائل أن المحاسبي هو المؤسس الأول لعلم جديد -علم النفس- عجز معاصروه على فهمه أو استيعابه، بحكم افتقار تلك الفترة لمناهج وآليات تُسهّل استيعاب مثل هذه المعرفة الجديدة. فرغم أننا نجد إشارات هامة من بعض المستشرقين مثل المستشرق الألماني ثيودور نولدكه

⁵⁸ علي زيعور، علم النفس في ميادينه وطرانقه، (بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1993/1413)، ص 35.

Theodor Noldeke (1836 – 1930)، بأنه إمام التحليل النفسي بين علماء الإسلام، إلى المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون Louis Massignon (1883 – 1962) الذي اعتبر المحاسبي محلاً نفسياً من الطراز العالمي . إلا أننا لا نجد تأصيلاً معرفياً واضحاً لجهود المحاسبي في سعيه لتطوير علم النفس والتفاصيل التأسيسية له.

لذلك سيركز هذا العمل على أبرز الرحلة النفسية والفكرية التي مرَّ بها المحاسبي في إنتاج هذا الفرع المعرفي الجديد الذي جهله من حوله ووقع بسببه ضحية للنقد والهجران من علماء زمانه، وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل، رغم إعجابه بعلو كعبه في علاج النفوس وتوجيهها. وما يميّز عمَلنا هذا عن غيره، هو أنه يؤصل لفكرة أنّ المحاسبي هو مؤسس علم النفس في العالم الإسلامي. حيث سندعم هذا الزعم بمجموعة من الأدلة التاريخية وما توصل إليه بعض الدارسين لفكره. كما تختلف هذه الدراسة بأنها أصلت لمدرسة المحاسبي النفسية، وحددت مراحل التأسيس بنوع من الدقة، والمنهجية المعرفية التي استخدمها للتأسيس لهذا العلم الجديد. فمن هو عالم النفس هذا؟ وكيف توصل إلى هذا العلم الجديد؟ وماهي التسمية التي خصَّ بها هذا الفرع المعرفي في ذلك الزمن؟ وقبل ذلك كله ما هي الظروف السياسية والمعرفية التي ساهمت في صقل شخصيته الفكرية والسلوكية؟ وما هي أهم إسهاماته العلمية في علم النفس؟ ولكن قبل الشروع في الأسئلة، نعرض أولاً بالحديث عن المنهج المستخدم في هذه الدراسة.

1. منهج الدراسة

اعتمدنا في دراستنا هذه على تقنية تحليل المحتوى الاستقرائي Inductive Content Analysis، وتعتبر من المناهج البحثية المعتمدة، وتستخدم في العديد من فروع العلم والمعرفة. حيث تركز هذه التقنية على وصف البيانات النصية، وتفسيرها، باستخدام عملية منهجية للتمييز، والتفسير، تهدف إلى تطوير المعرفة وفهم الظاهرة قيد الدراسة.⁵⁹ وهي منهجية تناسب وطبيعة دراستنا، حيث سنسعى لاستقراء أهم التراث المدون والمطبوع للإمام المحاسبي، والذي يخدم دراستنا. ونستخلص من خلالها النصوص التي تساعدنا في رسم معالم المنهجية العلمية والعملية التي اقترحها المحاسبي في تعديله للسلوك الإنساني.

يرى بعض الباحثين أن لتقنية تحليل المحتوى الاستقرائي خمس خطوات هامة حيث يصل الباحث من خلالها إلى مراده المعرفي. وتتمثل هذه الخطوات في الآتي: الخطوة الأولى وتتمثل في القراءة والتعرف على النصوص المراد دراستها، وفي الخطوة الثانية يقوم الباحث بتحديد الصورة الكبرى للموضوع المستهدف بالدراسة؛ أما الخطوة الثالثة فتتمثل في تحديد المعنى والنصوص الدقيقة المعبرة عن موضوع الدراسة؛ بعد

Assarroudi, A, Nabavi, F, Armat, M, Ebadi, A. and Vaismoradi, M., “Directed⁵⁹ and elaboration of its underpinning qualitative content analysis: the description .5process”, Journal of Research in Nursing, 23/1, (2018): *methods and data analysis*

عملية التدقيق السابقة تأتي الخطوة الرابعة لتركز النقاط النوعية في النصوص، والتي تعتبر المداخل الأساسية لمكونات وعناصر الدراسة - لذلك نجد من الباحثين من يسمي هذه التقنية بـ "تحليل المحتوى النوعي Qualitative Content Analysis"؛ وتختتم هذه التقنية بخطوة خامسة تتمثل في التوليف والتفسير لتلك المعلومات النوعية المستقاة من النصوص الأصلية أو الفرعية، وإعادة بناء منتج معرفي جديدة.⁶⁰ وسنسعى خلال مراحل عملنا هذا، تتبع خطوات هذا المنهج من أجل الوصول إلى الفائدة المرجوة، وهي تحديد معالم الفرع المعرفي الجديد الذي أبدعه الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى، وموضوعه والمنهج الذي استخدمه لذلك الغرض.

لكن ومن أجل الفهم الجيد لفكر الإمام المحاسبي، كان من الواجب التعرف على السياقات السياسية والاجتماعية والفكرية التي ساهمت في بناء نفسه وشخصيته، وفكره.

2. الأوضاع الفكرية والسياسية والاجتماعية والبناء المعرفي والنفسي للمحاسبي

البيئة، والسياسية، والثقافة، والأوضاع الاجتماعية والفكرية، كلها عناصر تركت بصمتها في البناء الفكري والعاطفي والنفسي والسلوكي للإمام المحاسبي. فمن غير الممكن فهم فكر المحاسبي دون فهم المحيط العام الذي نشأ فيه. ولد المحاسبي في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، حوالي 165 هـ/781م بالبصرة، وتوفي ببغداد سنة 243 هـ/857م. كانت الأوضاع خلال حياته تحتلج جراء الصراعات السياسية والفكرية والاجتماعية آنذاك.⁶¹ ولعل انتماء والده للقدرية⁶² كما ذكر كُتَّاب سيرته، لأكبر دليل على حساسية الوضع حوله. وهذا الواقع الأسري، يوحي بأن المحاسبي كان على احتكاك بمصادر معرفية عالية خلال طفولته، ومن المؤكد أنه كان يسمع النقاشات المعرفية العميق حول مسائل متعددة حول الاعتقاد والفقه والسياسة والاجتماع، وهذا ما سيصنع منه مستقبلاً متكلماً بارعاً، صاحب قدرات عالية في الرد على المعتزلة من جهة، ومن جهة أخرى خصماً لدوداً لكل التوجهات الفكرية المعادية لفكر أهل السنة، من صفوية وقدرية ومعتزلة. كما أن هذا التكوين التجريدي غير المباشرة أهله للتعامل العميق مع أسرار النفس وحركة الفكر والشعور. وأورد السمعاني (ت. 1166/562) في كتابه الأنساب متحدثاً عن المحاسبي، تصديقاً لما أوردناه، ما يلي: "له كتب كثيرة في الزهد وفي أصول الديانات والرد على المخالفين من المعتزلة والرافضة، وكتبه كثيرة الفوائد جمعة المنافع".⁶³

Vears, D.F., & Gillam, L., "Inductive content analysis: A guide for beginning⁶⁰ qualitative researchers. Focus on Health Professional Education", A Multi-Professional Journal. 1 (2022): 111-127.23

⁶¹ الحارث بن أسد المحاسبي، الوصايا، تحقيق. عبد القادر أحمد عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، 1986/1406)، ص: 18.
⁶² أبو القاسم القشيري، الرسالة القسيرية، تحقيق. عبد الحليم محمود (القاهرة: مطبع مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، 1989/1409)، ص: 57.

⁶³ أبو سعد محمد بن منصور التميمي السمعاني، الأنساب، تحقيق. عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وأخرون، (حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، 1977/1397)، 12: 103.

2.1. المحاسبي والتغيرات السياسية والاجتماعية

سياسياً نجد المحاسبي عاصر ثمانية من خلفاء الدولة العباسية. فقد ولد خلال فترة حكم الخليفة موسى بن محمد المهدي (الهادي) (169-170هـ). وعندما بلغ سنه الخامسة تولى الخلافة هارون بن محمد أبو جعفر (الرشيد) (170-193هـ)، ثم محمد بن هارون الرشيد (الأمين) (193-198هـ)، فعبد الله بن هارون الرشيد (المأمون) (198 - 218هـ)، و إبراهيم بن المهدي (202-203هـ)، ومحمد بن هارون الرشيد (المعتصم) (218-227هـ)، و هارون بن محمد (الواثق) (227-232هـ)، وجعفر بن محمد المعتصم (المتوكل على الله) (232-247هـ).⁶⁴ حيث نجد أن الفترة التي عاش فيها المحاسبي تتميز بأمرين، فمن جهة عاش العصر الأول للدول العباسية، والذي تميز بالازدهار الصناعي والتجاري والعسكري والفكري، وهو الفترة الممتدة من 132هـ وحتى 232هـ. ومن جهة أخرى شهد بداية فترة الانحطاط والانحدار، وهي الفترة التي تبدأ من فترة خلافة جعفر بن محمد المعتصم بداية من سنة 232هـ وما بعدها. فنجد أن المحاسبي شهد الاستقرار السياسي والعسكري، وما يصحبه من أخلاق العزة والقوة ونهضة متعددة الجوانب، وما يكون لها من انعكاسات على الواقع الاجتماعي. كما نجده أيضاً قد شهد انبساط النعمة وانطلاق الناس فيها دون شكر أو تقدير، بل سخرت هذه النعم في معصية الله عز وجل والتمادي في مظاهر المجون والانحراف. وشهد ويلات الصراع السياسي وكيف أن الدماء البريئة قد تسفك دون وجه حق. كل هذه المعطيات تركت بصمتها في نفسية الإمام المحاسبي ومنهجه الفكري والذي سيظهر في سلوكه ونشاطه المعرفي مستقبلاً. وأيضاً سيكون قادراً على تحليل الانحرافات التي تنتج عن الرقي الاجتماعي والأمان السياسي، وتلك الشوكات والحالات النفسية الناتجة عن الأوضاع الاجتماعية المتردية، والفوضى السياسية.

2.2. المحاسبي والتغيرات الفكرية والمذهبية

في هذا التوقيت الذي كانت تموج فيه الأوضاع السياسية صعوداً وهبوطاً، كانت هناك تغيرات على الساحة الفكرية لا تقل خطورة عن تلك التي تحدث في السياسة. بل يمكن اعتبارها المحرك الحقيقي للتغيرات التي حصلت في الجوانب السياسية والاجتماعية، والتي كان لها أيضاً بصمة خاصة في ميولات وتوجهات الإمام المحاسبي الاعتقادية والسلوكية والمعرفية. فبعد أن كانت الدولة الأموية تخوض صراعاً وجودياً مع الخوارج والشيعة، حيث قامت بحصر نفوذها وتحجيم خطرهما، توجه الشيعة من الصراع العسكري والسياسي إلى تركيز أسس مذهبهم في التشريع والعقيدة. وبدأت بوادر صراعات فكرية جديدة تبرز في الساحة المعرفية والاعتقادية في المجتمع الإسلامي. من جهة أخرى، وقعت الدولة الأموية في تحدٍ جديد اخترق أن تكون

⁶⁴ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، *تاريخ الخلفاء*، تحقيق. اللجنة العلمية بمركز دار المنهج للدراسات والتحقيق العلمي، الطبعة 2. (جدة: دار المنهج للنشر والتوزيع، 2013/1434)، ص 417-537.

ضمن أروقة الحكم، والمتمثل في التيار الجبري المنحرف، والذي جاء به الجمع بن صفوان.⁶⁵ هذا المذهب الذي دفع إلى التماهي أو التملق من بعض العلماء للحكام سيكون سبباً في توجه عام يحكم علماء أهل السنة مستقبلاً في الابتعاد عن أبواب الحكام أو غشيان مجالسهم. وهذا كان نهج الإمام المحاسبي طوال حياته. وجاءت حادثة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ورفضه الولاء بالطاعة للحجاج بن يوسف الثقفي، لكي تؤصل لفكر الولاء النفسي والخضوع الديني التام للسلطة السياسية بغض النظر عن أدائها الأخلاقي. لهذا نجد قتادة يعلق على هذه المسألة قائلاً: إنما أحدث الإرجاء هزيمة ابن الأشعث".⁶⁶ وبهذا نجد الفكر الإرجائي جاء ليتم ما أسس له فكر الجبري، ورسماً معاً معلماً وأساساً منحرفاً في الممارسة السياسية والاعتقادية.

جراء هذا الصراع، كان من الواجب على علماء أهل السنة والجماعة أن يواجهوا هذه الانحرافات الفكرية والعقدية والتي ألفت بظلالها على الحياة السياسية والاجتماعية. وحمل لواء هذه الحملة الحسن البصري، حيث عملوا على الموازنة بين الآراء وتوضيح مكان الخطأ والانحراف. وسنجد أن الإمام المحاسبي هو امتداد طبيعي لهذه المدرسة وما تدعوا إليه من فكر وما توجه إليه من سلوك سياسي واجتماعي. وفي القرن الثاني الهجري، ومن صلب مدرسة الحسن البصري، ولدت فرقة جديدة سميت بالمعتزلة، تزعمها وأصل بن عطاء وعمر بن عبيد وهما تلامذة الحسن البصري. حيث حاولت هذه المدرسة الموازنة بين فكر الجبر والقدرية، لكن بمنهج مخالف لما كان عليه الحسن البصري ومدرسة أهل السنة. وبنهاية القرن الثاني الهجري أصبح مذهب الاعتزال منهجاً فكرياً مستقلاً، حيث كان لحركة ترجمة كتب الفلسفة اليونانية دور هام في دعم مذهبهم. ويرى بعض الباحثين أن الفكر الاعتزالي هو من شكل روح المحيط الثقافي الذي قامت على أسسه الدولة العباسية.⁶⁷

وبهذا نرى أن المحيط الذي نشأ فيه الإمام المحاسبي وهو البصرة أو بغداد التي انتقل إليه لاحقاً، كان يعجُّ بحركة فكرية تتسم بالتناقض والتدافع. وأنَّ هذه الحركة الفكرية كانت شديدة وعنيفة. وكانت تسعى لاختراق أروقة السياسة والمساجد والحياة الاجتماعية. ونجد أن والد المحاسبي نفسه كان قدرياً، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً. ولكنه ورغم هذا الواقع الأسري الذي نشأ فيه المحاسبي، إلا أنه تأثر بفكر والدته التي كانت على مذهب سني سليم.⁶⁸ وهذا ما يبرز لنا شخصية المحاسبي المستقلة، والمتمتعة بمنطق سليم، وكذا الرعاية الربانية له، بأن حفظ من اتباع المناهج المنحرفة منذ صغره. وهذه الرعاية ستتجلى أيضاً في سلوكاته اليومية

⁶⁵ أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، *العقد الفريد*، تحقيق. مفيد محمد قمحية، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1983/1404)، 1: 46.

⁶⁶ عبد الله بن أحمد بن حنبل، *السنة*، تحقيق. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، (الرياض: دار ابن القيم، 1986/1406)، 1: 319.

⁶⁷ الحارث بن أسد المحاسبي، *العقل وفهم القرآن*، تحقيق، حسين القوتلي (بيروت: دار الفكر، 1971/1391)، ص 11.

⁶⁸ فريد الدين عطار النيسابوري، *تذكرة الأولياء*، ترجمة. محمد الأصيلي الوسطاني الشافعي، تحقيق. محمد أديب الجادر، (دمشق: دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، 2014)، ص. 291.

وعلاقته بخالقه سبحانه وتعالى. كما نجد أنّ انتماء والده للفكر "حرية الإرادة والخير" قد ساعده على الاطلاع على فكرهم، وكذا الاحتكاك برجال الفكر والكلام. هذا ما سيشرح ملكات المحاسبي الكلامية والجدلية، ويسخرها فيما بعد للرد على شبهات الجبرية والقدرية وغيرهما من المذاهب المنحرفة.

2. 3. المحاسبي والمدارس الصوفية والفقهية

بالإضافة إلى ما سبق من تقلبات السياسية والفكرية، كانت هناك حركة معرفية هامة بين علماء أهل السنة. أين نجد أن المدارس الفقهية والسلوكية أخذت في التبلور وكسب اهتمام العامة والخاصة بما تبلوره من آراء تمس الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. حيث نجد أن الحسن البصر يواصل شق طريقه السلوكي والتربوي، حيث أسس مدرسة تصوفية تجمع بين التكوين الشرعي والاعتقادي السليم، بالإضافة إلى التربية السلوكية والمعنوية القويمية. وهي المدرسة التي ستكون منطلق الإمام المحاسبي ومحور تربيته ودعوته. وهنا تجدر الإشارة إلى أن الكثير من التغيرات حصلت في مدارس التصوف وبدرجات متفاوتة خلال الفترة الفاصلة بين الحسن البصري ومدرسته الأولى ووصولاً إلى الفترة التي عاش فيها الإمام المحاسبي. بين كل تلك التغيرات الحاصلة في المدارس الفقهية والتصوفية، نجد أن الإمام المحاسبي كان ينجح دائماً لذلك التوجه المحافظ على المعين الصافي للقرآن والسنة. حيث نجده أن في الجانب السلوكي، جعل المدرسة البصرية مرجعيته، وفي جانبه الفقهي جعل أهل الحديث مرجعيته.

وبهذا نجد أن التكوين المعرفي والسلوكي للمحاسبي استند أساساً على أعلام أهل السنة في الحديث والفقه والسلوك، وهذا ما يؤهله لتحديد توجهه المستقبلي واستقراء معالم السوء والانحراف في مسار المدارس الكلامية والتصوفية، والفقهية، وآثارها في الفكر والسياسة والاجتماع. ويرسم من خلال هذه المعطيات مساره الإصلاحية. ومما تجدر الإشارة إليه فهذا المقام، هو أن الإمام المحاسبي ليس "مصلح أو فيلسوف دور الانحطاط" كما وصف المفكر بوتول Bouthoul (1971)⁶⁹ ابن خلدون وابن تيمية وأبو حامد وغيرهم من المصلحين الذين انتقدوا الأوضاع الاجتماعية في فترات كانت فيها الأمة الإسلامية في أسوأ أحوالها. بل على العكس من ذلك وكما رأينا في ذكرنا للأوضاع السياسية والاقتصادية التي عاشها فيها المحاسبي، فقد كانت تعتبر الفترة الذهبية للدولة العباسية. فهو من جهة عاش مراحل قوة الدولة وعرف مقومات القوة والعز فيها، كما أدرك مثالب الداء النفسي والاجتماعي لها. كما عاش فترة بداية الانحدار وخبر أيضاً مكامن الداء فيها. فبالتالي تعتبر مدرس الإمام المحاسبي الإصلاحية متميزة بحكم أنها ذات طابع استشرافي، يسعى إلى ترسيخ ثقافة الإنمائية -أو التطويرية-، والوقائية، قبل الوقوع في الحالة المرضية والتي يبحث لها عن علاج في هذه الحالة.

⁶⁹ جاستون بوتول، تاريخ علم الاجتماع، ترجمة. غنيم عيدون، مراجعة. جلال حسن صادق، (القاهرة: المطابع القومية للطباعة والنشر، 1971)، 24.

3. المحاسبي ورحلته النفسية، من تحليل الذات، إلى معالم مدرسة الخطرات والوساوس⁷⁰

3.1. الرحلة النفسية ومنهجية تحليل الذات

من أهم العمليات الفكرية والنفسية التي تميز بها المحاسبي في تأسيس مدرسته الإصلاحية أو بتعبيرٍ معاصرٍ، مذهبه في "تعديل السلوك"، هو الانطلاق من خلال ما يسميه وليم جيمس William James (1910/1842) في علم النفس بـ "الملاحظة الإستبطانية" Introspective observation، أو ما يسميه فرويد بـ "تحليل الذات" Self-Analysis، أو أيضاً "ملاحظة الذات" Self-Observation.⁷¹ حيث نجد أن المحاسبي وخلال لحظة زمنية هامة في مسار حياته، توقف للتأمل في ماضيه، من أجل تحديد مساره المستقبلي. لحظة تأمل داخلي هدف من خلالها إعادة ضبط بوصلة حركته وتوجهه. كيف لا وهو يعيش في مجتمع يهوج وبموج بتغيرات شديدة على مختلف المستويات الفكرية والمعرفية والاجتماعية كما وضّحنا ذلك في البداية. حيث قام الإمام المحاسبي بقراءة نفسية-اجتماعية لواقعه، إذ نجده قد انطلق من تحليل واقع المجتمع على مختلف المستويات، ووصل من خلال ذلك إلى طرح سؤال وجوديٍ مهم، وكأنني به يقول: "أين أنا بين كل هذه التغيرات؟ ومع من يجب أن أصطف؟ وما هو المسار الذي يجب أن أتبعه للوصول إلى إجابة شافية؟" ولنفهم دواعي هذه الرحلة وتفاصيل مسارها، ونتائجها، دعنا نرجع إلى وصف المحاسبي بنفسه لهذه الرحلة النفسية.

يقول المحاسبي "مضت علي ثلاثون سنة لم أسمع فيها شيء إلا من رأسي، ثم دارت عليّ ثلاثون أخرى لم أسمع فيها شيء إلا من الله"⁷² هذه المقول تعطي إشارة واضحة على أن المحاسبي مرّ بتحول معرفي هام في حياته، والذي ستنعكس آثاره حتماً على جوانب حياته العاطفية والسلوكية. حيث نجد أن القوّتلي (1971) قام بتحليل زمني هام بناء لمراحل الرحلة النفسية للمحاسبي، وهذا بناء على مقولته السابقة، حيث قال: "وهذه الكلمة هامة جداً في تحديد الفترة التي بدأ فيها تحول الحارث عن علوم الفقهاء، والمحدثين، ورجال أهل الكلام، إلى مذهبه المتميز عن مذاهب هؤلاء جميعاً. فإذا تذكرنا أنه ولد حوالي (165هـ) فإننا نستطيع القول أنّ تحوُّله بدأ قبل العقد الأول من القرن الثالث الهجري"⁷³. وفي موقع آخر من الكتاب نفسه، نجد القوّتلي (1971) مرة آخر يشير إلى معلم هام في مسار الرحلة النفسية والفكرية

⁷⁰ بوزيداني، إبراهيم، الحارث المحاسبي، مؤسس علم الخطرات والوساوس ورائد تعديل السلوك بالتدبير، (بيروت: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، 2023)، ص: 51.

⁷¹ Mayer Mayer, A., "Introspective hypnotism and Freud's Self-Analysis: procedures of Self-Observation in clinical practice", *Revue d'Histoire des Sciences Humaines*, 5/2, (2001): 171-196.

⁷² أبو حامد الغزالي، "المنقذ من الضلال"، والمؤصل إلى ذي العزة والجلال، تحقيق. محمد محمد أبوليلة، - نور شيف عبد الرحيم رفعت، (واشنطن: جمعية البحث في القيم والفلسفة، 2001)، ص 217.

⁷³ المحاسبي، العقل وفهم القرآن، ص 21.

التي خاض غمارها المحاسبي، حيث قال: "في ... الفترة الواقعة بين (195 - 212) كان الحارث المحاسبي يمر بمرحلة تحول في فكره وسلوكه." ⁷⁴

3. 2. المحاسبي ومسارات التحول الثلاثة

خلال الجمع بين ما أورده القوّتلي يمكن أن نخلص للآتي: وهو أن المحاسبي مرّ بثلاث مراحل في حياته الفكرية والنفسية. حيث أن هذه المراحل تتوزع زمانياً على النحو التالي:

3. 2. 1. المرحلة الأولى (170 - 194هـ): ويمكن تسميتها مرحلة الطلاب والتحصيل والتأمل الاجتماعي. وهي الفترة الممتدة من بداية مرحلة الوعي 170هـ وهو سن التحاق الأطفال بالمساجد والكتاتيب للشروع في عملية التربية والتعليم. كما يجب أن لا ننسى أن والد المحاسبي كان من رجال الفكر حيث كان قديراً كما أشرنا لذلك سابقاً وهذا لأنه وكما أشار عبد الحليم محمود (1992)، أن عامة الناس في ذلك الزمن كانوا على منهج أهل السنة، والقلة من أصحاب الفكر وممن اشتغلوا بالجدل هم من تبنا مذهب القدر ومن بعده الاعتزال. وكون المحاسبي يعيش ضمن هذا الوسط الأسري، فإنه ولا بد يكون قد استمع واطلع على بعض كتب الجدل والاعتزال. ⁷⁵ وتنتهي هذه المرحلة بحول سنة 194هـ، وهو الحد بين مرحلة الطلب والتأمل الاجتماعي. وهي المرحلة التي استغرقت ثلاثين سنة من حياة المحاسبي تماماً. ونجد أن المحاسبي أبرز بوضوح هذا الشعور بطريقة صريحة في كتابه "النصائح" حيث قال:

"فلم أزل برهة من من عمري أنظر إلى اختلاف الأمة، وألتمس المنهاج الواضح، والسبيل القاصد، وأطلب العلم والعمل، وأستدلّ على طريق الآخرة بإرشاد العلماء، وعقلت كثيراً من كلام الله عز وجل بتأويل الفقهاء، وتدبرت أحوال الأمة، ونظرت في مذاهبها وأقوايلها، فعقلت من ذلك ما قدّر لي، ورأيت اختلافهم بجرأ عميقاً غرق فيه ناس كثير، وسلم فيه عصابة قليلة. ورأيت كل صنف منهم يزعم أنّ النجاة لمن تبعهم، وأنّ المهالك لمن خالفهم." ⁷⁶

وبعد وصف عامٍ لرحلته التحصيلية، وكذلك إعطاء نظرة عامة عن حال الأمة - وهو دلالة على هيبة بحالة المسلمين - نجد ينتقل لوصف تفصيلي دقيق لحال الناس في زمنه بمختلف مستوياتهم المعرفية والاجتماعية. ونجده يركز حال العلماء باعتبارهم صمام أمان الأمة وأملها في تقويم وتعديل سير الناس وإصلاح أوضاعهم. فمن خلال وصف المحاسبي لهم، نجد أن الأمر كان بعيداً عن الأمل المعقود عليهم في الإصلاح والتوجيه. حيث وصف وصفهم قائلاً:

⁷⁴ المحاسبي، العقل وفهم القرآن، ص 24.

⁷⁵ عبد الحليم محمود، "أستاذ السانين"، الحارث بن أسد المحاسبي، (القاهرة: دار المعارف، 1992)، ص: 9.

⁷⁶ المحاسبي، الوصايا، ص 59-60.

"ثم رأيت الناس أصنافاً. فمنهم: العالم بأمر الآخرة، لقاؤه عسير، ووجوده عزيز. ومنهم الجاهل، فالبعد منه غنيمة. ومنهم المتشبه بالعلماء، مشغوف بديناه، مؤثر لها. ومنهم حامل علم منسوب إلى الدين، ملتمس بعلمه التعظيم والعلو، ينال بالدين من عرض الدنيا. ومنهم حامل علم لا يعلم تأويل ما حمل. ومنهم متشبه بالنسك، متحر للخير، لا غناء عنده، ولا نفاذ لعلمه، ولا معتمد على رأيه. ومنهم منسوب إلى العقل والدهاء، مفقود الورع والتقوى. ومنهم متوادون على الهواء واقفون، وللدنيا يذلون، ورئاستها يطلبون. ومنهم شياطين الإنس، عن الآخرة يصدون وعلى الدنيا يتكالبون، وإلى جمعها يهرعون، وفي الاستكثار منها يرغبون، فهم في الدنيا أحياء، وفي العرف موتى، بل العرف عندهم منكر."⁷⁷

من خلال قراءة تحليلية نوعية للفقرة السابقة، نجد أن الحليل النفسي-السوسيولوجي الذي قام به المحاسبي، يمكن استخلاص أنه صنّف وفقاً لنوعين من المعايير، وهي كالآتي:

أولاً- المعيار الرئيس: وهو مدى ارتباط الإنسان بالآخرة، ومدى تأثير هذا الارتباط بسلوكه اليومي.

ثانياً- المعايير التفصيلية: وهي خمسة، وتتمثل في الآتي:

1. صحة التدين،
2. درجة التحصيل المعرفي،
3. سلامة القوى المعرفية،
4. مدى التوافق والاتساق بين منظومته القيمية الداخلية ومنظومته المعيارية الخارجية،
5. مدى التوافق الاجتماعي للفرد.

ووفقاً لهذه المعايير صنف المحاسبي الناس إلى تسعة أصناف، وتتمثل في:

1. الشخصية السوية: عالم بحقيقة الآخرة، وبرمجة سلوكه ونظم حياته وفق هذه الحقيقة، وجعلها محفزاً للسلوك الإيجابي البناء في الحياة اليومية، لكي يحقق النجاح الدنيوي والأخروي. وهي شخصية فاعلة إيجابياً في المجتمع، ويجب التعامل معها، والانتفاع منها. وهي الشخصية التي تحققت فيها كل المعايير السابقة أو أغلبها بوجهها الإيجابي.
2. الشخصية القاصرة معرفياً أو الجاهلة. وهي شخصية غافلة عن معالم النجاح والسوء في الحياة الدنيا والآخرة. وهي شخصية مؤثرة سلبياً، يستحسن تجنبها.

⁷⁷ المحاسبي، الوصايا، ص 60-61.

3. الشخصية المحتالة: وهي شخصية تتبنى ظاهراً سمت العلماء والوعاظ، لكنها في حقيقة الأمر تستغل هذه المظاهر من أجل تحصيل فوائد ذاتية لا تمت إلى مظهرها بأي صلة.

4. الشخصية الباحثة عن المكانة الاجتماعية: لكنها استخدمت لهذا الغرض مكانتها العلمية. فهي بهذا شخصية تسعى لاستخدام المعارف الدينية من أجل تحصيل مكاسب معنوية.

5. الشخصية المقصّرة عملياً: وهي فئة حصلت معارف دينية، لكنها غير قادر على توظيفها في الواقع لإفادة الغير، بل هي غير قادرة أساساً على الاستفادة الذاتية من المعارف التي اكتسبوا. وهذا بسبب غياب الآلة المعرفية الخاصة بالاستقراء والاستنباط. ولعل هذا التوصيف ينطبق على بعض من ينتمون لمدارس الحديث، حيث يحفظون الكثير من الإرث والرواية، لكنهم غير قادرين على الإفادة منها أو إفادة غيرهم.

6. الشخصية المتدينّة ظاهرياً: وهي شخصية تتشبه بالعباد والنسّاك ظاهرياً، دون أن يكون هناك أساس معرفي لتعبدهم أو تنسكهم. ولربما تمثل هذه الشخصية بعض من ينتمون للمدرسة الصوفية، من خلال التقليد، وبغرض الحصول على منافع آجلة. وهذا بحكم جهلهم بحقيقة العبادات والنسك التي يقومون بها.

7. الشخصية المتدينة معرفياً: دون أن يكون لهذه المعرفة أي أثر إيجابي في تعديل وتوجه السلوك. فهي شخصية خطيرة، تهتم بالجدل والنقاش وخلق الشبهات، لأنها تمتلك معرفة وقدرة على الاستقراء والاستنباط والجدل، لكن كل هذه المعارف والمالكات العقلية غير محصنة بتقوى الله والورع. الأمر الذي يجعلها خطيرة اجتماعياً. ولعل هذه الشخصية تناسب مع الفئة المنتمة للمذهب الإعتزالي.

8. الشخصية الباحثة عن الاشباع الغريزي: وهي شخصية تقدم اللذة العاجلة على اللذة الآجلة. شخصية لم تجعل الدين ولا العقل ولا المعرفة موجهها لها، بل جعلت غريزة الشهوات، والسلطة، والمال هي الموجه للحياة. ولعلها تعكس أصحاب الهوى من أمراء وغافلين، ممن غرقوا في الملذات.

9. الشخصية المعادية للمجتمع: وحسب تحليل الإمام المحاسبي، فهي تلك الشخصية الوافقة في طريق الوصول إلى الله عز وجل. تصد الناس عن الخير، بسلوكتها، وفكرها، ومشاعرها. أناس يسببون ضرراً محدقاً بمستقبل الناس يوم يلقون ربهم. فهم اعداء النجاح الآجال والعاجل.

الوصف السابق يبرز لنا بوضوح القدرة المعرفية الكبيرة التي تمتع بها المحاسبي، وممدى انخراطه العملي في الحياة الاجتماعية، وعلمه بأحوال الناس النفسية من خلال سلوكياتهم اليومية وتصرفاتهم الاجتماعية. حيث وخلال هذه المرحلة رأى المحاسبي الترف يشيع في أوساط الناس فيفسدها، كما رأى أن العقل يطغى عند المعتزلة ويحاولون فرض هذا النهج بالسيف والسيوط، رغم أنهم يزعمون بأنهم دعاة "حرية الإرادة". كما رأى

كيف أن الصراع السياسية بين الأمين والمأمون جعل قيمة الإنسان وحرمة دمه هيبة لا يؤبه بها. وكيف أن تزمت أهل الحديث وحملتهم على العقل ورجاله، عزلتهم عن مراكز التأثير، وصاروا في الأخير ضحية، لا يحلون ولا يعقدون.⁷⁸ وهذا ما دفعه للتفكير في إعادة النظر في مساره الذاتي، وتحديد موقعه النفسي والمعرفي والإصلاحي. الأمر الذي نقله للمرحلة الثانية من حياته، المرتكزة على الملاحظ الاستنباطية وتحليل الذات.

3. 2. 2. المرحلة الثانية (195-212هـ): مرحلة الملاحظة الاستنباطية أو تحليل الذات: وهي المرحلة التي أشار إليها القوتلي (1971) بين الفترة الممتدة بين 195 هـ إلى 212 هـ. وهي المرحلة التي بدأ فيها المحاسبي بالمراجعات الذاتي، حيث انتقل من التأملات الخارجية إلى مرحلة تحديد موقعه ضمن المتغيرات حوله. حيث وبعد وصفه للأوضاع الاجتماعية، والسياسية، والحالة الروحية والنفسية والمعرفية لأصحاب الدارس الفكرية، عاد للحديث ومناقشة موقعه من هذه التداخلات، حيث نجده يقول:

" فتفقدت في الأصناف نفسي، وضقت بذلك ذرعاً، فقصدت إلى هدى المهتدين بطلب السداد والهدى، واسترشدت العلم، وأعملت الفكر، وأطلت النظر، فتبين لي من كتاب الله وسنة نبيه، وإجماع الأمة، أن اتباع الهوى يعمي عن الرشد، ويضل عن الحق، ويطيل المكث في العمى. فبدأت بإسقاط الهوى عن قلبي، ووقفت عند اختلاف الأمة مرتاداً لطلب الفرقة الناجية، حذراً من الأهواء المردية، والفرقة الهالكة، متحرزاً من الإقتحام قبل البيان، وألتمس سبيل النجاة لمهجة نفسي."⁷⁹

فبعد تحديده معايير تصنيف الفئات الاجتماعية الممارسة للفكر والسياسية، تتضح لنا جلياً من خلال هذه الفقرة المنهجية التي اعتمدها المحاسبي في تحليل وتحديد مساره الإصلاحي الذاتي والاجتماعي، وما يسعى إليه من منزلة وتوجهات مستقبلية، من خلال أربعة أسس متكاملة، وهي:

أولاً- أستشعار المشكلة، والعزم على ضرورة الشروع في عملية الإصلاح النفسي والتعديل السلوكي. من خلال السعي لبلوغ الهدى الروحي والسداد السلوكي. لكن هذا الأمر يحتاج إلى مرجعية ومنهجية. لذلك نجده يحدد مرجعيته ومنهجه.

ثانياً- فمرجعيتهم كانت كتاب الله، وسنة رسوله، وإجماع الصالحين من علماء الأمة، ومنهجيتهم كانت، المعارف والعلوم التي حصلها، ومن خلال الاستقراء والاستنباط. لكن هذا الأمر كان يلزمه أمر هام، وهو التجرد والموضوعية، وهذا ما دفعه لخطوة هامة أخرى.

⁷⁸ المحاسبي، فهم القرآن، ص 24.

⁷⁹ المحاسبي، الوصايا، ص 61.

ثالثاً- إسقاط الهوى: حيث شرع في تحقيق شرط روحي هام جداً يخدمه من الناحية الروحية، والفكرية، والموضوعية، وهو التحرر من سطوة الهوى. وتحقيق هذا الشرط يساعده صاحبه على الوصول للحقيقة بعون الله تعالى، لأن الهوى يعمي البصيرة، والتحرر منها يورث البصيرة والرشاد. ثم إن البصيرة الناتجة عن التجرد من الهوى، تورث الإنسان صفاء في الفكر وتجليات الحقائق. وبوجود البصيرة، وحضور الفكر، تنعكس هذه اللطائف على السلوك والأخلاق فيكون الإنسان أكثر موضوعية، وبعيداً عن الذاتية والأنانية.

رابعاً- تحديد الهدف الذي يسعى إليه: فمن خلال جعل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن هذه الأمة تفترق على ثلاث وسبعين فرقة"، منطلقاً لحركته، شرع في طلب مواصفات الفرقة الناجية من بين تلك كل الطوائف التي وصفها في حديثه السابقة. فهو بهذا، أعد نفسه روحياً، وفكرياً وأخلاقياً لتصحيح مساره، ثم بعد هذا حدد النموذج والهدف، من أجل ضبط حركته. فهو إذن حدّد المنطلق والغاية، وهياً نفسه للحركة.

بعد تحديد معايير تصنيف السلوكيات السوية وغير السوية، وتصنيف الشخصيات السوية والمضطربة في المرحلة الأولى، قام الإمام المحاسبي كما وضّحنا بتحديد موقعه ضمن هذه الشخصيات، وهذا وفق أربعة أسس، جاء الوقت ليحدد منهج الحركة وآليات العلاج وتعديل السلوك، ورسم معالم مدرسته الجدية والمتفردة بوضوح. وهذا في المرحلة الثالثة من مراحل مسيرته في المراجع والتعديل.

3. 2. 3. المرحلة الثالثة (212-243هـ): مرحلة التأسيس لمعالم الشخصية المرجعية، أو ما يسمى في علم الصحة النفسية ب: المعيار المثالي Idealistic Criterion. ونجد أن هذه المرحلة امتدت من سنة 212 إلى 243هـ، وهو تاريخ وفاته رحمه الله تعالى. حيث يصف الفئة التي تتحقق فيها معايير السواء السلوكي والمعرفي والروحي، فيقول:

" فقبض لي الرؤوف بعباده قوماً وجدت فيهم دلائل التقوى، وأعلام الورع، وإيثار الآخرة على الدنيا. ووجدت إرشادهم ووصاياهم موافقة لأفاعيل أئمة الهدى، ووجدتهم مجمعين على نصيحة الأمة، لا يرجون أبداً في معصيته، ولا تقنطون أبداً من رحمته، يرضون أبداً بالصبر على البأساء والضراء، والرضا بالقضاء، والشكر على النعماء، يحبون الله تعالى إلى العبيد، ... ويحثون على الإنابة إلى الله تعالى، علماء بعظمتهم، وعلماء بكتابته وسنته، علماء بما يحب ويكره، ورعين عن البدع والأهواء، تاركين للتعمق والإغلاء، مبغضين للجدل والمراء، متورعين عن الاغتياب والظلم، مخالفين لأهوائهم، محاسبين لأنفسهم، مالكين لجوارحهم، ... مجانبين للشبهات، تاركين للشهوات، ... مشفقين من الحساب، وجلين من المعاد، ... علماء بالآخرة

وأقارب القيامة، وجزيل الثواب وأليم العقاب، وذلك أورثهم الحزن الدائم، والههم المقيم، فشغلوا عن سرور الدنيا ونعيمها.⁸⁰

إذن ومن خلال ما سبق ذكره، يمكن تحديد سمات الشخصية المرجعية أو المعيارية في الآتي: - التقوى والورع، - إثارة الآخرة، - التوافق بين القول والسلوك، - الإيجابية الاجتماعية، - تجنب السلوكات السلبية، - الأمل والتطلع الإيجابي للمستقبل، - المرونة والتكيف، - الرضا، - الشكر والعرفان Gratitude، - العلم (بالله عز وجل، والقرآن، والسنة)، - الكفاء في عرض أفكارهم للغير، - السيطرة على الجوارح والعواطف والنزوات، الوسطية الفكر والسلوكية -البعد عن التطرف-، - البعد عن الجدل، - تجنب الغيبة والظلم، - مراجعة النفس، - سلامة منظومة الفكر المنطقي، - التفكير في المآلات، - التركيز على العاطفي والسلوكي على الهدف النهائي.

هذه المعايير التي حددها المحاسبي لتكون السمات العامة للشخصية السوية، أو التي تتمتع بالسلامة والصحة النفسية والاجتماعية والمعرفية، هي التي تحدد مسار المحاسبي في تعديل السلوكات والعلاج النفسي، والبناء المعرفي السليم، والتفاعل الاجتماعي القويم. وبهذا نجد أن المحاسبي قد رسم معالم جديد أو قل مدرسة جديدة للعلاج والتعديل السلوكي. هذا اعلم الذي كان صعباً على معاصريه أن يفهموه أو أن يجدوا له تصنيفاً معرفياً وفقاً للواقع الفكري والمعرفي الذي كان سائداً في تلك الفترة. فكيف تفاعل أهل العلم والفكر في ذلك الزمن ومن أهتم بفكر المحاسبي في العصور المتأخر معه ومع فكره؟

4. الحارث المحاسبي وتأسيس مدرسة علم الخطرات والوساوس

رغم وجود مدارس فكرية متنوعة، بل إن الفترة التي عاش فيها المحاسبي تعتبر فترة ازدهار العلمي والمعرفي في العالم الإسلامي وانفتاحها على معارف وعلوم الأمم الأخرى، إلا أننا نجد أنه يشير إلى علم اراد إحيائه بعد أن كاد يندثر. يقول المحاسبي في هذا الصدد:

"فإلتمست من بين الأمة هذا الصنف المجتمع عليهم، والموصوفين بآثارهم. واقتبست من علمهم، فرأيتهم أقل من القليل، ورأيت علمهم مندوراً كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بدأ الإسلام غربياً وسيعود غربياً كما بدأ فطوبى للغرباء). وهم المتفردون بدينهم. ... فانكمشت في طلب العالم لم أجد لي من معرفته بُداً. ..."⁸¹

وهو بهذا يشير إلى أن هناك علماً اقتصر على فئة قليلة، وأن هذا العلم يكاد ينسى ويضمحل، ما يعني أن هذا العلم كان مزدهراً في الأيام الخوالي بين علماء المسلمين، لكنه الآن يعاني من الإهمال بسبب اشتغال الناس والعلماء بمسائل تنفي روح الإسلام أو لأنهم اشتغلوا بضروريات معرفية، لكنهم نسوا العناية

⁸⁰ المحاسبي، الوصايا، ص 62-63.

⁸¹ المحاسبي، الوصايا، ص 62.

بخطهم من الآخرة. لكننا عندما نتابع تأملات العلماء فيما تميّز به من علم، لم يكن مشتهراً بين أهل زمانهم نجدهم يشيرون إلى علم غريب، لم يتمكنوا من تحديده بوضوح أو بأن يصفوه وصفاً وافياً. وهذا ببساطة لأنّ هذا العلم مبتدع جديد أو أنه كان موجوداً لكنه أهمل في زمن المحاسبي، فحمل همّ إعادة إحيائه.

فمن العلماء الذي حاولوا وصف العلم الذي اشتغل به المحاسبي، نجد أبو زرعة الرازي رحمه الله. لكن العجيب هو أن حديثه عن هذا العلم جاء بصيغة النقد والاستهجان، -ونحن نتفهم الآن نقد الرازي للمحاسبي وعلمه الجديد، بسبب تطور معارفنا بعلم النفس-. فقد جاء في تاريخ بغداد، أن الحافظ سعيد بن عمرو البردعي، شهد الإمام أبا زرعة وقد سئل عن المحاسبي وكتبه فأجاب السائل قائلاً:

"إياك وهذه الكتب، هذه كتب بدعٍ وضلالات؛ ... قيل له: هذه الكتب عبرة، فقال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة، بلغكم أن سفيان ومالكاً والأوزاعي صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس؟ ما أسرع الناس إلى البدع."⁸²

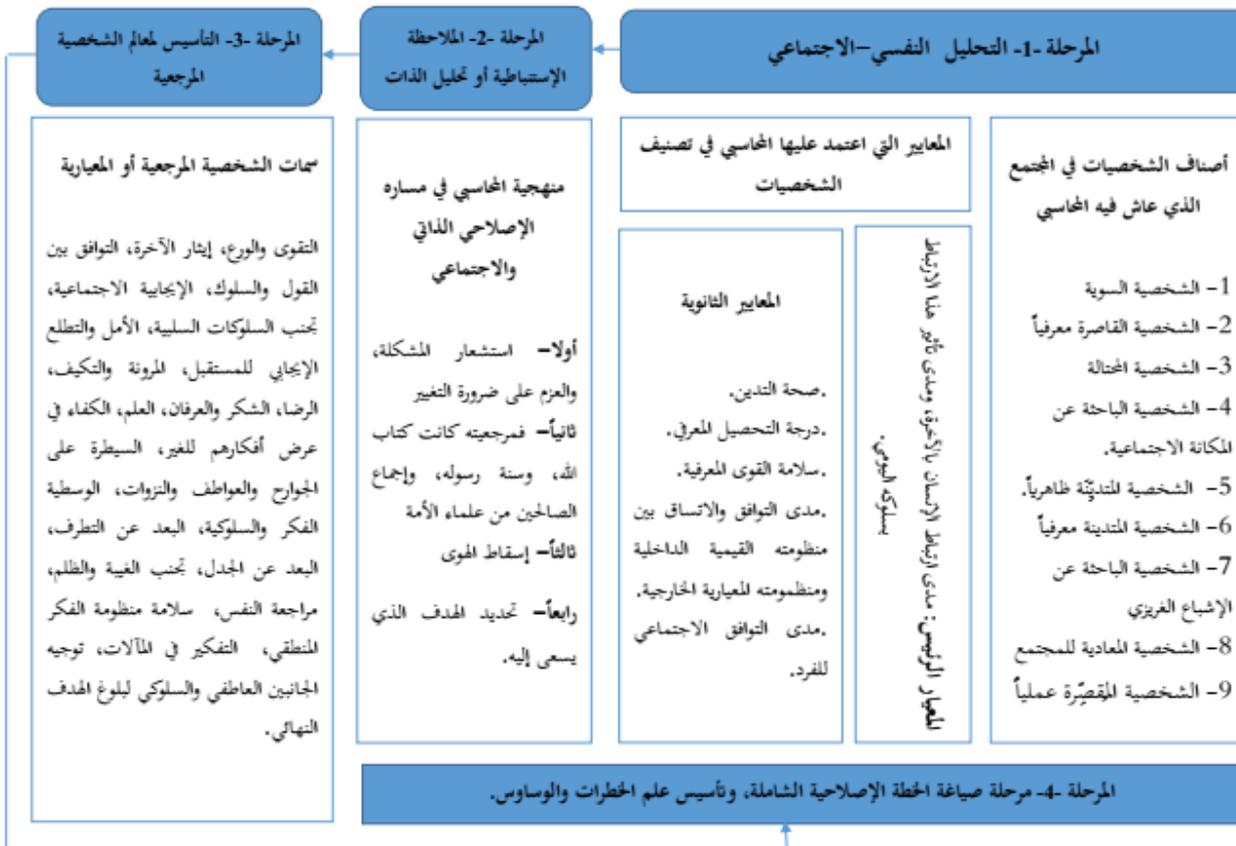
بعيداً عن النقد الذي يضمنه الاقتباس السابق، أود الوقوف قليلاً مع هذا التصريح المهمة جداً، ويمكن اعتباره شاهدة نادرة جداً وهامة وذات دلالة عميقة في نفس الوقت. حين نجد أنّ أبو زرعة رحمه الله قام بالتأريخ لعلم جديد وهام بدون قصد، وهو "علم الخطرات والوساوس". ونجد في الوقت نفسه يشهد بأن المحاسبي هو أول مؤسس لهذا العلم. كما نلاحظ أيضاً من خلال تلك الشهادة، أن المستمعين أو قل السائلين لأبي زرعة رحمه الله تعالى، لم يقتنعوا بالجواب الذي أورده، ووجدوا أن الجواب الذي أورده لم يكن رصيناً، بالإضافة إلى ذلك وجدوا من خلال اطلاعهم على كتب المحاسبي رحمه الله تعالى، أنها كتب "عبرة". هذا التعقيب أو الاعتراض على جوابه، دفع أبا زرعة للتعقيب بقوله: "ما أسرع الناس إلى البدع".

محاولات توصف العلم الذي أبدعه المحاسبي لم تتوقف على ما قاله أبوزرعة، بل نجد أن الغزالي قد جاء بتوصيف جدد له، حيث نجده في كتابه الإحياء يصف المحاسبي وما تميز به من العلم بالآتي: "المحاسبي حبر الأمة في علم المعاملات، وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس، وآفات الأعمال، وأغوار العبادات، وكلامه جديرٌ بأن يحكى على وجهه."⁸³ فنجد أن الغزالي قد أطلق على هذا العلم الذي أبدعه المحاسبي إسم: "علم المعاملات"، ووضح أن موضوع هذا العلم هو: عيوب النفس، وآفات الأعمال، وأغوار العبادات، وبتعبير معاصر، فإن موضوع هذا العلم هو: الاضطرابات النفسية الناتجة عن السلوكات اليومية الاعتيادية أو عن السلوكات ذات الطابع الديني. كما نجد أن الغزالي مرة أخرى، يؤكد أن المحاسبي كانت له يد السبق في ابداع هذا العلم.

⁸² الخطيب البغدادي، "تاريخ مدينة السلام"، وأخبار محدثيها وذكر قضاة العلماء من غير أهلها ووارديها، تحقيق: بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2001/1422)، 9: 110.
⁸³ أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 2005/1426)، ص: 1171.

لم تقتصر محاولات توصيف هذا العلم الجديد على علماء السلف فحسب بل نجد أن الكثير من المستشرقين ممن اهتموا بفكر المحاسبي، لم يخفوا إعجابهم وحيرتهم من طبيعة العلم الذي جاء به. فنجد لويس ماسينيون (Massignon Louis) يصرح معلقاً في كتابه "مصطلحات التصوف" عن كتاب "الرعاية" للمحاسبي قائلاً: "لقد سما بالتحليل النفسي إلى مرتبة لا نجد لها مثيلاً في الآداب العالمية إلا نادراً".⁸⁴ وفي نفس السياق، نجد أن المستشرقة ثيودور نولدكه (Theodor Noldeke)، تصف المحاسبي بأنه إمام التحليل النفسي بين علماء الإسلام.⁸⁵ وبهذا نجد أن ماسينيون ونولدكه اتفقا على أن المحاسبي هو رائد من أهم رواد "التحليل النفسي" في العالم. وتجدد الإشارة هنا إلى أن إطلاق تسمية التحليل النفسي من طرف المثقفين في الفترة التي عاش فيها ماسينيون و نولدكه كان يقصد بها علم النفس عموماً. وهذا كون أن المدرسة التحليلية التي أسسها سيجموند فرويد كانت لها السيطرة الكاملة على الساحة المعرفية لعلم النفس، أنظر المخطط رقم (1).

المخطط (1): المراحل الثلاثة للرحلة النفسية التي مرَّ بها المحاسبي، وأهم مخرجات كل مرحلة.



تسمية أخرى تمَّ اقتراحها من طرف مستشرق آخر، حيث أورد مصطلحاً جديدة يصف العلم الذي أسسه المحاسبي. ففي كتابه "الإسلام" علَّق ريتز (H. Ritter) حول جهود المحاسبي المعرفية قائلاً: "إن

⁸⁴ نقلًا عن: محمود، "أستاذ السانين"، الحارث بن أسد المحاسبي، ص: 25.

⁸⁵ البشير قلاتي، "معرفة النفس وعلاجها عند الصوفية، الحارث بن أسد المحاسبي نموذجاً"، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة 7 (فيفري 2018): 211.

المحاسبي في الواقع هو منشئ مبادئ التحكم الأخلاقي المنظم في الذات Principles of structured moral self-control في إطار التقوى الإسلامية.⁸⁶ "ريتر" ومن خلال تعليقه هذا، يجعل المحاسبي أحد مؤسسي مدرسة تعديل السلوك. وهو العلم التطبيقي المستمد من النظريات النفسية المتعلقة بإعادة تشكيل السلوك أو تعديله بطريقة منهجية. وهو بهذا يصنف علمه ضمن العلوم السلوكية التطبيقية التي تهدف إلى إعادة صياغة السلوك. وبهذا نجد ورغم تعدد التسميات، إلا أنها تدور في نفس الفلك، ألا وهو فهم السلوك، ومنطلقه، والعمل على علاج منطلقات الانحراف وتعديله المنحرف من الأفعال. فهو تعديل للسلوك أن نظرنا إلى المنتج النهائي، وهو تحليل نفسي باعتبار ما يدور في دواخل الإنسان من صراع بين الخير والشر، أو هو علم الخطرات والوساوس باعتبار أصل الأمر ومنبعه.

الخاتمة

أن العمل الإصلاحي، والعمل على دعوة الناس إلى الخير، وإلى توجيههم لما فيه خيرهم في الحياة الدنيا والآخرة، هو من الأسس العظيمة التي تميز بها الأنبياء والمرسلون. فهم أعلم الناس بخصائص النفس وتقلباتها، وهم أعلم بمدخل الناس وأبواب القلوب ومفاتيحها. كيف لا، وهم المبلغون لهدي ربنا والداعون إليه. وعلى هذا النهج سار العلماء الربانيون، يدعون الناس للخير والفلاح. لذلك نجد أن هؤلاء العلماء، كانوا يولون إهتماماً بالغاً لحقائق النفس ومدخلها وطرائق القلوب ومفاتيحها. لذلك، ليس من العجب أن نجد الإمام المحاسبي قد أولى إهتماماً كبيراً بعلم الوسواس والخطرات. الذي اعتبره من العلوم التي غفل الناس عنها وعن أهميتها.

لذلك عمد إلى إعادة بعثه بعد أن كاد يندثر. لكنه في هذه المرة أراد إحيائها من خلال منهجية مدروسة وطرائق محددة. هذا الاجتهاد الجديد، وتلك الأساليب التحليلية الجديدة التي اعتمدها المحاسبي، جعلت بعض من عاصروه من العلماء والمحدثين يتخذون منه مواقف سلبية. بل وصل الأمر ببعضهم إلى وسمة بالبدعة والدجل. وهذا كله بسبب أنه وفق للوقوف على علم مستحدث، طور طرائقه ومناهجه، ولم يكن هذا العلم، إلا الإرهاصات الأولى لما اعتبر في القرن التاسع عشر بعلم النفس. هذا العلم الذي كان من المفروض أن يخدم ويوجه وجهته العلمية الصحيحة. لكن للأسف، نجد أن الأمة غفلت عنه، ولم تنتبه له إلا بعد أن طوره الغرب وفق ثقافتهم ومبادئهم الاجتماعية.

لذلك، بات من الواجب على الباحثين إعادة الاعتبار لجهود علماء المسلمين، وما بذلوه في سبيل إحداث وتطوير علم النفس وفق المبادئ والثقافة الإسلامية. ومن هذا المنطلق جاء هذا الجهد الأكاديمي من أجل فتح طريق أو رسم معالم إعادة بعث وتجديد ما بدأه الإمام المحاسبي رحمه الله تعالى.

⁸⁶ محمود، "أستاذ الساترين"، الحارث بن أسد المحاسبي، ص: 48.

قائمة المراجع والمصادر

المراجع العربية

إن حنبل، عبد الله بن أحمد. *السنة*، تحقيق. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، المجلد 1. (الرياض: دار ابن القيم، 1986/1406).

الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه. *العقد الفريد*، تحقيق. مفيد محمد قمحية، المجلد 1. (بيروت: دار الكتب العلمية، 1983/1404).

البغدادي، الخطيب. "تاريخ مدينة السلام"، وأخبار محدثيها وذكر قضاة العلماء من غير أهلها *ووارديها*، تحقيق: بشار عواد معروف، المجلد 9، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2001/1422).

بوتول، جاستون. *تاريخ علم الاجتماع*، ترجمة. غنيم عبدون، مراجعة. جلال حسن صادق، (القاهرة: المطابع القومية للطباعة والنشر، 1971).

زيعور، علي. *علم النفس في ميادينه وطرائقه*، (بيروت: مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، 1993/1413).

السمعاني، أبو سعد محمد بن منصور التميمي. *الأنساب*، تحقيق. عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وأخرون، (حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، 1977/1397).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. *تاريخ الخلفاء*، تحقيق. اللجنة العلمية بمركز دار المناهج للدراسات والتحقيق العلمي، الطبعة 2. (جدة: دار المناهج للنشر والتوزيع، 2013/1434).

الغزالي، أبو حامد. *إحياء علوم الدين*، (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 2005/1426).

الغزالي، أبو حامد. "المنقذ من الضلال"، *والموصل إلى ذي العزة والجلال*، تحقيق. محمد محمد أبوليلة، - نور شيف عبد الرحيم رفعت، (واشنطن: جمعية البحث في القيم والفلسفة، 2001).

القشيري، أبو القاسم. *الرسالة القسيرية*، تحقيق. عبد الحلیم محمود (القاهرة: مطبع مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، 1989/1409).

قلاقي، البشير. "معرفة النفس وعلاجها عند الصوفية، الحارث بن أسد المحاسبي نموذجاً"، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة 7 (يفري 2018): 197-220.

المحاسبي، الحارث بن أسد. *العقل وفهم القرآن*، تحقيق، حسين القوّتلي (بيروت. دار الفكر، 1971/1391).

المحاسبي، الحارث بن أسد. *الوصايا*، تحقيق. عبد القادر أحمد عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، 1986/1406).

محمود، عبد الحلیم. "أستاذ السائرين"، *الحارث بن أسد المحاسبي*، (القاهرة: دار المعارف، 1992).

النيسابوري، فريد الدين عطار. *تذكرة الأولياء*، ترجمة. محمد الأصيلي الوسطاني الشافعي، تحقيق. محمد أديب الجادر، (دمشق: دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، 2014).

المراجع الغربية

Assarroudi, A, Nabavi, F, Armat, M, Ebadi, A. and Vaismoradi, M., "**Directed qualitative content analysis: the description and elaboration of its underpinning methods and data analysis process**", Journal of Research in Nursing, 23/1, (2018): 1-14.

Mayer Mayer, A., *“Introspective hypnotism and Freud’s Self-Analysis: procedures of Self-Observation in clinical practice”*, Revue d’Histoire des Sciences Humaines, 5/2, (2001): 171-196.

Vears, D.F., & Gillam, L., *“Inductive content analysis: A guide for beginning qualitative researchers. Focus on Health Professional Education”*, A Multi-Professional Journal. 23/1 (2022): 111-127.

الاستراتيجيات النفس إسلامية للتعامل مع الغضب

إعداد

د. شيماء حسنين

أستاذ مساعد – كلية علم النفس الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم معلم البشرية الذي لم يترك وسيلة من شأنها أن تخدم الدعوة الإسلامية إلا واستخدمها، أما بعد؛ فلا شك أن الحديث عن الغضب وكيفية حدوثه وعلاجه أمر يهم الجميع، فالغضب يُعد أحد الانفعالات الإنسانية ذات الآثار السلبية في تدمير العلاقات بين الأفراد، هو تجربة عاطفية وسمة من سمات سلوك الإنسان.

غالبًا ما يُدرك على أنه عاطفة ثانوية لأننا نتفاعل عادة مع مواقف مختلفة، ويمكن أن تثير تلك المواقف الشعور العاطفي، بدرجات متفاوتة وفي سياقات متعددة، من خلال الإحباط، والملل، وتجربة المعاملة غير العادلة، وعدم الرضا، وتلقي الانتقادات، والألم الجسدي أو القيود الجسدية.

أعراض الغضب لا تظهر فقط في عواطفنا، ولكن في أجسادنا وعقولنا وسلوكنا كما أن الطبيعة الدقيقة المختلفة لاستجابة كل منا للآلام والإحباطات في وقت معين تعتمد على خلفياتنا وسوابق تعاملنا مع الانفعالات. وانفعال الغضب حينما يمتلك الفرد يؤثر عليه تأثيراً سلبياً من الناحية الجسمية وهذا ما أكدته الدراسات حيث إن قمع الغضب يؤدي إلى ظهور الاضطرابات السيكوسوماتية مثل مرض الشريان التاجي، قرحة المعدة والقولون العصبي.⁸⁷

كما يؤثر انفعال الغضب على الناحية الاجتماعية والنفسية للفرد فقد يؤدي إلى سوء العلاقات الاجتماعية والتفكك الاجتماعي، حيث إن للغضب صورة سلبية عندما يؤدي إلى تعقيدات ومشكلات اجتماعية أو نفسية، وكذلك حينما يعبر عنه بشدة وبطريقة مبالغ فيها ولا تتناسب مع شدة الموقف، فعندما يغضب الفرد يفقد السيطرة على نفسه وتتعطل قدرته على التفكير السليم ويضعف تركيزه ولا يستطيع إدراك التفاصيل اللازمة لحل الموقف كما ينتابه القلق والاكتئاب والضيق النفسي.

ولأهمية هذا الموضوع أفردته بهذا البحث، وقسمته إلى مقدمة تمهيدية، وثلاثة فصول؛

الفصل الأول: معنى الغضب، لغة واصطلاحاً، مع بيان أنواع الغضب، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الغضب لغة.

المطلب الثاني: تعريف الغضب اصطلاحاً.

المطلب الثالث: أنواع الغضب.

الفصل الثاني: المفهوم الشرعي للغضب ونماذج من غضب الأنبياء.

الفصل الثالث: الاستراتيجية النفس إسلامية لتخفيف حدة انفعال الغضب، ثم الخاتمة وقائمة المراجع

وسميته عند الشروع فيه: الاستراتيجية النفس إسلامية للتعامل مع الغضب، والله الموفق.

⁸⁷ - حسين فايد (2006): دراسات في السلوك والشخصية، القاهرة، مؤسسة طبية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ص: 401.

الفصل الأول: معنى الغضب، لغة واصطلاحاً، مع بيان أنواع الغضب، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى الغضب لغة:

الغين والضاد والباء أصل صحيح يدل على شدة وقوة. يقال: إن الغضبة: الصخرة الصلبة. قالوا: ومنه اشتق الغضب، لأنه اشتداد السخط. يقال: غضب يغضب غضباً، وهو غضبان وغضوب.⁸⁸

غضب: رجل غَضُوبٌ وَعَضُوبٌ وَعُضْبَةٌ وَعُضْبٌ أي كثير الغَضَبِ شديده. وناقَةٌ غَضُوبٌ: عَبُوسٌ. والغَضْبُ: بخصبة في الجفن الأعلى خلقة. والغَضْبَةُ: الصخرة الصلبة المتراكمة في الجبل، المخالفة له.⁸⁹

المطلب الثاني: معنى الغضب اصطلاحاً:

لقد تنوعت واختلفت تعريفات العلماء للغضب، لكنها بمجموعها تصب في معنى واحد، لا يختلف كثيراً في مضمونه والمراد منه عن مدلوله في اللغة؛ فالغضب: هو ثوران دم القلب لقصد الانتقام. وقيل: الغضب غليان القلب بسبب ما يؤلم.⁹⁰

ويعرف الغضب في علم النفس؛ بأنه شعورٌ يمرُّ فيه الإنسان يُظهر فيه سلوكيات وأفكارٍ عدائيةٍ، واستثارةً فسيولوجيةً، وغالباً ما ينجم عنه تصرفاتٌ غير لائقةٍ ومهينةٍ، من الشخص الغاضب إلى الأشخاص الآخرين، وترافقه عدة أعراضٍ جسديةٍ مثل ارتفاع معدل نبضات القلب، والشعور بالصداع، وغيرها من التصرفات والتعابير اللفظية مثل الصراخ، أو رمي كتاب، أو كسر قلم، أو ضرب اليد بالحائط، وأحياناً لا يعبر الإنسان عنه ويبقى شعوراً داخلياً يعاني منه.

ومن التعريفات التي تناولت الغضب أيضاً تعريف شبيلبيرجر حيث عرف الغضب من منظورين:

88 - الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: 1399هـ - 1979م، (4/428).

89 - الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (المتوفى: 170هـ) كتاب العين، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى، بدون (4/369).

90 - الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب (المتوفى: 502هـ) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، لبنان، ص: 75.

● المنظور الأول وفقاً لطبيعة الغضب والآخر وفقاً لدرجته، وبناء على ذلك فهو يفرق بين نوعين من الغضب وهما: الغضب كحالة، وهو حالة عاطفية تتكون من أحاسيس ذاتية تتضمن التوتر والإزعاج والإثارة.

● والغضب كسمة، وهو عدد المرات التي يشعر بها الفرد بحالة الغضب في وقت محدد بحيث من يتميز بصمة الغضب يميل إلى الاستجابة لجميع المواقف أو غالبيتها بالغضب.⁹¹

ولقد عرف لندنفيلد الغضب بأنه استجابة عاطفية طبيعية تظهر لمساعدتنا على التكيف مع التهديد، والأذى، والعنف، والإحباط. وعرفه ماك جوجان بأنه استجابة انفعالية متزايدة غالباً ما تظهر على نحو عدواني بطرق لفظية أو جسدية بصفة خاصة حينما يهدد الشخص أو يهاجم.⁹² ويعتبر الغضب شعوراً، أو عاطفةً اجتماعيةً تحفز الكثير من المشاعر عند الإنسان، مثل الشعور بالألم الناجم عن الأفكار المثيرة للغضب؛ لذا يحمي الإنسان نفسه، ويتخذ إجراءات وقائية لذلك ويبدله دون أن يشعر بالغضب؛ لأنه يفضل القيام بذلك في المواقف التي تستثير عاطفته، والتي تشتت انتباهه مؤقتاً عن السبب الرئيسي، حيث يمنعه من التعامل المباشر مع المشاعر الحقيقية في نفس اللحظة ويتجنبها، ويبدل الجهد في تحويل الألم إلى غضب، وصب التركيز على الآخرين والابتعاد عن التركيز بالنفس، ويؤمن التغطية للإنسان حتى لا يكشف ما يشعر به أمام الآخرين، كما يمنح الغضب سواء كان مبرراً أم لا، حالة من الشعور باحترام الذات، وأداةً لتحويل مشاعر الإنسان الضعيفة والعاجزة إلى الموقف المسيطر القوي، وعلى الرغم من ذلك لا يمكن للغضب أن يُذهب الألم.

المطلب الثالث: أنواع الغضب

يمكن تصنيف الغضب إلى أربعة أنواع تختلف وفقاً لمسببات الغضب، والحالة النفسية للإنسان، وهي كما يلي:

- الغضب المبرر؛ وهو غضب أخلاقي ناتج عن الشعور بالظلم، كالمشاعر التي تظهر بسبب قمع حقوق الإنسان، أو العنف في المجتمع وغيرها، حيث يمكن توجيه هذه العاطفة لتحدث تغييراً إيجابياً، إلا أن بقاؤها لفترة طويلة يجرم الإنسان من الراحة النفسية، وتُسبب له المعاناة.

91 - فوقية، عبد الحميد، مقياس الغضب كحالة وكسمة، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى: 1998 ص: 17.

92 - فايد، حسين، دراسات في السلوك والشخصية الاكتئاب النفسي - الملح - اضطرابات الأكل - الانتحار - الغضب، القاهرة، مؤسسة حورس الدولية ومؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2004، ص: 53.

- غضب الانزعاج؛ هو أكثر أنواع الغضب شيوعاً، ويحدث نتيجة التعرض للإحباط، والمواقف المرعبة المختلفة في الحياة اليومية، كالشعور بالغضب بسبب مدير العمل، أو شريك الحياة، وغير ذلك، وغالباً ما ينتج هذا الغضب بسبب التركيز على الجوانب السلبية في المواقف اليومية.

- الغضب العدواني؛ هو نوع مدمر من أنواع الغضب يحدث نتيجة رغبة الإنسان بالسيطرة على الآخرين، أو تخويفهم، أو التلاعب بهم، ويجدر الذكر أنّ الغضب العدواني المتكرر يتحوّل ليُصبح تنمراً على الآخرين، فيُعرضهم للقمع، والعنف النفسي، وغالباً يغضب الأشخاص بهذه الطريقة لإخفاء مشاعر كالضعف، والخوف، أو لإخفاء عيوبهم عبر فرض سيطرتهم على الآخرين.

- نوبات الغضب المزاجية؛ وهو الغضب الناتج عن عدم تلبية احتياجات الفرد الأناية، والتي تكون غير معقولة، أو غير مناسبة، وغالباً ما يبدأ هذا النوع من الغضب بالظهور في مرحلة الطفولة، فيشرع الطفل بالغضب عندما لا يُلبّي البالغون طلباته، وتؤثر نوبات الغضب المزاجية المزمنة سلباً على قدرة الشخص على تكوين علاقاتٍ صحية وناجحة مع الآخرين⁹³.

الفصل الثاني: المفهوم الشرعي للغضب ونماذج من غضب الأنبياء

ومن منظور إسلامي، فلقد اهتم الإسلام بجميع أحوال المسلم، فمنذ أن خلق الله سبحانه وتعالى الأرض ومن عليها ظهر مع مرور الوقت مجموعة من النقائص الإنسانية التي تهدد المجتمعات المختلفة، وعلى الرغم من أن كل الأديان السماوية وحتى الحضارات الإنسانية حاولت التعامل مع هذه النقائص وتهذيبها إلا أن معظمها لم يطرح سبيل للعلاج إلا الدين الإسلامي، فلقد أتى ديناً مناسباً لكل الأمم، مجتازة حدود الزمان والمكان، ليكون حلاً لكل الاضطرابات النفسية والسلوكية، ولأن الغضب عدو العقل، وهو له كالدُّب للشاة قلّ ما يتمكن منه إلا اغتاله.⁹⁴

مع أن الغضب جبلة جبل الإنسان عليها، ولا يخفى على كل ذي لب ما يحدث من الشرور والمفاسد من الغضب، فكثير من الأفعال المحرمة ترتكب في حالة غضب شديدة، فجاءت السنة المطهرة، بالحث على البعد عنه، بتجنب أسبابه، ثم أشادت بمن كظم غيظه، ووعدته بأحسن الجزاء.

⁹³ -Ni, Preston (2006): How to Communicate Effectively and Handle Difficult People

— 2nd Edition. PNCC.

⁹⁴ - الجوزية، محمد بن أبي بكر ابن القيم، كتاب اغائة اللفهان في حكم طلاق الغضبان، القاهرة، مطبعة المنار، الطبعة الرابعة 2004، ص:49.

وهناك العديد من آيات القرآن الكريم تم فيها ذكر مفهوم الغضب، فتظهر كلمة "عَيْظًا" (غين ياء ظاء) إحدى عشر مرة في القرآن الكريم، في هيئة أشكال مشتقة، وتعني كلمة العيظ هنا أشد الغضب، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه.

ومن الآيات قول الله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لُفُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْعَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بِعَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾⁹⁵ وكذلك ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْعَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾⁹⁶ وقال تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْعَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾⁹⁷.

وفقًا للعقيدة الإسلامية، الغضب جزء من طبيعة السلوك البشري، ومن الصعب تصور أن الناس لن يغضبوا، حتى لو كان الفرد صالحًا. ولكن الأشخاص الصادقين والصالحين سيتذكرون دائمًا الله وأوامره عندما يغضبون أو عندما يتم تذكيرهم.

والناس في هذه القوة على إفراط وتفريط واعتدال، فالإفراط: أن تغلب هذه الصفة حتى يخرج عن طاعة العقل والشرع وسياستهما، ولا تبقى له فكرة وبصيرة. والتفريط: أن يفقد هذه القوة أو تضعف بحيث لا يغضب عما ينبغي الغضب عليه شرعا وعقلا، والاعتدال: أن يصدر غضبه فيما ينبغي ولا يصدر فيما لا ينبغي، بحيث يخرج عن سياسة الشرع والعقل، بل يكون تابعًا لهما في الغضب وعدمه، فيكون غضبه وانتقامه بأمرهما.

ولا ريب في أن الاعتدال ليس مدمومًا، ولا معدودًا من الغضب، بل هو من الشجاعة، والتفريط مدموم معدود من الجبن والمهانة، وربما كان أخبث من الغضب، إذ الفاقد لهذه القوة لا حمية له، وهو ناقص جدًا.

وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم الخير في لفظ واحد فقال له «لا تغضب» ومعنى ذلك والله أعلم أن الغضب يفسد كثيرًا من الدين؛ لأنه يؤدي إلى أن يؤدي ويؤدي، وأن يأتي في وقت غضبه من القول والفعل ما يآثم به ويؤثم غيره ويؤدي الغضب إلى البغضة التي قلنا إنها الحالقة والغضب أيضًا يمنعه كثيرًا من منافع

95 - سورة آل عمران: 119.

96 - سورة آل عمران: 134.

97 - سورة الملك: 8.

دنياه ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم «لا تغضب» يريد والله أعلم لا تمض ما يبعثك عليه غضبك وامتنع منه وكف عنه، وأما نفس الغضب فلا يملك الإنسان دفعه، وإنما يدفع ما يدعوه إليه، وقد روي عن الأحنف بن قيس أنه قال لست بحليم ولكني أتحملم، وإنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم امتناعه من الغضب في معاني دنياه ومعاملته، وأما فيما يعاد إلى القيام بالحق فالغضب فيه قد يكون واجبا وهو الغضب على الكفار والمبالغة فيهم بالجهاد وكذلك الغضب على أهل الباطل وإنكاره عليهم بما يجوز.

وقد يكون مندوباً إليه، وهو الغضب على المخطئ إذا علمت أن في إبداء غضبك عليه ردعاً له وباعثاً على الحق.⁹⁸

وعلى سبيل المثال، قدم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس بن حصن، وكان من نفر الذين يدينهم عمر، وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته، كهولاً كانوا أو شبانا، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، هل لك وجه عند هذا الأمير فتستأذن لي عليه؟ قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن لعيينة، فلما دخل، قال: يا ابن الخطاب، والله ما تعطينا الجزل، وما تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر، حتى هم بأن يقع به، فقال الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين"⁹⁹، وإن هذا من الجاهلين، فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله¹⁰⁰.

وهناك العديد من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حول الغضب وكيفية الحد من تأثيراته ووسائل علاجه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني، قال: لا تغضب، فردد مراراً، قال: لا تغضب¹⁰¹.

وأيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب "¹⁰².

98 - القرطبي، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي الباجي الأندلسي (المتوفى: 474هـ)، المنتقى شرح الموطأ، مطبعة السعادة - مصر، الطبعة الأولى: 1332 هـ (214/7). الطبعة: الأولى، 1332 هـ

99 - سورة الأعراف: 199

100 - صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رقم: 7286.

101 - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب (28/8) حديث رقم 6116.

102 - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: باب الحذر من الغضب (28/8) حديث رقم: 6114.

إن الله سبحانه وتعالى وعد المتقين والمتحكمين في الغضب بمكافأة عظيمة مأجورين فيها: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)¹⁰³

قوله تعالى: "وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ" أي: الجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه، والكافين غضبهم عن إمضائه، يردون غيظهم وحزهم في أجوافهم، ويصبرون ولا يظهرون .

وأصل الكظم: حبس الشيء عند امتلائه، يقال: كظمت القربة: إذا ملأها ماء، ويقال لمجري المياه: كظائم لامتلأها بالماء، واحدها: كظامه، ومنه قيل: أخذت بكظمه، يعني: بمجري نفسه، ومنه: كظم الإبل، وهو حبسها جررها في أجوافها، ولا تجتر، وإنما يفعل ذلك من الفزع والجهد.¹⁰⁴

إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم هو القدوة الأولى لأمة الإسلام، وقد أمر الله جل جلاله الخلق بالاعتداء بنبيه صلى الله عليه وسلم، حيث قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)¹⁰⁵.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغضب لكنه ما كان يغضب إلا بحق ولا يتصرف في غضبه إلا بمقتضى الحق ولا يثار لنفسه، وإنما يثار لله عز وجل، فمن ذلك غضبه من أسامة حين أراد أن يشفع في المخزومية التي سرت، وغضبه من معاذ حين كان يطيل الصلاة بقومه، وغضبه من علي رضي الله عنه حين رآه لابسا حلة سراء.

فإن حال القلب عند الغضب في الاضطراب أشد من حال السفينة عند اضطراب الأمواج في لجة البحر، إذ في السفينة من يحوّل لتسكينها وتديبرها وسياستها؛ أما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته بعد أن أعماه الغضب وأصمه.

103 - سورة آل عمران: 134.

104 - الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (المتوفى: 427 هـ)، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه تحقيق: عدد من الباحثين (21) مثبت أسماءهم بالمقدمة ص 15، أصل الكتاب: رسائل جامعية (غالبها ماجستير) لعدد من الباحثين

الناشر: دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1436 هـ - 2015 م (262/9)

105 - سورة الأحزاب: 21.

ويظهر ذلك على أعضائه وكلامه وفعاله، ولو رأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياءً من قبح صورته واستحالة خلقته، وقبح الباطن أعظم من قبح الظاهر فإن الظاهر عنوان الباطن، وإنما قبحت صورة الباطن أولاً ثم انتشر قبحها إلى الظاهر ثانياً، وأما في اللسان فأثره بالشتم والفحش الذي يستحي منه قائله عند سكون الغضب فضلاً عن تحبط النظم واضطراب اللفظ، وأما أثره على الأعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل للمغضوب عليه وإذا فلت منه بسبب عجز أو غيره فقد يرجع إلى صاحبه فربما مزق ثوب نفسه أو لطم وجهه وربما ضرب بيده على الأرض، وأما أثره في القلب على المغضوب عليه فالحقد والحسد واضحا والسوء والشماتة بالمساءات.

ولقد قص الله سبحانه وتعالى علينا في القرآن الكريم الكثير من الأحداث التي واجهت الأنبياء عليهم السلام وتفاعلوا معها وانعكس ذلك التفاعل على سلوكياتهم وتصرفاتهم من أجل استخلاص العبر والدروس المستفادة؛ فكليم الله موسى عليه السلام، كان من صفاته التي اتسم بها: الشهامة والرجولة، فقد كان رجلاً عظيماً. ومن شهامته: أنه لما رأى المرأتين تريدان السقيا ولا من معين، بل إن هؤلاء القوم يسقون ولا يابھون لهما تقدم عليه السلام فأزاح الحجر العظيم ثم سقى لهما.

وقد اتسمت شخصية نبي الله موسى عليه السلام أيضاً بأنه شخصية أوابة، رجاعة إلى الله سبحانه وتعالى بالتوبة والاستغفار، ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ ۖ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾¹⁰⁶. فرجع إلى الله سبحانه وتعالى تائباً، فقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾¹⁰⁷، فهو يعلم الله جيداً، وهو موحد به منذ صغره على دين قومه، وكان فيهم التوحيد، وهو على شريعة يعقوب عليه السلام قبل أن يوحى إليه. ونلاحظ أنه تعهد ألا يكون معيناً للمجرمين؛ لأن الفرد المسلم لا يجوز له أن يستعمل ما آتاه الله من قوة وتمكين في الشر، وإنما يستعملها في الخير، وهنا وعد موسى عليه السلام ربه بأن قال: سأستخدم القوة التي منحتني إياها في الخير فقط، وأن لا أعين مجرماً، ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾¹⁰⁸.

106 - سورة القصص: 15.

107 - سورة القصص: 16.

108 - سورة القصص: 17.

ومثلما اتصف نبي الله موسى عليه السلام بالحكمة والرفق والرجوع إلى الله تعالى، كان أيضاً متصفاً بالغضب إذا انتهكت محارم الله، فغضب موسى عليه السلام من قومه لعبادتهم العجل، ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا ۗ أَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۚ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا لَعِنَ لِمَ يَرْحَمَنَا رَبُّنَا وَيَعْفِرَ لَنَا لَنَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١١٠﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ۗ أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۗ وَاللَّيْلِ الْأَلْوَاخَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۗ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَفْتُلُونِي ۖ فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١١﴾

ونذكر أيضاً نبي الله سليمان عليه السلام، الذي كان يتمتع بسمات شخصية مميزة أعانته على أداء مهام الدعوة والحكم وتدير شؤون مملكته بصورة تامة. ولقد كان عليه السلام أواب؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١١٠﴾، وكان قائداً فسليمان عليه السلام كان يتفحص ويتفقد كل رعيته بدون استثناء، قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿١١١﴾

ومثلما كان يمتلك العلم والفهم والحكمة، كان يغضب لله حاله حال جميع الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿١١٠﴾ لِأَعَذَّبْتَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١١١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ لُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿١١٢﴾

وتفقد سليمان حال الطير المسخرة له وحال ما غاب منها، وكان عنده هدهد متميز معروف فلم يجده، فقال: ما لي لا أرى الهدهد الذي أعهد؟ أسرته ساتر عني، أم أنه كان من الغائبين عني، فلم أراه لغيبته؟ فلما ظهر أنه غائب قال: لأعذبن هذا الهدهد عذاباً شديداً لغيابه تأديباً له، أو لأذبحنه عقوبة على ما فعل حيث أخل بما سخر له، أو ليأتيني بحجة ظاهرة، فيها عذر لغيبته. فحينئذ تغيظ عليه وتوعده فقال: "لأعذبنه عذاباً شديداً دون القتل، أو لأذبحنه أو ليأتيني بسُلْطَانٍ مُبِينٍ " أي: حجة واضحة على تخلفه،

109 - سورة الأعراف: 148-150.

110 - سورة ص: 30.

111 - سورة النمل: 20.

112 - سورة النمل: 20-22.

وهذا من كمال ورعه وإنصافه أنه لم يقسم على مجرد عقوبته بالعذاب أو القتل لأن ذلك لا يكون إلا من ذنب، وغيبته قد تحمل أنها لعذر واضح فلذلك استثناه لورعه وفطنته¹¹³.

ولنا مع سيدنا يونس عليه السلام حينما غضب ووقفه، سيدنا يونس عليه السلام الذي قد من الله سبحانه جل شأنه عليه بالنجاء من بطن الحوت، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ ۖ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾¹¹⁴، وهو الذي مدحه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال: "لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى"¹¹⁵.

فإن الله جل شأنه أرسله إلى قومه فدعاهم فلم يؤمنوا، فتوعددهم بالعذاب فلم يتوبوا، ولم يصبر عليهم كما أمره الله، وخرج من بينهم غاضباً عليهم، ضائقاً صدره بعضيائهم، ﴿وَدَا التُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُعَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾¹¹⁶. أي أن يونس عليه السلام غضبه من قومه لعدم استجابتهم لدعوة الله فكان غضبه لله ومن أجل الله خرج من عند قومه وهو غضبان.

وعند التبع لهذه المشاهد والوقائع والقصص من القرآن الكريم والتي برز فيها غضب الأنبياء عليهم السلام وتأثير هذا الغضب سواء على أقوالهم أو أفعالهم أو حتى على ملامح وجوههم؛ وجد بالدليل القاطع أن الغضب يعد أحد الانفعالات الإنسانية ذات الأثر السلبي في تدمير العلاقات بين الأفراد وبعضها، وخلق جو من القلق والتوتر داخل نفسية الفرد.

وعلى الرغم من اختلاف الأفراد في استجاباتهم وردود أفعالهم للمواقف المثيرة للغضب فمنهم من يعبر عن غضبه دون أن يجرح الآخرين، ومنهم من يحول هذا الغضب إلى سلوك عدواني ينجم عنه الكثير من الأضرار بما فيها الاضطرابات النفسية للفرد أول ما حوله؛ إلا إننا جميعاً نتفق على أهمية التصرف بعقلانية للتعامل مع موضوع القلق باستخدام إستراتيجيات نفسية إسلامية إيجابية للعمل على سرعة تبديد الغضب وتجنبه.

113 - السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المآن. الطبعة الأولى في فلسطين 1(1997) مطبعة النور،

ص: 828.

114 - الأنبياء: 88.

115 - أخرجه البخاري في صحيحه، رقم ٣٤١٦، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: (وإن يونس لمن المرسلين)، ٤/١٥٩.

116 - الأنبياء: 87.

إن الشريعة الإسلامية بما تحتويه من عقائد وشرائع وبما تتميز به من شمول وواقعية ومواتاه للفطرة وقدرة على التأثير الممتد والفعال في نفوس البشر هي الملاذ الواقي والبلسم الشافي من الانحرافات والاضطرابات النفسية فلشريعة تعمل على جميع المكونات وبمختلف الوسائل والمستويات الوقائية والعلاجية والتأهيلية في ان واحد علاج تلك الانحرافات السلوكية والاضطرابات النفسية.

والعقيدة الإسلامية هي أقوى العقائد في امتلاكها أفضل الأساليب للتكيف والشفاء من الاضطرابات النفسية وبذلك فالمسلمون هما الأقل بحثا عن الدعم الاجتماعي أو الطبي عند تعرضهم للضغوط النفسية. وبناء على ما سبق يتبين لنا أن التوجه للدين الإسلامي في علاج نوبات الغضب أصبح ضرورة علمية وإنسانية فلقد أظهرت نتائج دراسة لكل من سميث، مكولوف وبول إن الأشخاص الأكثر معاناة والأكثر تعرضا للضغوط النفسية هو من أكثر لجوء واستخداما للدين للتخلص من معاناتهم.¹¹⁷

ودراسة كل من ديسوزا ورودريجو التي أظهرت الدور الإيجابي الذي يلعبه إضافة الدين العلاج المعرفي السلوكي؛ حيث تبين أن العلاج المعرفي السلوكي بالمحتوى الديني يقلل من فقد الأمل والقنوط، كما يعمل على تحسين فعالية العلاج ويقلل من انتكاسة المرض ويعزز من الاستشفاء.¹¹⁸

وقد قام الطبيب النفسي الباكستاني محمد الشريف بعمل دراسة لحظ فيه انخفاض حالات الاكتئاب في شهر رمضان وعندما عالج 64 مريضا بالاكتئاب علاجًا طبيًا وقسمهم إلى مجموعتين 32 مريضا أعطاهم العلاج الطبي فقط و32 مريضا أعطاهم العلاج الطبي وطلب منهم القيام بالليل من الساعة 2:00 للساعة 4:00 صباحا لصلاة التهجد وذكر الله وقراءة القرآن والدعاء والاستغفار وبعد أربع أسابيع وجد أن 78% من المجموعة الثانية و15% من المجموعة الأولى قد تخلصوا من الاكتئاب¹¹⁹.

Smith; Timothy B., McCullough; Michael E., Poll; Justin (2003): Religiousness and depression: ¹¹⁷ Evidence for a main effect and the moderating influence of stressful life events, Journal of Psychological Bulletin, Vol 129(4), 614-636.

-D'Souza; Russell F, Rodrigo; Angelo (2004): Spiritually augmented cognitive behavioral therapy, ¹¹⁸ Religion and Spirituality, Vol. 12, No. 2, pp. 148-152.

¹¹⁹ - توفيق، محمد عز الدين، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية - البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي، الطبعة الثانية 2002، دار السلام للطباعة والنشر، الإسكندرية، ص:238.

الفصل الثالث: الاستراتيجية النفس إسلامية لتخفيف حدة انفعال الغضب

إن الحدود الإسلامية التي هي العقوبات الدنيوية إنما شرعت للحفاظ على حياة الناس وأعراضهم ودمائهم وأعضائهم وقد يكون داعي القتل هو الغضب والعنف أو حب الجاه والمنصب والتعالي على الآخرين وقد عالج الإسلام ذلك بطريقة مثالية واقعية قبل أن يشتد الغضب وقبل أن يغلي حب الانتقام في النفس وقبل أن يسيطر العجب والكبر على الإنسان ويجعله كالريشة في مهب الهواء، فقد عالج الإسلام هذه الحالات النفسية كلها علاجاً واقعياً مثالياً، بحيث يستطيع المسلم بعد المواظبة على ذلك العلاج فترة زمنية أن يتخلص من كافة أمراضه النفسية التي أوجدت لديه اختلالاً في التوازن النفسي وجموحاً نحو زاوية الانحراف والغواية، هذا العلاج يكمن في وسيلتين إحداهما مادية والأخرى معنوية.¹²⁰

إن الهدف الرئيس من استخدام استراتيجيات العلاج المعرفي السلوكي من علم النفس جنباً إلى جنب مع الاستراتيجيات الإسلامية النابعة من القرآن والسنة النبوية هو خفض حدة انفعال الغضب وتعديل السلوكيات المرتبطة والمصاحبة للغضب كذلك تعديل الأفكار المرتبطة بالغضب في عقولنا.

إن الاعتماد على أساليب وفتيات العلاج المعرفي السلوكي الإسلامي يندرج تحتها عدد من الأهداف أهمها:

- الأهداف المعرفية: وتشمل على تنمية الوعي بكيفية إدارة انفعال الغضب، وتعديل الأفكار غير الصحيحة المصاحبة له.
- الأهداف انفعالية: تشمل على تخفيف من حدة نوبات الغضب والتحكم بها، تدعيم ثقة الفرد بنفسه، تجنب المشاعر السلبية والقرب من الله سبحانه وتعالى.
- الأهداف مهارية: تشمل على التدريب المستمر على طرق خفض حدة نوبات الغضب وأيضاً تشمل على تمرينات التنفس والاسترخاء.

يمكننا من خلال استخدام الاستراتيجية النفس إسلامية لتخفيف حدة انفعال الغضب أن نتبع أسلوب العلاج النفسي الجماعي وهو أحد أنواع العلاج الذي يستخدمه المعالج، وفيه يتم التقاء مجموعة من الأفراد مع بعضهم بدلاً من شخص واحد مع المعالج؛ لمشاركة مشكلة مماثلة، مثل: القلق أو الإدمان أو الغضب.

120 - نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي

الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة، (119/1).

والعلاج النفسي الجماعي يحقق مجموعة من الفوائد التي تؤثر إيجابيًا في العلاج؛ أهمها، وجود مكان آمن بالنسبة للأشخاص للتعبير عن مشاعرهم وللكشف عن طبيعة مشكلاتهم النفسية.

كذلك التعرف على أفكار جديدة ومعتقدات وتصرفات يمكن أن تغير من نظرة الشخص للأمور بالجمل نحو الأفضل، كما إنها قليلة التكاليف ويمكن الشخص تحملها عوضًا عن الجلسات الفردية المكلفة.

الاستراتيجية النفس إسلامية تحتاج إلى عدد 14 جلسة، بواقع جلستين أسبوعيًا، تتراوح مدة الجلسة الواحدة من (45 - 60 دقيقة) مع مجموعة يتراوح عددها من 4-10 أفراد.

1. تبدأ الاستراتيجية نفس إسلامية بجلسة تمهيدية يتم فيها تهيئة أفراد المجموعة بالتعرف على بعضهم البعض والتعرف على القواعد الأساسية لإدارة الجلسات وتوضيح الهدف من الجلسات وكذلك التعريف بالهدف من الإستراتيجية النفس إسلامية ومدى أهميتها.

2. في الجلسة الثانية؛ يتم التعرض لتعريفات الغضب وأسبابه والآثار النفسية المترتبة على سوء إدارة الغضب. كذلك تشمل الجلسة الثانية على فتح باب الحديث بين المساهمين فيها لمشاركة بعض القصص أو الخبرات السابقة لهم مع نوبات الغضب الشديدة، مع تأكيد المعالج على تحديد حقوق الأفراد في الغضب المبرر.

3. الجلسة الثالثة؛ نتناول فيها إستراتيجية اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى والبعد عن الشيطان وهي كالتالي:

استَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ وَأَحَدُهُمَا يَسْتَبُّ صَاحِبَهُ مَغْضَبًا قَدْ احْمَرَّ وَجْهُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" ¹²¹

يقوم المعالج هنا بشرح حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي حذر فيه من الغضب لأنه يدفع إلى التهور والشور، وكان صلى الله عليه وسلم لا يغضب إلا عندما تنتهك حرمة الله تعالى وهو الغضب المبرر.

وفي هذا الحديث يرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى أول الطرق العلاجية التي نستطيع إنه سكن بها الغضب ونذهب أثره، وهو أن يقول من أصابه الغضب: "أعوذ بالله من الشيطان" لأن الغضب

121 - أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب بدء الخلق، باب: باب صفة إبليس وجنوده، (214/4) حديث رقم: 3282 من حديث سليمان بن صرد، رضي الله عنه.

من نزعات الشيطان.

وهنا تظهر أهمية تعويد الإنسان لسانه على النطق بالخير والاستعاذة من الشر والشياطين.

إن التعود هو تعلم بعد فترة من التعرض لمثير معين، والعادة تتطور بعمل النشاط عدة مرات؛ فإن استطاع الفرد تعويد اللسان على ذكر الله والاستعاذة من الشيطان الرجيم، كأن وضع لجام التقوى على لسانه مثل لجام الفرس يمنعه من الاندفاع وقت غضبه ويعد عنه الشياطين، وبالتبعية تقل حدة نوبات الغضب لدى الفرد. ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۗ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾¹²²

4. الجلسة الرابعة: يتناول فيها المعالج أهمية الصمت كإستراتيجية نفس إسلامية في التعامل مع نوبات الغضب، ويستدل المعالج على ذلك بحديث عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ"¹²³.

وهنا يقوم المعالج بتوضيح نقطة مهمة وهي، أن الإنسان يستطيع التغلب على غضبه بالسكوت أي إذا أصابت الفرد نوبة من نوبات الغضب وهو يتكلم فليصمت حتى يهدأ، لأنه إذا استمر في الحديث لعله ينطق بكلام لا يجوز سواء في أمور الدين أو الدنيا، الأمر الذي يجعله معرضاً للندم عند زوال غضبه، ففي حالة الغضب الشديد أو المكروه، يفقد الناس في معظم الأحيان السيطرة على أنفسهم. واعتماداً على هذا السياق، يمكن للشخص أن ينطق بكلمات مسيئة أو كلمات تشهير أو لعنات، أو يقول كلمات كفر (نعوذ بالله)، لذا وجب على المعالج شرح أهمية الصمت لأفراد المجموعة والتأكيد على أهميتها حتى يهدأ الفرد ويزول عنه الغضب وتجنب بذلك الإساءات اللفظية للآخرين من حولنا.

5. الجلسة الخامسة: في هذه الجلسة يقوم المعالج بمواجهة الأفكار السلبية اللاعقلانية لدى أفراد المجموعة، كذلك محاولة دفعهم للحديث عن المشاعر السلبية المرتبطة بالغضب لديهم وذلك باستخدام مبدأ الحوار والمناقشة. وهنا يؤكد المعالج على دور الحوار بين المجموعة لتتعرف على مدى سداجة بعض أسباب نوبات الغضب والتي كان من الممكن التعاطي معها بطرق أقل وطأة.

122 - سورة الأعراف: 200.

123 - أخرجه أحمد في "المسند" (39/4) حديث رقم: 2136، وحسنه جماعة، انظر "السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير" (960/2).

ولقد قدم لنا القرآن الكريم نماذج كثيرة من الحوار نذكر منها ما دار بين إبراهيم عليه السلام وبين الرجل الذي أتاه الله الملك، وقصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، وقصة نوح عليه السلام مع قومه، وقصة أصحاب الجنتين.

كذلك المتأمل لسيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يدرك إنه أفضل من نستخدم أسلوب الحوار للإقناع فهو صلى الله عليه وسلم يعلم وظيفة الحوار وفوائده وأساليبه وآدابه وفنونه وقد مارسها صلى الله عليه وسلم على أحسن ما يكون طوال حياته مع المسلم والكافر مع الرجل والمرأة مع الشيخ والطفل على حد سواء.¹²⁴

6. الجلسة السادسة: يجب على المعالج هنا الإشارة إلى ضرورة تغيير وضع الجلوس الخاص بالفرد في حالة حدوث نوبة غضب مكروهة، والحكمة في تغيير الوضع تكمن في منع الفرد من فقدان السيطرة على نفسه واعصابه، حيث يمكن أن يقوم بفعل شيء ضار، مما يسبب إصابة فرد آخر أو حتى قتله، وفي بعض الحالات تدمير الممتلكات، تغيير الوضع يعمل كمشتت للانتباه؛ فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع."¹²⁵

والمراد من تغيير وضعية الجلوس هنا، وأن يغير من وضعه الذي غضب فيه ويتحول إلى وضع آخر أكثر هدوءاً وطمأنينة. بمعنى آخر إيه إذا كان الإنسان غاضباً وهو واقف فليجلس حتى يهدأ أو يركض على أحد جانبيه أو على ظهره، والعلة من ذلك أن الشخص الجالس أقل حركة وأقل باطشاً بمن حوله كذلك النائم أو المضجع، لا يقدر على النيل من الآخرين.

7. الجلسة السابعة: يتطرق المعالج هنا إلى الوضوء، مؤكداً على أن من يتعرض لما يغضبه عليه أن يتوضأ فإن الوضوء يطفى نار الغضب ويقضي على حدته. فعن عبد الله بن بجير الصنعاني قال: دخلنا على عروة بن محمد السعدي، فكلمه رجل، فأغضبه، فقام فتوضأ، فقال: حدثني أبي عن جدي عطية، قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: "إِنَّ الْعَضْبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ

124 - الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، مرجع سابق ص 32.

125 - قال أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: 806هـ) في "المغني عن حل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار" (ص1070): "أخرج ابن أبي الدنيا وفيه من لم يسم ولا أحمد بإسناد جيد في أثناء حديث فيه وكان أبو ذر قائماً فجلس ثم اضطجع فقبل له: لم تجلس ثم اضطجعت؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع» والمرفوع عند أبي داود وفيه عنده انقطاع سقط أبو الأسود".

الشَّيْطَانُ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ"¹²⁶. كذلك يجب على المعالج التأكيد على الحقيقة الطبية المعروفة أن الماء البارد يهدئ من فوران الدم الناشئ عن نوبات الغضب كما يساعد على تخفيف حالات التوتر العضلي والعصبي.

8. الجلسة الثامنة: في بداية تلك الجلسة يشير المعالج إلى ضرورة إتباع نصائح ووصايا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، فاتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكن أن تحقق الفوائد العديدة للتحكم وإدارة الغضب، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني، قال: "لا تغضب"، "فردد مراراً قال: لا تغضب"¹²⁷. كذلك جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ليس الشَّدِيدُ بالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْعَضَبِ"¹²⁸.

وهنا ندرك أن الشخص القوي هو الذي يصارع نفسه إذا صارعته ويتحكم فيها إذا غضبت؛ فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أكد أن هذه هي القوة الحقيقية قوة داخلية معنوية يتغلب بها الإنسان على الشيطان؛ لأنه (نعوذ بالله منه) هو من يشعل جمرة الغضب في القلوب.

9. الجلسة التاسعة: تبدأ الجلسة بالاسترخاء ثم تأمل في عظم ثواب التحكم في نوبات الغضب المكروهة؛ فنحن لا نريد فقط التحكم في الغضب، ولكننا نطمح أيضاً إلى الثواب العظيم. في حين يجاهد الفرد نفسه ويتحكم في غضبه، يحصل بذلك على مكافأة عظيمة من الله سبحانه وتعالى للصالحين بما في ذلك وعد الجنة، وملاً قلبه بالرضا في يوم القيامة. ودليلنا حديث معاذ بن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى رُؤُوسِ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخْرِجَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ"¹²⁹ كذلك حديث عبد الله بن عمر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما تجرَّع عبداً جرعةً أفضلَ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ من جرعةِ غيظٍ يكظمُها ابتغاءَ وجهِ اللهِ تعالى"¹³⁰، وعن أبي هريرة

126 - أخرجه أحمد في "المسند" رقم: 29505.

127 - سبق تخريجه.

128 - سبق تخريجه.

129 - سبق تخريجه.

130 - قال العراقي في "المغني" (1478): إسناده جيد. مرجع سابق.

رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من كظم غيظاً، وهو يقدر على إنفاذه ملأه الله أمناً وإيماناً "131

10. الجلسة العاشرة: تبدأ هذه الجلسة بطلب من المعالج للمجموعة بتصحيح ووضع مسميات جديدة للأبطال الذين يستطيعون كبح جماح غضبهم؛ لأن هؤلاء تم ذكرهم في القرآن الكريم، وأعد الله لهما جنات عرضها السماوات والأرض وأثنى عليهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾¹³²

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾¹³³. فيصبح أمام أفراد المجموعة تفسيرات جديدة لكظم الغيظ لأنهم إذا غضبوا ممن أساء إليهم بقول أو عمل يغفرون له ولا يعاقبونه، يكون ثوابهم كبير في الآخرة ويدخلهم الله سبحانه وتعالى مدخلا كريماً.

11. الجلسة الحادية عشر: يقوم المعالج هنا بشرح ضرورة اختيار الفرد لأصدقائه وللأفراد المحيطين به بعناية شديدة؛ لأنهم يستطيعون مساعدته في حالات الغضب المكروهة بالتذكير كما فعل الحر بن قيس مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فلقد قدم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس بن حصن، وكان من نفر الذين يذنبهم عمر، وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته، كهولاً كانوا أو شباناً، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، هل لك وجه عند هذا الأمير فتستأذن لي عليه؟ قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن لعيينة، فلما دخل، قال: يا ابن الخطاب، والله ما تعطينا الجزل، وما تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر، حتى هم بأن يقع به، فقال الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين"، وإن هذا من الجاهلين، فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله¹³⁴. وهنا نقف عند ادب الصحابة رضي الله عنهم عندما يذكر كتاب الله سبحانه وتعالى لا يتجاوزونه؛ فإذا قيل لهم هذا قول الله أطاعوه مهما كان الأمر، لذا على المجموعة مناقشة ما إذا كان المحيطين بهم يساهمون في خفض حدة نوبات الغضب أم في زيادتها.

⁵ - سبق تخريجه بنحوه.

132 - سورة آل عمران: 134.

133 سورة الشورى: 37.

134 - سبق تخريجه.

12. الجلسة الثانية عشر: في هذه الجلسة يقوم المعالج بإعطاء بعض القواعد التي تستطيع المجموعة فيها بالتعبير عن غضبهم بطريقة إيجابية بما لا يتعارض مع ديننا الحنيف. كذلك تهدف هذه الجلسة إلى تدريب المجموعة على استخدام مهارات توكيد الذات والبعد عن السلوك العدواني. كذلك يتطرق المعالج إلي فضل الدعاء فلقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم طلبه من الله الرضا عند الغضب، إذ قال -عليه الصلاة والسلام-: "اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ".¹³⁵

فدعاء الله تعالى شفاء للقلوب وسعادة في الدارين، وقال ابن القيم رحمه الله: «والدعاء من أنفع الأدوية؛ وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه، أو يخففه وهو سلاح المؤمن».

13. الجلسة الثالثة عشر: تقوم المجموعة هنا بتعلم مهارة طرق الدفاع عن الذات ضد النقد، فتكمن المهارة هنا في تحويل تركيز الغضب بعيدا عن الظروف الخارجية، والتركيز عوضا عن ذلك على ما نريد تغييره بقوة في داخلنا. فهناك حالات معينة يجب فيها أن نشعر بالغضب ونظهر غضبنا كمسلمين لله، كذلك يجب أن نشعر بالغضب فيما يتعلق بتحقيق التوحيد، أو عندما يتم قتل المسلمين أو يتم معاملتهم بظلم. لأنه في مثل هذه الأوقات يمكن أن يكون الغضب صحيحًا.

14. الجلسة الرابعة عشر: الجلسة الختامية يقوم فيها المعالج بالإجابة على أية استفسارات لدى أفراد المجموعة المشاركة في العلاج الجماعي، كما يتم تلخيص ما تم تناوله طوال الجلسات السابقة مع محاولة غرس الثقة بأنفسهم عن طريق التدعيم المعنوي. كذلك عند الالتزام بالخطوات السابقة يستطيع الإنسان أن يسلم من آثار الغضب المؤذية، والتي تطال حياته الفردية والعائلية، وعلاقاته الاجتماعية، وتسلم صحيفته من المظالم المتعلقة بالناس .

135 - قال الحاكم في "المستدرک" (1/ 705): " هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ".

خاتمة

من واقع عمل الباحثة في العلاج النفسي في المراكز النفسية المعتمدة، فقد ثبت لدي سريراً وإحصائياً، بفاعلية هذه الاستراتيجية في تخفيف أعراض الغضب كنموذج للانفعال، لكنها استراتيجية نافعة في إدارة جميع الانفعالات والعواطف التي تحتاج لجودة الإدارة، وإني أهيب بالأكاديميات والجامعات والمراكز لعلاجية بإعادة النظر في هذه الاستراتيجية، فلعلهم يجدوا فيها بغيتهم بتحقيق الهدف المرجو من جلسات إدارة الانفعالات، والله الموفق لا رب سواه.

المراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن قيم الجوزية (1914): كتاب اغائة اللهفان في حكم طلاق الغضبان، القاهرة، مطبعة المنار.
- جمعة يوسف (2007) دور الأخصائيين النفسيين في ممارسة العلاج المعرفي السلوكي، دراسات عربية في علم النفس، مج6، ع4، أكتوبر.
- حسن مصطفى عبد المعطي (2001): دليل تطبيق الخبرات الشخصية المرتبطة بوصف انفعال الغضب، القاهرة، النهضة المصرية.
- حسن منسي، إيمان منسي (2004): التوجيه والإرشاد النفسي ونظرياته، الطبعة الأولى، دار الكندي.
- حسين فايد (2003): الفروق بين الجنسين في العلاقة بين الغضب والاكتئاب، حوليات آداب عين شمس، مج 31.
- حسين فايد (2004): دراسات في السلوك والشخصية الاكتئاب النفسي - الهلع - اضطرابات الأكل - الانتحار - الغضب، القاهرة، مؤسسة حورس الدولية ومؤسسة طيبة للنشر والتوزيع.
- حسين فايد (2006): دراسات في السلوك والشخصية، القاهرة، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع.
- الراغب الأصفهاني (2001): مفردات ألفاظ القرآن الكريم، لبنان، مفردات ألفاظ القرآن الكريم.
- رشاد علي عبد العزيز موسى (2000): العلاج الديني للأمراض النفسية أثر الدعاء كأسلوب إرشادي نفسي في تخفيف حدة بعض الاضطرابات السيكوسوماتية لدى عينة من طالبات الجامعات الملتمزمات وغير الملتمزمات دينيا، الطبعة الأولى، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، مصر.
- رشاد موسى (2001): الإرشاد النفسي في حياتنا اليومية في ضوء الوحي الإلهي والهدي النبوي، طبعا الأولى، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، مصر.
- صحيح البخاري.
- طه حسين (2007): استراتيجيات إدارة الغضب والعنوان، عمان: الأردن، دار الفكر للنشر والتوزيع.
- عادل عبد الله (2000): العلاج المعرفي السلوكي، القاهرة، غريب الأطباع والنشر.

- عبد الرحمن بن ناصر السعدي (1997): تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المّان. 2مج. ط: 1. فلسطين، مطبعة النور.
- عبد المجيد سيد أحمد منصور، زكريا أحمد الشرييني، إسماعيل محمد الفقي (2002): السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- عثمان الخوالدة (2014): أثر برنامج علاجي معرفي سلوكي في تخفيض الغضب وتحسين استراتيجيات التعامل معه، مؤتمة للبحوث، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 29، العدد الثاني.
- كمال إبراهيم مرسى، (1995): الإرشاد والعلاج النفسي من منظور إسلامي، دار القلم، الكويت.
- محمد سعفان (2001) فاعلية الإرشاد العقلاني الانفعالي السلوكي والعلاج القائم على المعنى في خفض الغضب (كحالة وكسمة) لدى عينة من طالبات الجامعة (دراسة مقارنة)، مجلة كلية التربية، عين شمس.
- محمد عبد الرحمن وعبد الحميد فوقية (1998): مقياس الغضب كحالة وكسمة، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر.
- محمد عز الدين توفيق (2002) التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية - البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي، ط 2، دار السلام للطباعة والنشر، الإسكندرية.
- محمد مهدي النراقي (1968): جامع السعادات، العراق، دار النعمان للطباعة والنشر.
- مصطفى يوسف محمد منصور (2002): التوجيه التربوي من خلال خطاب الرسل لأقوامهم كما جاء في القرآن الكريم، رسالة ماجستير مقدمة قسم أصول التربية، كلية التربية، الجامعة الإسلامية - غزة - فلسطين.
- نشوة حسين (2011) الأفكار اللاعقلانية المنبئة بانفعال الغضب، دراسات نفسية، مج 21، ع2، ابريل.
- نهاد عبد الوهاب محمود (2014): إدراك المساندة الاجتماعية وتقدير الذات كمنبهات بالغضب لدى المراهقين من الجنسين، دراسات عربية في علم النفس، عدد يناير.
- وفاء حسين (2011) فاعلية برنامج تدريبي لخفض مستوى الغضب لدى طالبات جامعة الطائف بالمملكة العربية السعودية، مجلة كلية التربية، عين شمس، عدد 35، مجلد 4.

- Deffenbacher, J. L.; Eugene, R; Huff, O. M & Thwaites, G. A. (1995). Fifteen-Month Follow-up of Social Skills and Cognitive Relaxation Approaches to General Anger Reduction. *J. of Counseling Psychology*, VOL. (42), no. (3), pp. 400-405
- Harway, M. (2005). *Handbook of Couples Therapy*, New Jersey, John Willy & Sons, Ins.
- D'Souza; Russell F, Rodrigo; Angelo (2004): Spiritually augmented cognitive behavioral therapy, *Religion and Spirituality*, Vol. 12, No. 2, pp. 148-152.
- Ni, Preston (2006): *How to Communicate Effectively and Handle Difficult People — 2nd Edition*. PNCC.
- Saini. M. (2009). Ameta-analysis of the psychological treatment of anger: developing guidelines for evidence-based practice. *The Journal of the American Academy of Psychiatry and the Law*, 37, 473- 488.
- Smith; Timothy B., McCullough; Michael E., Poll; Justin (2003): Religiousness and depression: Evidence for a main effect and the moderating influence of stressful life events, *Journal of Psychological Bulletin*, Vol 129(4), 614-636.
- Sohrabi; N., Samani; S. (2001): *The Effects of Religious Attitudes on Mental Health in Adolescence*, presented for 1st International Congress on Religion and Mental Health, Tehran –I.R.Iran (16-19 April 2001), Abstract Book.
- Sørensen; Torgeir, Danbolt; Lars J., Holmen; Jostein, Koenig; Harold G, Lien; Lars (2012): *Does Death of a Family*

Member Moderate the Relationship between Religious Attendance and Depressive Symptoms? The HUNT Study, Norway Journal of Hindawi, Depression Research and Treatment Journal, Vol. 2012, Article ID 396347, 7 pages doi:10.1155/2012/396347 Research Article. Stanley; M. A., Bush; A. L., Camp; M. E. et al. (2011): Older adults' preferences for religion/spirituality in treatment of anxiety and depression, *Aging and Mental Health*, Vol. 15, no. 3, pp. 334–343.

- Stanley; Ruth (2009): Types of Prayer, Heart rate variability, and innate healing, *Zygon Journal of Religion and Science*, Vol. 44, Issue 4, pages 825–846, December 2009.
- Valizaden, S., Davaji, R., & Mikamal, M. (2010). The Effectiveness of Anger Management Skills Training on Reduction of Aggression Adolescents, *Social and Behavioral Sciences*, (5) ,1195–1199

المشكلات التربوية الناجمة عن التحرش بالأطفال من الأقارب

العواقب وطريقة التعامل

إعداد

د. ماجدة فهد المولا

أستاذ مساعد - كلية علم النفس الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد؛

فلا يخفى على كل متابع لشأن الطفولة في عالمنا العربي أن التحرش الجنسي بالأطفال أصبح خيراً غير مستنكف ولا مستغرب في وسائل الإعلام المختلفة ووسائل التواصل الاجتماعي، ونحتاج لضوابط من علم الاجتماع للحكم على هذا السلوك بأنه أصبح ظاهرة، للأسف، أو مازال الأمر في طور التصرفات الفردية من هنا أو هناك.

ولا شك أن التشريعات القانونية في بلدان العالم العربي سابقة وبيون شاسع للوعي والإرشاد والتوجيه العام والخاص، فلم تزل ثقافة العيب والمفهوم القبلي وفكرة العار والاحتقار المجتمعي مانعاً من التصريح بالجرم والشكاية على المجرم ومعالجة الطفل الذي تعرض لهذا الجرم الشائن.

وأردت في هذا البحث أن أقدم نظرة عامة عن مشكلة التحرش الجنسي بالطفل، وعلامات التحرش السلوكية والعاطفية، والآثار الناجمة والعواقب النفسية والتربوية والسلوكية على الطفل المعتدى عليه وكيف يتعامل الوالدان مع تصريح الطفل بهذه الجريمة، ولا سيما لو كان المتحرش المعتدي معروفاً لدى الأسرة أو فرداً فيها.

والهدف منه بيان أثر هذا الجرم على نفسية الطفل وشرح الطرق المناسبة للتعامل معه للوالدين سلباً وإيجاباً، ورسم تصور علاجي لتخطي الطفل لهذه الأزمة.

ويدور البحث على فصول:

الأول: تعريف التحرش ووصفه.

الثاني: الإحصائيات العالمية والعربية ووصف الظاهرة.

الثالث: علامات تدل على تعرض الطفل للتحرش الجنسي.

الرابع: المشكلات التربوية الناجمة عن تعرض الطفل للتحرش الجنسي.

الخامس: السلوكيات السلبية من طرف الأهل في التعامل مع الطفل المتحرش به.

السادس: السلوكيات الواجبة الإيجابية في التعامل مع الطفل المتحرش به.

السابع : لو كان المتحرش من الأسرة أو معروفاً لها.

الثامن: كيفية معالجة الطفل المتحرش به نفسياً وتربوياً.

خاتمة ثم قائمة المصادر

الفصل الأول : تعريف التحرش ووصفه:

يعرف التحرش الجنسي للطفل بأنه محاولة الحصول على المتعة الجنسية من الطفل أو الطفلة على غير إرادة منه وبطريقة سرية . ويكون ذلك إما عن طريق الملامسة الجنسية المباشرة لأي عضو من الأعضاء الجسدية ذات الدلالة الجنسية أو محاولة الدخول أو إتمام العملية نفسها أو ممارسة الشذوذ .

أو بدون التلامس مثل التعرية أمام الشخص أو إظهار التغيرات الجنسية على الأعضاء الجنسية وملاحقة الطفل لكي يراها أو تصوير الطفل في أوضاع محلة أو إرسال رسائل بريد إلكترونية تعرض صور أو حتى الاقترابُ منه لمسافة تضايق خصوصيته، وقد يحدث ذلك من شخص قريب من الأسرة وذلك يكون أكثر شيوعاً أو من شخص غريب.¹³⁶

التحرش الجنسي هو سلوك جنسي متعمد من قبل المتحرش وغير مرغوب به من قبل الضحية، حيث يسبب إيذاءً جنسياً أو نفسياً أو حتى أخلاقياً للضحية، ومن الممكن أن يتعرض له الطفل في أي مكان سواء كان في الأماكن العامة مثل المؤسسة التعليمية والشوارع والمواصلات العامة... الخ أو حتى في الأماكن الخاصة مثل المنزل أو داخل محيط الأسرة أو الأقارب أو الزملاء... الخ ومن الممكن أن يقوم بالتحرش إما فرد أو مجموعة من الأفراد يستهدفون طفلاً أو مجموعة من الأطفال.

136 - التحرش الجنسي مشكلة تواجه الأطفال ، د . منيرة محمد الخولي ، ورقة بحثية قدمتها لمنتدى ومعرض علوم الطفولة المبكرة 1424/3/2 ، كيف تحمي ابنك من التحرش الجنسي، أحمد الغامدي ، كتاب بدون تاريخ او دار طباعة، وهو متوفر على الشبكة دون تفاصيل سوى اسم المؤلف.

أيضاً يمكن أن يقوم بالتحرش شخص ذو سلطة أو زميل أو أحد الأقرباء أو حتى من الغرباء في الأماكن العامة .

وليس من الضروري أن يكون سلوكاً جنسياً معلناً أو واضحاً، بل قد يشمل التعليقات والتلميحات والتلامس والإشارات والإيماءات والرسومات وكلها أشكال غير مرغوب فيها.¹³⁷

الفصل الثاني : الإحصائيات العالمية والعربية ووصف الظاهرة:

كعادة الباحثين المتعاملين مع مشكلات الأسرة بوجه عام والطفولة بوجه خاص في عالمنا العربي يشكون من ندرة الإحصائيات، وعدم كفايتها للدلالة الإحصائية على الموضوع، رغم خطورته أو أهميته، لكن تتوفر إحصائيات كثيرة في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ، وبعض الدول الغربية .

ففي سنة 2016 وحدها ، أثبتت وكالات خدمات حماية الطفل أنها وجدت أدلة قوية تشير إلى أن عدد 57329 طفلاً¹³⁸ كانوا ضحايا للاعتداء الجنسي، وهذه الإحصائيات من الشبكة الوطنية لمواجهة التحرش والاعتصاب وزنى المحارم والإساءة الوطنية في الولايات المتحدة الأمريكية المعروفة اختصاراً (RAINN).¹³⁹

137 - التحرش الجنسي بالأطفال وآثاره في الكبر، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في علم النفس إكلينيكي، إيمان مسعودي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم العلوم الاجتماعية، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، ص (1).

138 - United States Department of Health and Human Services, Administration for Children and Families, Administration on Children, Youth and Families, Children's Bureau. Child Maltreatment Survey, 2016 (2018).

139 - RAINN (شبكة الاعتصاب والإساءة وسفاح القرى الوطنية) هي أكبر منظمة مناهضة للعنف الجنسي في البلاد. أنشأت RAINN وتدير الخط الساخن الوطني للاعتداء الجنسي (HOPE.800.656، online.rainn.org y rainn.org/es)

وقد رصدت المؤسسة أن فتاة واحدة (1) من كل (9) فتيات، وفتى واحدًا (1) من كل (53) فتى دون سن (18) سنة قد تعرض للاعتداء الجنسي أو الاعتداء على يد شخص بالغ، وأن 82% من جميع الضحايا تحت سن (18) هم من الإناث.¹⁴⁰

كما أن الدراسات الإحصائية أثبتت أن النساء اللواتي تتراوح أعمارهن بين 16 و 19 عامًا أكثر عرضة بنسبة أكبر 4 مرات من عامة السكان للاغتصاب أو محاولة الاغتصاب أو الاعتداء الجنسي.¹⁴¹

كما تم الرصد أنه في 88% من ادعاءات الاعتداء الجنسي التي تدعمها القوانين المحلية ودعم الأطفال أن الجاني يكون ذكراً، وفي 9% من الحالات تكون أنثى، وفي 3% غير معروفين.¹⁴²

أما في العالم العربي

فعلى سبيل المثال في دولة لبنان أظهرت دراسة¹⁴³ أن المتحرش ذكر في جميع الحالات، ويبلغ من العمر 7 - 13 عامًا، وأن الضحية شملت 18 فتاة، و 10 أولاد، تتراوح أعمارهم ما بين سنة ونصف إلى 17 سنة، وأشار المؤتمر اللبناني الرابع لحماية الأحداث إلى ارتفاع عدد الاعتداءات الجنسية على القاصرين خاصة الذكور منهم على يد أقرباء لهم أو معتدين قاصرين.

بالشراكة مع أكثر من 1,000 من مقدمي خدمات الاعتداء الجنسي المحليين في جميع أنحاء البلاد وتدير خط المساعدة الآمن لوزارة الدفاع
لوزارة الدفاع الأمريكية. دفاع. كما تنفذ RAINN برامج لمنع العنف الجنسي ، ومساعدة الناجين ، وضمان تقديم الجناة إلى العدالة.

140 - Department of Justice, Office of Justice Programs, Bureau of Justice Statistics, (2000) Sexual Assault of Young Children as Reported to Law Enforcement.

141 - David Finkelhor, Anne Shattuck, Heather A. Turner, & Sherry L. Hamby, The Lifetime Prevalence of Child Sexual Abuse and Sexual Assault Assessed in Late Adolescence, 55 Journal of Adolescent Health 329, 329-333 (2014)

142 - United States Department of Health and Human Services, Administration for Children and Families, Administration on Children, Youth and Families, Children's Bureau. Child Maltreatment Survey. Exhibit 5-2 Selected Maltreatment Types by Perpetrator's Sex. Page 65. (2013).

143 - صادرة عن جريدة "لوريان لوجور" يونيو 2018

أما في السعودية فنسبة التحرش الجنسي بالأطفال مرتفعة؛ إذ يتعرض طفل واحد من بين كل أربعة لهذا الاعتداء، في دراسة¹⁴⁴ 2002 بينت أن 49.23% ممن هم في سن 14 سنة من إجمالي عدد السكان السعوديين حسب آخر تعداد وقتها تعرضوا للتحرش الجنسي وبالرغم من ذلك ما زالت نسبة الاعتداءات الجنسية على الطفل غير معروفة (سرية) وذلك بسبب تكتم الأطفال أو حتى الأسر أنفسهم خوفاً من المعتدي القريب أو حتى الفضيحة.¹⁴⁵

وفي مصر تشير أول دراسة¹⁴⁶ عن حوادث التحرش بالأطفال في مصر أعدتها الدكتورة فاتن عبد الرحمن الطنباري¹⁴⁷ إلى أن الاعتداء الجنسي على الأطفال يمثل 18% من إجمالي الحوادث المتعلقة بالطفل، وفيما يتعلق بصلة مرتكب الحادث بالطفل الضحية أشارت الدراسة إلى أن النسبة هي 35% من الحوادث يكون الجاني له صلة قرابة بالطفل الضحية، وفي 65% من الحالات لا توجد بينهم صلة قرابة .

وبالنظر إلى القصص المذكورة عن أناس تعرضوا للتحرش وهم صغار وجد أن متوسط الأعمار يتراوح بين 25 و 30 عامًا .

وفي دراسة أجرتها الدكتورة فضيلة محروس¹⁴⁸ تبين لها أن 90% من الاعتداءات جسدية ، و 82% من الاعتداءات جنسية حصلت في أماكن يفترض أن تكون آمنة للطفل وحصلت من أناس الطفل يثق فيهم . وقالت 77% من المعتدين أشخاص يفترض أن يكونوا في موضع الثقة من الطفل .

وأكدت دراسة أجرتها باحثة متخصصة¹⁴⁹ أن 80% من المعتدين على الأطفال من الأقارب .

إذن يتعرض الأولاد والفتيات إلى التحرش أو الاعتداء الجنسي بواسطة البالغين أو أطفالاً أكبر سناً منهم ويكونون غالباً مقربين منهم ويمكنهم استخدام القوة أو النفوذ معهم .

144 - الدكتورة وفاء محمود الأستاذ المساعد في جامعة الملك سعود بكلية التربية وقسم علم النفس، مجلة كلية التربية والعلوم الإنسانية ونشرت مقتطفات من البحث في جريدة الرياض السعودية 2002

145 - rapeofchildrensinnocence/home/ahsayyat-hwl-althrsh-aljnsy-bbd-aldwl

146 - قديمة نسبياً إذ انما صدرت سنة 1995، وعلى بحث الدكتورة فاتن اعتمد غالب من تكلم عن التحرش الجنسي للأطفال في الجامعات المصرية وغيرها.

147 - أستاذة الإعلام المساعد في معهد الدراسات العليا للطفولة بجامعة عين شمس.

148 - عام 2001 م.

149 - في مركز الرعاية الاجتماعية بالرياض.

وفي غالب الحالات يعرف الضحية المعتدي، وغالباً ما يكون المعتدي شخص يثق فيه الطفل أو يجبه، فيستغل المعتدي هذه الثقة أو الحب ويعري الطفل للانخراط في ممارسات لا يعرف الطفل حقيقتها وينخدع بها في البداية.

الفصل الثالث: علامات تدل على تعرض الطفل للتحرش الجنسي:

ليس من السهل دائماً اكتشاف الاعتداء الجنسي على الأطفال أو التحرش بهم؛ لأن الجناة يتخذون خطوات كثيرة وحريصة لإخفاء أفعالهم وآثارها.

وقد يسهل اكتشاف بعض العلامات أكثر من غيرها فعلى سبيل المثال ، قد يتم ملاحظة بعض العلامات التحذيرية من قبل القائم على رعاية الطفل أو أحد الوالدين ، وغالباً ما تكون إشارات تحذيرية حمراء تدل على أن الطفل يحتاج إلى رعاية طبية.

ومادامت العلامات يمكن أن تكون خفية أو غير واضحة أو تحتاج لحرص وتتبع لتبينها، فلعله يجب على الأب والأم أن يستمع إلى غرائزه وفطرته وحنده ومشاعره؛ فإذا لاحظ شيئاً غير صحيح أو أن شخصاً ما في حياة الطفل يجعله غير مرتاح - حتى إذا لم يستطع تحديد السبب - فمن المهم أن يثق بحنده ، ويواصل مراقبة علامات الإساءة ، والتحدث إلى الطفل الذي قد يتعرض للإيذاء بطرق تتناسب مع عمره.

ومن الإشارات الواضحة والتي ينبغي الالتفات إليها :

(1) العلامات الجسدية:

- إصابة الطفل بالأمراض المنقولة جنسياً. (STIs) Sexually transmitted infections).
- علامات الصدمة في المنطقة التناسلية ، مثل النزيف غير المبرر أو الكدمات أو الدم على الملابس أو الملابس الداخلية أو الملابس الأخرى.

(2) العلامات السلوكية:

- الإفراط في الحديث أو المعرفة بالمواضيع الجنسية
- الكتمان والصمت وعدم التحدث بالقدر المعتاد

- عدم الرغبة في البقاء بمفرده مع أشخاص معينين .
- الخوف من الابتعاد عن الوالدين أو المدرسين، خاصةً إذا كان هذا سلوكًا جديدًا.
- السلوكيات التراجعية أو استئناف السلوكيات التي فطموا منها ، مثل مص الإبهام أو التبول اللاإرادي.
- سلوك مفرط في الامتثال.
- سلوك جنسي غير لائق لسن الطفل
- قضاء وقت غير معتاد بمفرده.
- محاولة تجنب خلع الملابس لتغييرها أو الاستحمام.

(3) العلامات العاطفية:

- تغيير في عادات الأكل.
- تغير في المزاج أو الشخصية ، مثل زيادة العدوانية.
- انخفاض الثقة أو النظرة الذاتية.
- القلق أو الخوف المفرط.
- زيادة المشاكل الصحية غير المبررة مثل آلام المعدة والصداع.
- فقدان أو نقص الاهتمام بالمدرسة والأنشطة والأصدقاء.
- كوابيس أو خوف من الوحدة ليلاً.
- سلوكيات إيذاء النفس.

وقد تبدو أن هذه القائمة يصعب وضعها في الاعتبار عند البحث عن معاناة طفل ، ويبدو أن بعض العلامات تتعارض مع بعضها البعض ، مثل الإفراط في الامتثال أو المعارضة ، أو إظهار سلوكيات رجعية أو سلوكيات جنسية متقدمة، لكن كليهما علامة تغير حاد في السلوكيات المناسبة لعمر الطفل.

أهم شيء يجب مراعاته عند البحث عن علامات الاعتداء الجنسي على الأطفال هو مراقبة التغييرات المفاجئة في السلوك، ويجب على المقربين من الطفل اعتماد حدسهم والثقة به وعدم تجاهل هذه المشاعر التي تفيد أن شيئاً ما ليس بخير أو أن الطفل يعاني أو حدث شيء ما.

أما إذا أخبر الطفل والديه أو معلميه أو المشرفين عليه أن شخصاً ما يجعله غير مرتاح ، حتى لو لم يتمكن من إخبارهم بأي شيء محدد ، فلا بد من اعتماد قول الطفل وحمائته وتتبع أصل الموضوع ومعرفة تفاصيله. وتختلف آثار الاعتداء الجنسي والتحرش من طفل لآخر، وقد تستغرق عملية الشفاء من الاعتداء الجنسي والتحرش وقتاً طويلاً ، ومن المفهوم أن يشعر الأهل بالإحباط والقلق والتوتر. ويمكن للأطفال الذين تم التحرش بهم أو الاعتداء عليهم أن يتفاعلوا بعدة طرق، وبعض ردود الفعل هذه قد تسبب عدم الراحة أو تفاجئ أفراد الأسرة.

- الغضب منهم لعدم حمايتهم لي.
- الغضب منهم لأنهم لم يخرجوا هذا الفرد من الأسرة.
- الثقة في شخص آخر غير الأهل.
- التوقف عن التحدث المطلق عن حادثة التحرش.
- الحديث عن التحرش دومًا وفي كل وقت وأمام كل أحد.

الفصل الرابع : المشكلات التربوية الناجمة عن تعرض الطفل للتحرش الجنسي.:

الاعتداء الجنسي على الطفل هو مشكلة مستترة، وذلك هو سبب الصعوبة في تقدير عدد الأشخاص الذين تعرضوا لشكل من أشكال الاعتداء الجنسي في طفولتهم. والأطفال والكبار على حد سواء يبدون الكثير من التردد في الإفادة بتعرضهم للاعتداء الجنسي والأسباب عديدة قد يكون أهمها السرية التقليدية النابعة عن الشعور بالخزي الملازم عادة لمثل هذه التجارب الأليمة للضحية ومن ثم الرغبة في حمايته من

ومن الأسباب الأخرى صلة النسب التي قد تربط المعتدي جنسيا كما في بحثنا هذا، وما يتضمن هذا من الملاحقة التضائية أو الفضيحة التي قد تستتبع الإفادة بجرمه والتصريح بالعار.

وأخيرا

فإن حقيقة كون معظم الضحايا صغاراً تلعب دوراً كبيراً أيضاً في السرية التي تكتنف هذه المشكلة. ويعتقد معظم الخبراء أن الاعتداء الجنسي هو أقل أنواع الاعتداء أو أسوأ المعاملة انكشافاً ورغم كل هذا ، فقد أظهرت الدراسات دائماً أن الأطفال يفشون السر ويصرحون بحدوث جريمة الاعتداء الجنسي. وحتى عندما يفعلون، فإنهم قد يواجهون عقبات إضافية.

التأثير السلوكي للتحرش على الطفل:

عند تعرض الطفل للتحرش يشعر بالخجل والذنب وقد يخاف من إخبار أي أحد عما تعرض له، وخاصة إن كان من قام بهذا التحرش أحد المقربين من العائلة أو من العائلة نفسها، لذا يمكن أن تظهر على الطفل بعض التأثيرات السلوكية، ومن هذه السلوكيات الآتي:

- الابتعاد عن الأصدقاء: يولد التحرش الشعور بالخجل لذا يتجه الطفل إلى الابتعاد عن من هم حوله حتى لا يظهر عليه آثار التحرش، وأيضاً رغبة منه بالاختلاء بنفسه. العدوان: يولد التحرش الشعور بالغضب الذي يؤدي إلى العدوان فقد يغضب ويؤذي المقربين منه بسهولة وبسرعة من دون أي تفكير.¹⁵⁰

- الغياب المتكرر عن المدرسة: يغيب الطفل بشكل متكرر عن المدرسة، خاصة إن كان التحرش يحدث له هناك، وهو من أسباب ضعف التحصيل الدراسي.

- إيذاء الذات: يمكن أن يلجأ الطفل المتحرش به إلى إيذاء ذاته بشكل متكرر، وقد يصل ذلك إلى الانتحار رغبة منه في إنهاء هذه المعاناة.¹⁵¹

- القيام بحركات جنسية: بسبب التحرش فإن الطفل قد يقوم دون وعي بعمل بعض الحركات الجنسية كالعادة السرية، وقد يتلفظ بألفاظ جنسية قد سمعها من المتحرش.¹⁵²

التأثير النفسي للتحرش على الطفل:

يختلف الأثر الذي يسببه التحرش على نفس الطفل بسبب اختلاف درجة التكرار، فكلما ازدادت عدد مرات التحرش ازداد معه التشوه في شخصية الطفل، وأيضاً العلاقة بين المتحرش والطفل، فكلما زادت درجة القرابة ازداد سوء الأثر النفسي الذي يتركه كأن يكون من أحد

150 - مقارنة بين الذكور والإناث المتحرشين جنسياً بالأطفال، دورية علمية، 2009 عينة على المتحرشين جنسياً بالأطفال.

151 - كيف توعي طفلك ضد التحرش الجنسي؟، www.ida2at.com، 2020.

152 - مرجع سابق، التحرش الجنسي بالأطفال.

والوالدين أو الأجداد أو المعلم أو أحد الأقرباء فهذا يسبب الصدمة النفسية والشعور بالاغتراب داخل الأسرة فهو يسبب أضرارًا نفسية أكثر من المتحرش الغريب.¹⁵³

ويضطرب مفهوم الطفل عن الأسرة وأيضًا يصبح لديه تشوه في المعايير الأخلاقية، ومن الأمور التي تؤثر بشكل كبير على نفسية الطفل هي أحداث الاعتداء، وعلى غير المعتاد فإنّ التحرش بلطف قد يترك أثرًا نفسيًا أكبر من التحرش العنيف؛ لأنّ الطفل يصاب بحالة من الارتباك والشعور بالذنب الشديد.¹⁵⁴

ومن الأضرار النفسية التي يتعرض لها الطفل عدم الثقة بالنفس والآخرين والشعور بالقلق الدائم، ولوم النفس وجلد الذات، ومن الجدير بالذكر أنّ المجتمع يُسهم في زيادة حدة هذه الآثار حينما يُلقي اللوم على الطفل لأنّه لم يحم نفسه أو أنّه لم يتحدث عمّا يحدث معه منذ البداية فيكون متواطئًا في الجرم مع المتحرش، وهذا يجعل الطفل يفقد الثقة في أسرته ومجتمعها، فينشأ الطفل وهو يحمل شخصية مهزومة ومهزوزة.¹⁵⁵

فيمكن إجمال المشكلات الناجمة من أعراض الاعتداء الجنسي:

1. إبداء الانزعاج أو التخوف أو رفض الذهاب إلى مكان معين أو البقاء مع شخص معين.
2. إظهار العواطف بشكل مبالغ فيه أو غير طبيعي.
3. التصرفات الجنسية أو التولع الجنسي المبكر.
4. الاستخدام المفاجيء لكلمات جنسية أو لأسماء جديدة لأعضاء الجسم الخاصة.
5. الشعور بعدم الارتياح أو رفض العواطف الأبوية التقليدية.
6. مشاكل النوم على اختلافها: القلق، الكوابيس، رفض النوم وحيداً أو الإصرار المفاجيء على إبقاء النور مضاء.
7. التصرفات التي تنم عن نكوص: مثلاً مص الإصبع، التبول الليلي، التصرفات الطفولية وغيرها من مؤشرات التبعية.

153 - التحرش الجنسي بالأطفال: الوقاية من خلال السياسة العامة والتعليم، روث ماكنجوي رسالة ماجستير مترجمة، دراسة حالة ظاهرة

التحرش الجنسي بالأطفال، 2012

154 - كيف يتعامل الأهل عند تعرض الطفل للتحرش؟"، www.ida2at.com، 2020- بتصرف يسير.

155 - "التحرش الجنسي بالأطفال"، www.saaid.net، 2020. بتصرف.

8. التعلق الشديد أو غيرها من مؤشرات الخوف والقلق.
9. تغير مفاجئ في شخصية الطفل.
10. المشاكل الدراسية والمفاجئة والسرحان
11. الهروب من المنزل.
12. الاهتمام المفاجيء أو غير الطبيعي بالمسائل الجنسية سواء من ناحية الكلام أو التصرفات.
13. إيلاغ الطفل بتعرضه لاعتداء جنسي من أحد الأشخاص.
14. العجز عن الثقة في الآخرين أو محبتهم.
15. السلوك العدواني أو المنحرف أو حتى غير الشرعي أحيانا.
16. ثورات الغضب والانفعال الغير مبررة.
17. سلوكيات تدمير الذات.
18. تعمد جرح النفس.
19. السلوك السلبي أو الانسحابي.
20. مشاعر الحزن والإحباط أو غيرها من أعراض الاكتئاب.
21. تعاطى المخدرات أو الكحول.¹⁵⁶

156 - دراسة التحرش الجنسي بالأطفال، دكتور محمد مرسى محمد مرسى، كلية التربية بجامعة الأزهر، بحث محكم منشور في مراكز التنمية الأسرية .الشارقة.2017.

الفصل الخامس: السلوكيات السلبية من طرف الأهل في التعامل مع الطفل المتحرش به:

عندما يستجيب أفراد الأسرة بطرق سلبية وغير واعية قد تضيف ألماً جديداً إلى الجروح التي تسبب بها التحرش، فيصبح الجرح مرتين، مرة من المتحرش، والثانية من الطريقة السلبية التي تعاطى بها الأهل مع طفلهم المتحرش به، ويصبح الشفاء من الإساءة أكثر صعوبة عندما يتعرض المرء لإصابة نفسية مرة أخرى بشكل متكرر، وبدون ضمان أن الأمور سوف تتحسن إضافة إلى هذا الألم .

غالباً ما تعكس ردود أفعال أفراد الأسرة جوانب من الإساءة نفسها، مما يؤدي بالناجين إلى الشعور بالقهر والإسكات واللوم والعار، وقد يتحملون هذا الألم وحدهم، غير مدركين أن حالتهم شائعة بشكل مأساوي.¹⁵⁷

ومن ردود الأفعال السلبية من طرف الأهل، ما يمكن إجماله فيما يأتي¹⁵⁸:

1. إنكار أو التقليل من الإساءة:

العديد من المتحرش بهم لا يتلقوا اعترافاً بادعائهم بالتحرش، قد يتهمهم أفراد الأسرة بالكذب أو المبالغة أو امتلاك ذكريات كاذبة، لا سيما لو كان المتهم أو المجرم المتحرش فرداً من الأسرة أو المعارف.

وهذا النفي يضيف لواقع الناجي إهانة شديدة تزيد من الضرر العاطفي لأنه يعيد التأكيد على التجارب السابقة للشعور بأنه غير مسموع، وغير محمي، ومقهور، مثلما فعل معه المتحرش.

وبالتالي فإن الاعتراف لا يعني بالضرورة أن العائلات تفهم أو ترغب في التعرف على تأثير الاعتداء الجنسي، حتى عندما يعتذر الجناة أو يبرروا سلوكياتهم، وقد يتم الضغط على الأطفال الناجين حتى لا يتحدثوا عن إساءة معاملتهم.

2. لوم الطفل المتحرش به والتهديد بفضحه أو تخويفه من الكلام:

157 - ولعل هذا أكبر سبب في امتناع المتحرش بهم من الأطفال والمراهقين والبالغين عن التصريح بما يتعرضون له.

158 - غالب ما في هذا الفصل من تجربة الباحثة أثناء عملها في المراكز النفسية التخصصية في العالم العربي والأوروبي.

إن إلقاء اللوم على الطفل المتحرش به ، سواء أكان ذلك علنيًا أم خفيًا ، هو رد فعل شائع للأسف، ويؤدي هذا إلى تحويل تركيز الأسرة إلى سلوك الناجي بدلاً من المجرم، وللأسف الشديد أن هذا الموقف جزء لا يتجزأ من وجهة النظر المجتمعية ، حيث يمكن استخدام لوم الضحية كأداة لإبقاء الناجين هادئين. نظرًا لأن ضحايا الاعتداء الجنسي غالبًا ما يلومون أنفسهم ويستوعبون العار، سواء أكانوا صغارًا أم كبارًا ، فمن السهل أن تدمرهم هذه الانتقادات.

ومن نافلة القوم رغم الأهمية أن يفهم الناجون أنه لا يوجد شيء يمكن لأي شخص أن يفعله يجعلهم يستحقون الإساءة.

3. إخبار الأطفال المتحرش بهم بالمضي قدمًا والتوقف عن التركيز على الماضي:

وهذه رسالة مدمرة ومتخلفة؛ فمن أجل الشفاء ، يحتاج هؤلاء الأطفال إلى الدعم أثناء استكشافهم للصددمات ، ودراسة آثارها ، والعمل من خلال مشاعرهم، ولا يتم ذلك إلا من خلال التعامل مع الإساءة ، حينها يبدأ الماضي بسلبيته وذكره المقيتة في فقدان قوته ، مما يسمح لهؤلاء الأطفال بالمضي قدمًا.

4. إسكات أصواتهم:

غالبًا ما ترفض العائلات أو تتجاهل قصص هؤلاء الأطفال عن الإساءة بالإضافة إلى مشاعرهم واحتياجاتهم وأفكارهم وآرائهم.

وقد يُتهمون بمعاملة أفراد الأسرة بشكل سيء لأنهم يلفتون الانتباه إلى الإساءة ، أو يعبرون عن الأذى والغضب ، أو يؤكدون الحدود بطرق لم يستطعوا القيام بها كأطفال. غالبًا ما يُطلب منهم التوقف عن إثارة المشاكل ، عندما يشيرون في الواقع إلى المشاكل التي حدثت بالفعل.

5. نبذ الطفل بعد تصريحه:

تترك بعض العائلات هؤلاء الأطفال خارج المناسبات العائلية والتجمعات الاجتماعية ، حتى عندما يوجد المعتدون عليهم.

هذا الفعل له تأثير (مقصود أو غير مقصود) على معاقبة الطفل على جعل الآخرين في الأسرة غير مرتاحين ، وهو مثال آخر على نوع التفكير المقلوب الذي تنخرط فيه العائلات غير الصحية.

6. رفض "التحيز":

قد يدعي أفراد الأسرة أنهم لا يريدون الانحياز بين الطفل الضحية والشخص الجاني لو كان قريبًا مثل الأخ أو العم أو الخال، وهذا خطأ وجريمة أخرى؛ فإن البقاء على الحياد عندما يلحق شخص ما ضررًا بشخص آخر هو اختيار أن تكون سلبياً في مواجهة المخطئ والخطأ. إن الأطفال الذين تركوا في الماضي دون حماية ، يحتاجون ويستحقون الدعم لأنهم يحاسبون المعتدين ويحمون أنفسهم والآخرين من المزيد من الأذى. قد يحتاج أفراد الأسرة إلى تذكير أن المعتدي قد ارتكب أعمالاً مؤذية ضد طفلهم، وبالتالي فإن الحياد ليس مناسباً.

7. الضغط على الطفل الناجي للتصالح مع المعتدي عليه:

لا ينبغي أبداً مطالبة الناجين بمواجهة المتحرشين بهم، خاصة من أجل مشاعر الآخرين أو من أجل التخلص من الإساءة تحت البساط. إن الضغط عليهم للقيام بذلك هو تكرار واضح لإساءة استخدام السلطة التي مورست عليهم وقت الانتهاك ، وبالتالي فهو مدمر ولا يغتفر.

ولو رصدنا الأسباب التي تدفع الأسر للتعامل بطرق سلبية، فلعلها تكون محصورة في :

- الحاجة إلى الحفاظ على إنكارهم بشأن الاعتداء الجنسي.
- القلق بشأن مظهر الأسرة .
- الرهبة أو الخوف من الجاني.
- المضاعفات التي تسببها المشاكل الأخرى داخل الأسرة ، مثل العنف المنزلي أو تعاطي المخدرات.
- الشعور بالذنب لعدم التعرف على الإساءة في ذلك الوقت أو الفشل في إيقافها قد يساهم أيضاً في إنكار أفراد الأسرة.

- قد يكون للبعض تاريخ من الإيذاء في ماضيهم الخاص لا يستطيعون أو مستعدون للتعامل معه. وقد يكون بعض أفراد الأسرة هم أنفسهم الجناة.

الفصل السادس: السلوكيات الواجبة الإيجابية في التعامل مع الطفل المتحرش به:

لا يوجد رد فعل "صحيح" من طرف الأهل أو الوالدين عند سماع أن طفله قد تعرض لسوء المعاملة. قد يواجه مجموعة واسعة من ردود الفعل والمشاعر التي قد تؤثر على جوانب مختلفة من حياته، وتتضمن بعض ردود الفعل الشائعة من الآباء ما يلي:

1- الغضب؛ قد يشعر بالغضب من المعتدي لأنه أساء لطفله أو حتى بالإحباط من طفله لعدم إخباره بذلك.

ومن الممكن أيضًا أن يشعر بالغضب من طفله لإفصاحه عن الإساءة؛ إذ ليس من السهل سماع الأخبار ، ولكن من المهم أن يتذكر أنه ليس خطأ طفله.

2- القلق؛ قد يكون قلقًا بشأن الاستجابة بالطريقة "الصحيحة" لطفله أو التنقل في العلاقات الأخرى في حياته ، خاصةً إذا كانت لديه علاقة مع المعتدي.

3- الخوف؛ اعتمادًا على ظروف عائلته ، قد يخشى أن يجد المعتدي طريقة لإيذاء طفله مرة أخرى أو يقلق بشأن رعاية أسرته بمفرده.

4- الحزن؛ قد يشعر بالحزن على طفله أو عائلته أو حتى على نفسه، فعندما يفصح الطفل عن اعتداء جنسي ، فسوف يتسبب ذلك في تغييرات في حياة الأهل. لا بأس أن ينزعجوا من هذه التغييرات التي قد تنجم عن هذا الكشف.

5- الصدمة؛ إذ لم تكن لديه أدنى فكرة عن حدوث الضرر ، فقد يندهش جدًا لسماع ما حدث.

ومن المهم أن يضع في اعتباره أنه لا يوجد رد فعل "صحيح" واحد ، وأن جميع ردود الفعل والاستجابات طبيعية، فيمكن أن يساعد تحدث الأهل والطفل مع متخصص حول هذه الأفكار والمشاعر في حل هذه المشكلات.

ويمكن أن يؤدي الدعم المهني أيضًا إلى نتائج صحية طويلة وقصيرة المدى للأسرة والطفل المتحرش به. فالطفل يعتمد على أهله ولا سيما والديه في الحصول على الدعم النفسي والعاطفي ، فلا بد من وضع سلامة الطفل أولاً ، ولكن على الأهالي كذلك أن يجد كل واحد منهم طريقة سوية للتعامل مع مشاعره الخاصة السلبية والمؤلمة الناتجة عن التحرش بولداهم .

- أنا أحبك.
- ما حدث ليس خطأك.
- سأفعل كل ما بوسعي للحفاظ على سلامتك.

هي العبارات الثلاث التي يحتاجها الطفل من والديه إذا تعرض للتحرش أو الإساءة الجسدية.

الفصل السابع : لو كان المتحرش من الأسرة أو معروفاً لها:

إن اكتشاف أن الطفل قد تعرض للأذى على يد شخص تعرفه وتثق به يمكن أن يمثل بعض التحديات الإضافية كأسرة.

قد تواجه الأسرة وأفرادها مجموعة من المشاعر الخاصة بهذا الموقف والتي لا يمكن للآخرين الارتباط بها بفهمها أو التعامل معها.

ولا يحق لأي شخص إبطال ما يشعر به الأب أو الأم أو الأسرة بأكملها، ولكن من المهم إيجاد طريقة لإدارة هذه المشاعر من أجل إعطاء الأولوية لسلامة الطفل.

وقد تظهر بعض المشاعر السلبية (المفهومة) من طرف الأسرة تجاه حالة التحرش لواحد من أطفالهم، فمن الممكن أن ينمو :

- شعور الغضب تجاه الطفل بسبب حالة التشويش والاضطراب الحاصلة في الأسرة خاصة لو كان المتحرش هو زوج الأم، أو زوجة الأب، أو أحد الأعمام والأخوال.
- شعور الغضب تجاه الجاني لإيذاء الطفل وخيانة الثقة.
- شعور الذنب لأن الأب أو الأم أو الأخ لم يكن يعلم أن الإساءة تحدث أو لأنه لا يزال يشعر بمشاعر تجاه الشخص الذي أساء للطفل بسبب القرابة أو الصلة.
- شعور التضارب والحيرة إذا كان الشخص الذي أساء للطفل هو طفل آخر من أطفال الأسرة ، فقد يشعر بالتضارب حول كيفية تقديم الدعم للطفل الذي تعرض للأذى بينما لا يزال يحاول حماية الطفل الآخر وعلاجه.
- شعور فقدان الثقة في حكمه أو قدراته كوالد أو والدة.
- شعور الخسارة لفرد الأسرة الذي أساء للطفل عندما تبدأ العلاقات بالتفسخ .

الفصل الثامن: كيفية معالجة الطفل المتحرش به نفسيًا وتربويًا:

تتمثل الخطوة الأولى في مساعدة إساءة معاملة الأطفال في التعامل بشكل صحيح مع ادعاءات الطفل المعتدى عليه.

من الضروري التعامل مع هذا الموقف بشكل صحيح لجعل الطفل يشعر بالأمان الكافي لإبلاغ السلطات عن إساءة معاملة الطفل.¹⁵⁹

إن إساءة التعامل مع صرخة الطفل يمكن أن تجعل الطفل يتراجع ؛ مما يجعل مساعدة الطفل المعتدى عليه مستحيلة.

فإذا أبلغ طفل ما الأهل أنه تعرض للإساءة فعلى الأب أو الأم أن :

- يبقى هادئًا.
- يطمئن الطفل أنه لم يرتكب أي خطأ ، فهذا ليس ذنبهم ولن يعاقبوا.
- يطمئن الطفل أنه يصدقه وأنه مسرور لثقتته فيه وصدقه معه.
- يقدم الراحة ، ويخبر الطفل أنه سوف يساعد.
- يتأكد من سلامة الطفل وبقية أفراد أسرته.

ولابد أن يفهم الأب أو الأم أن الطفل قد يعبر عن نفسه بلغة غير مناسبة لسنه، وقد لا يعرف المصطلحات المناسبة لأجزاء الجسم أو أفعال معينة.

فبمجرد أن يخبر الطفل المعتدى عليه عن الإساءة ، من المهم البدء في التركيز على كيفية مساعدته .

وتحتاج مساعدة إساءة معاملة الأطفال لاسيما من التحرش والاعتداء الجنسي إلى مراعاة الإصابات الجسدية والنفسية وحتى الروحية بالطبع.

وهذا يعني على الأرجح أن فريقًا من الأشخاص يحتاج إلى المشاركة في مساعدة الطفل الذي تعرض للإساءة، ومن المرجح أن يشمل الأشخاص في هذا الفريق:

¹⁵⁹ - وهي الخطوة الأصح والأهم ، والمراعاة في علمنا العربي على التوعية والتوجيه والحماية للأسر للجرأة على التبليغ على هذه الجرائم.

- الأصدقاء والعائلة، وهم رأس الفريق وأهم أشخاص فيه.
- طبيب نفسي للأطفال أو متخصص آخر في الصحة العقلية أو معالج نفسي متخصص.
- طبيب عام.
- عالم دين متخصص رفيق .

وقد تحتاج أسر الطفل المعتدى عليه أيضاً إلى خدمات العلاج الخاصة بهم للمساعدة في إيصال الأسرة خلال حدث صعب يمكن أن يؤثر على الجميع.

وقد تشمل العلاجات التي تساعد الأطفال المعتدى عليهم وأسرههم ما يلي:

- برامج مدرسية متخصصة مع الاختصاصي النفسي أو الاجتماعي.
- برامج متخصصة في المستشفيات المحلية.
- البرامج السكنية التي يقيمها سكان منطقة ما كمنظمات المجتمع المدني.
- العلاج في المنزل من الأسرة أو بوجود متخصص.
- العلاج في المركز الطبي أو النفسي مع المتخصص النفسي.
- العلاج الجماعي والأسري، وهو مهم للغاية.¹⁶⁰

ولابد من الإشارة أن بعض الإحصائيات الغربية تفيد أن كل 9 دقائق ، تستجيب السلطات الحكومية الأمريكية لبلاغ عن الاعتداء الجنسي على الأطفال.¹⁶¹

ويمكن أن يشمل الاعتداء الجنسي على الأطفال الاتصال الجنسي مع طفل ، ولكنه قد يشمل أيضاً إجراءات أخرى ، مثل الكشف عن الذات ، أو مشاركة الصور البديئة ، أو التقاط صور أو مقاطع فيديو

¹⁶⁰ – الاستغلال الجنسي للأطفال في مختلف أنحاء العالم، دراسة ميدانية علاجية أصدرتها منظمة الصحة العالمية 2006م.

¹⁶¹ – U.S. Department of Health & Human Services, Administration for Children and Families, Administration on Children, Youth and Families, Children's Bureau. (2019). Child Maltreatment 2017.

غير لائقة له. طفل. يمكن أن يكون لهذه الجرائم تأثير خطير على حياة الطفل ونموه ، وغالبًا ما تستمر في التأثير عليها لاحقًا في الحياة.

غالبًا ما يكون تعلم العلامات التحذيرية للاعتداء الجنسي على الأطفال هو الخطوة الأولى لحماية طفل في خطر.

فينبغي الحذر من شخص بالغ يقضي وقتًا مع الأطفال ويظهر السلوكيات التالية:

- لا يحترم الحدود ولا يستمع عندما يقول لهم أحدهم "لا".
- يشارك في اللمس الذي تعلم الطفل بأنه تلامس غير مرغوب فيه.
- يحاول أن يكون صديقًا للطفل بدلاً من القيام بدور راشد في حياة الطفل.
- يتحدث مع الأطفال عن مشاكلهم الشخصية أو علاقاتهم بدون حدود.
- يقضي وقتًا منفردًا مع الأطفال خارج دورهم في حياة الطفل أو يختلق أعداءً ليكون وحيدًا مع الطفل.
- يعرب عن اهتمام غير معتاد بالنمو الجنسي للطفل ، مثل التعليق على الخصائص الجنسية أو إضفاء الطابع الجنسي على السلوكيات الطبيعية
- يعطي الطفل هدايا بدون مناسبة أو سبب وباستمرار.
- يقضي الكثير من الوقت مع الطفل أو أي طفل آخر يعرفه.
- يقيد وصول الطفل إلى البالغين الآخرين.¹⁶²

162 – دور الخدمة الاجتماعية في التعامل مع ظاهرة التحرش الجنسي بالأطفال ، د. صالح أحمد هاشم، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة الفيوم 2016 م. ص 64-65 بتصرف يسير.

خاتمة

إن كان غالبًا ما يكون مرتكبوا الاعتداء الجنسي والتحرش على الأطفال مرتبطين بالضحية أو قريبين منه بطريقة أو أخرى، فإن آثار الاعتداء الجنسي على الأطفال يمكن أن تكون طويلة الأمد وتؤثر على الصحة العقلية والنفسية للضحية الطفل الذي لا حول له ولا قوة .

وضحايا الاعتداء والتحرش الجنسي من الأطفال هم أكثر عرضة من غير الضحايا لمواجهة تحديات الصحة النفسية التالية: 163

- حوالي 4 مرات أكثر عرضة للإصابة بأعراض تعاطي المخدرات.
- حوالي 4 مرات أكثر عرضة للإصابة باضطراب ما بعد الصدمة مثل البالغين.
- حوالي 3 مرات أكثر عرضة للإصابة بنوبة اكتئاب شديدة مثل البالغين.

إن علاقات الأطفال مع آبائهم وأشقائهم وعائلاتهم ، ثم أقرانهم والبالغين الآخرين مثل المدرسين مهمة للغاية.

وفي حين أنه يمكن أن يكون لها تأثير إيجابي جدًا على صحتهم النفسية والعقلية ونموهم الحيوي ، لكن يمكن أن يكون لهم تأثير سلبي للغاية عليهم وعلى المحيطين إن كانت علاقات سلبية أو ابتزازية أو مضطربة، والأسوأ لو طالها التحرش.

ومن المهم التنبيه أن العلاقات السيئة داخل العائلات والأقران عاملاً شائعاً لسلوكيات إيذاء الذات، بل وحدوث مشاكل كثيرة عند المراهقة كالمخدرات والبلطجة وغيرها.

العلاقات الأسرية والاجتماعية مهمة على العديد من المستويات الإنسانية ، بل وعلى مدار الحياة. فإذا تمكنا من التأكد من أن الأطفال والمراهقين والشباب قادرون على تكوين علاقات إيجابية والحفاظ عليها

H.M Zinzow, H.S. Resnick, J.L. McCauley, A.B. Amstadter, K.J. Ruggiero, & - 163
D.G. Kilpatrick, Prevalence and risk of psychiatric disorders as a function of variant rape
histories: results from a national survey of women. Social psychiatry and psychiatric
(epidemiology, 47(6), 893-902 (2012).

بطرق مفيدة لهم، وتشمل الحماية والرعاية ، فإن ذلك سيساعدهم على بدء حياتهم الإيجابية وبطريقة تدفعهم للسعادة والاطمئنان وتحقيق الأهداف.

هذا مهم للأطفال أنفسهم، ولكن من الروعة أنه أيضًا مهم للوالدين وللعائلة والأصدقاء والمجتمعات التي يعيشون فيها.

والولد أمانة ونعمة مما يدفع الوالد والوالدة لأن يؤمن كل واحد منهما بوجود المحافظة عليها وأداء حقها والوفاء بها ، واستشعار عظيم قدرها ، فالولد أمانة ، بل أصل الزواج أنه أمانة عظيمة عند الله تعالى ، ثم عند الناس ، فالأمانة تظل البيوت والشعور بها يدفع الجميع للمحافظة عليها وحمايتها، ومتابعة حالة الطفل من السلوكيات الهامة والحيوية ؛لأن العملية التربوية مستمرة وطويلة الأمد، ولا يكفي فيها التوجيه العابر مهما كان نافعًا ومفيدًا ، فلا بد معه من الاستمرار والاهتمام.

فإنه لا ينبغي اعتبار الطفل شيئًا مفروغًا منه وليس نعمة من الله تعالى ، وهذا خلل تربوي ، وجرمة يكتشفها الولد فورًا ويشعر أنه غير مرحب به ، ولا مرغوب في وجوده، لا سيما في جريمة التحرش والاعتداء الجنسي، حتى يدرك أن والديه يتعاملان معه أو أحدهما ، على أنه عبء وعبء ثقيل عليهما ، وهذا المسكين الذي يحتاج إلى الحنان والعاطفة والمودة ، والحماية والرعاية والاهتمام، فيجد منهما الإهمال وعدم الاكتراث به وباحتياجاته النفسية، مما يملأ عقل الطفل ونفسيته بجملة من الاضطرابات النفسية والجفوة العاطفية، فتتسع الفجوة ويضعف الإثراء النفسي ، ويحدث ما لا يحمد عقباه ، فينبغي على الوالدين شكر نعمة الله تعالى ، ورعاية هذه النعمة، والاعتناء بها ، نفسيًا وعاطفيًا ، قبل الاهتمام بطعامه وثيابه.

والله تعالى أعلم

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد،

وعلى آله وأصحابه أجمعين،

والحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر

U.S. Department of Health & Human Services, Administration – for Children and Families, Administration on Children, Youth and Families, Children’s Bureau. (2019). Child Maltreatment 2017 Bureau. Child Maltreatment Survey. Exhibit 5–2 Selected .(Maltreatment Types by Perpetrator’s Sex. (2013

David Finkelhor, Anne Shattuck, Heather A. Turner, & Sherry L. Hamby, The Lifetime Prevalence of Child Sexual Abuse and Sexual Assault Assessed in Late Adolescence, 55 Journal of (Adolescent Health 329, 329–333 (2014

Department of Justice, Office of Justice Programs, Bureau of Justice Statistics, Sexual Assault of Young Children as Reported to .(Law Enforcement (2000

H.M Zinzow, H.S. Resnick, J.L. McCauley, A.B. Amstadter, K.J. Ruggiero, & D.G. Kilpatrick, Prevalence and risk of psychiatric disorders as a function of variant rape histories: results from a national survey of women. Social psychiatry and psychiatric epidemiology, 47(6), 893–902 (2012

rapeofchildrensinnocence/home/ahsayyat-hwl-althrsh-aljnsy-
bbd-aldwl

United States Department of Health and Human Services, Administration for Children and Families, Administration on

Children, Youth and Families, Children's Bureau. Child
(2018) Maltreatment Survey, 2016).

United States Department of Health and Human Services,
Administration for Children and Families, Administration on
Children, Youth and Families, Children's Bureau. Child
Maltreatment Survey. Exhibit 5-2 Selected Maltreatment Types
(2013). Page 65. (by Perpetrator's Sex).

الاستغلال الجنسي للأطفال في مختلف أنحاء العالم، دراسة ميدانية علاجية أصدرتها منظمة الصحة العالمية
2006م.

التحرش الجنسي بالأطفال وآثاره في الكبر، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس إكلينيكي،
إيمان مسعودي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم العلوم الاجتماعية، جامعة العربي بن مهيدي أم
البواقي.

التحرش الجنسي بالأطفال: الوقاية من خلال السياسة العامة والتعليم، روث ماكنجوي رسالة ماجستير
مترجمة، دراسة حالة ظاهرة التحرش الجنسي بالأطفال ، 2012
التحرش الجنسي بالأطفال، www.saaid.net، 2020.

التحرش الجنسي مشكلة تواجه الأطفال ، د . منيرة محمد الحولي ، ورقة بحثية قدمتها لمنتدى ومعرض
علوم الطفولة المبكرة 1424/3/2 ، كيف تحمي ابنك من التحرش الجنسي، أحمد الغامدي ، كتاب
بدون تاريخ او دار طباعة، وهو متوفر على الشبكة دون تفاصيل سوى اسم المؤلف.

جريدة "لوريان لوجور" يونيو 2018

دراسة التحرش الجنسي بالأطفال، دكتور محمد مرسى محمد مرسى، كلية التربية بجامعة الأزهر، بحث محكم
منشور في مراكز التنمية الأسرية . الشارقة. 2017.

دور الخدمة الاجتماعية في التعامل مع ظاهرة التحرش الجنسي بالأطفال ، د. صالح أحمد هاشم، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة الفيوم 2016 م.

دور الخدمة الاجتماعية في التعامل مع ظاهرة التحرش الجنسي بالأطفال ، د. صالح أحمد هاشم، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة الفيوم 2016 م.

كيف توعي طفلك ضد التحرش الجنسي؟"، www.ida2at.com، 2020.

كيف يتعامل الأهل عند تعرض الطفل للتحرش؟"، www.ida2at.com، 2020.

مقارنة بين الذكور والإناث المتحرشين جنسياً بالأطفال، دورية علمية، 2009 عينة على المتحرشين جنسياً بالأطفال.

تقرير المتقى الأول

لكلية علم النفس الإسلامي

إنطلاقاً من رؤية كلية علم النفس الإسلامي والتي هي: أن تصبح كلية رائدة في التميز والإبداع، والتمكن من تنفيذ برامج علمية أكاديمية عملية متعلقة بالتخصص المطلوب، مع الجانب البحثي المتقدم، ومع تقديم الخدمة المجتمعية المتعلقة بالرقى والنمو.

والتي تمثلت أهدافها في:

تخريج خريجي مؤهلين تأهيلاً علمياً ومهنياً في مجال علم النفس الإسلامي وملمين بالأسس والمفاهيم العلمية المتعلقة بتشخيص وتحليل المشكلات النفسية والتربوية وعلاجها، كما يملكون الأدوات المعرفية والبحثية للاستمداد من المصادر الأصيلة لاكتشاف نظريات وتقنيات تساعد في التعامل مع المشكلات النفسية في العصر الحالي، ولديهم الثقة بالنفس والاعتماد على الذات والتحلي بالتفكير العلمي السليم، ولديهم القدرة على التواصل مع الآخرين والتعامل مع المواقف المختلفة بشكل متزن، و مزودين بالعلم والمعرفة والمهارة من خلال تنفيذ الخطة الدراسية وحاصلين على بكالوريوس علم النفس الإسلامي.

ولأن الجانب البحثي هو واحد من أهداف هذه الكلية، وتسعى الكلية لأن تبني ذلك لدى طلابها منذ بداية إلحاقهم .

عملت الكلية على سلسلة من الملتقيات، شهرية، تهدف فيها إلى تزويد الطلاب بمهارات البحث والعرض وتمنحهم الفرصة منذ بداية فصلولهم الدراسية لأن يقوموا بعرض أوراق علمية ضمن المحتويات العلمية التي يقوموا بدراستها داخل الصفوف الدراسية، وقامت بالفعل بالملتقى الأول وذلك في الثامن والعشرين من شهر أكتوبر للسنة الجارية.

عقدت كلية علم النفس الإسلامي المؤتمر الأول تحت عنوان علم النفس الإسلامي تأصيل وتحديات وكان شعاره منا وإلى العالم.

جمع الملتقى بين محاوره والتي هي:

الأصول العلمية لعلم النفس الإسلامي.

شبهات وردود في علم النفس الإسلامي.

جهود السلف في علم النفس الإسلامي الراغب الأصفهاني أنموذجًا.

جهود علماء العصر في علم النفس الإسلامي مالك بدري أنموذجًا.

كلية علم النفس الإسلامي طموح وآمال.

وربط بين تلك المحاور وبين الواقع الذي يعيشه العالم الإسلامي مما يحدث في قطاع غزة، حيث قدم أعضاء هيئة تدريس الكلية مداخلات مختلفة حول الأحداث الراهنية بدأ بها عميد الكلية، ومن ثم قدم مداخلة تفاعل وبشارات النصر من عضو هيئة التدريس د. محمد ربيع .

وعلى جانب

الملتقى الأول اقتصر المتحدثون به على أعضاء هيئة تدريس الكلية، والطلاب قدمت ورقة علمية بعنوان، قدمها عضو هيئة التدريس د. إبراهيم حيث تحدث عن

وقدموا طلاب الكلية ببرنامج البكالوريوس مداخلات مختلفة، والتي منها قدمتها
الطالبة،

ومداخلة ،، قدمتها الطالبة لمى،،

وقدمت الطالبة مسعودة،،

والطالبة

وقدمت مداخلة من طالبة برنامج الماجستير سلوى مسعد، بعنوان

فيما يتعلق بالمحور الخاص ببشارات النصر، تم التحدث فيها عن دورنا في الأحداث الراهنة وعلامات النصر التي وجب علينا تسلطي الضوء عليها والنظر للأحداث الراهنة بعين الأمل وأن عقيدة المسلم تعلمه أن هناك بشارات مختلفة، وتلك البشارات لا يمكن أن نعلمها إلا عند معرفة حقيقة الابتلاء والتمكين.

تناولت المقدمة حديث عميد الكلية عن الكلية وأهدافها، وطموحات وآمال الكلية ومشاريع الكلية (مركز دكتور مصطفى محمود مركز للتدريب - مجلة الكلية - بودكاست - جمعية بحثية بادر وهي الجمعية الإنسانية للأبحاث والدعم والإرشاد النفسي مقرها اسطنبول مختصرها بادر (BAIR) والمشاريع التي تعمل عليها والتي دورها هو تمكين الطلاب من المهارات المختلفة، ومنحهم منصات متعددة يمكنهم فيها التعلم والتدريب، والتي منها الملتقيات، وبودكسات تم الإعلان عنه ومكتب الدكتور محمد مصطفى والذي بدوره سوف يتيح للطلاب التدريب العملي

ومن ثم الحديث عن أزمة الأمة الآن ودورنا، إلى الحديث عن الأحداث الراهنة وأهمية اهتمام المسلمين بتلك الأحداث

وسبب اختيار الآيات وسبب نزولها

تعطيل الدراسة لمدة أسبوع

وهنا اليوم

المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ويردُّ عليهم أقصاهم وهم يدُّ على من
سواهم ولا يُقتلُ مسلمٌ بكافرٍ ولا ذو عهدٍ في عهدِهِ



PADiR

مجلة بادر – مجلة كلية علم النفس الإسلامي

مجلة فصلية محكمة تصدر بإشراف الجمعية الإنسانية للأبحاث والدعم والإرشاد النفسي – بادر
PSİKOLOJİK ARAŞTIRMA DESTEK İNSANİ VE REHBERLİK DERNEĞİ – PADİR



DR. MOHAMED MOSTAFA
PSYCHOLOGICAL COUNSELING CENTER



كلية علم النفس الإسلامي
Islamic Psychology College



الجامعة الإسلامية في كينيا
ISLAMIC UNIVERSITY
OF KENYA



ASIA UNIVERSITY



AMERICAN OPEN UNIVERSITY
الجامعة الأمريكية المفتوحة

الجمعية الإنسانية للدعم والإرشاد والأبحاث النفسية:

جمعية معتمدة في جمهورية تركيا تحت رقم (...). تبنت دعم البحث العلميو الأكاديمي والمعرفي في مجال علم النفس الإسلامي بكل ما يتضمنه المصطلح من فروع وتخصصات نفسية وتربوية وشرعية بهدف إثراء المكتبة الإسلامية العربية والأجنبية بأبحاث ودراسات وتقارير تسهم في رفع الوعي بهذا التخصص العظيم وفق النظرية المعرفية الإسلامية.

كلية علم النفس الإسلامي

مؤسسة تعليمية جامعية تهدف إلى إرفاد المجتمع بالخريجين والخريجات الكوادر المؤهلة لسد الفراغ الكبير في مجالات علم النفس الإسلامي بتخصصاته المتنوعة والكثيرة مثل الصحة النفسية والعمل النفسي والتربوي والمؤسسات النفسية، وتحتوي الكلية مراحل التعلم المتتابعة (دبلوم – بكالوريوس – ماجستير – دكتوراه) وتتضمن الكلية ثلاثة فصول سنويًا.

مركز الدكتور محمد مصطفى للإرشاد النفسي – إسطنبول

هو أول مركز مرخص ومعتمد عربي في تركيا لتقديم كافة خدمات الإرشاد النفسي للأطفال والبالغين من المقاييس مرورًا بالتشخيص وحتى العلاج بكفاءة وسرية واحترافية مهنية عالية توازي في ذلك المؤسسات العالمية وفق المعايير الدولية بمنظور إسلامي أصيل، ويقدم المركز خدماته باللغات العربية والتركية والإنجليزية، وهو المركز التدريبي لخريجي الكلية.

الجامعات التي اعترفت واتفقت مع هذه الكيانات:

الجامعة الأمريكية المفتوحة، وجامعة آسيا الإلكترونية، والجامعة الإسلامية في كينيا

<http://journal.padirder.org/>
info@journal.padirder.org

مجلة بادر
00905522880846